نفيس الذخائر من تراث علماء الجزائر ٢

بين سلفي وخصومه

يقولون ... وأقول !!

ماذا ينتقدون عليّ ..؟ وبم أجيب ؟.

ألا فليعش المصلحون ! وليخسأ المبطلون !

قصيدة « إلى الدين الخالص ...»

ومقالات أخرى

بقلم

الزعيم الكبير داعية الإصلاح الديني

خطيب السلفيين وشاعرهم وكاتبهم

الشيخ الطيب العقبي رحمه الله

أعدّه

أبو محمد سمير سمراد

المجموعة الأولى

دار الفرقان للنشر والتوزيع

بَيْنَ سَلَفِيٍّ وَخُصُومِهِ

يَقُولُونَ ... وَأَقُولُ !!

وَمَقَالَاتٌ أُخْرَى

يُحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد
الكتاب كاملا أو مُجزأ أو تسجيله على أشرطة
كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على
إسطوانات ضوئية إلا بموافقة خطية من الدار

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

دار الفرقان للنشر والتوزيع

دار الفرقان للنشر والتوزيع

٢٠ شارع أحمد حسينة - باب الوادي - الجزائر (العاصمة)

جوال: ٠٥٥٦٩٦٥٨١٠ (٠) ٢١٣ ٠٠

dar.alfurquan@gmail.com

نفيس الذخائر من تراث علماء الجزائر ؟

بين سلفيّ وخصومه

يقولون ... وأقول !!

ماذا ينتقدون عليّ .. ؟ وبم أجيب ؟ .

ألا فليعش المصلحون ! وليخسأ المبطلون !

قصيدة « إلى الدين الخالص .... »

ومقالات أخرى

بقلم

الزعيم الكبير داعية الإصلاح الديني

خطيب السلفيين وشاعرهم وكاتبهم

الشيخ الطيب العقبي رحمه الله

(ت: ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م)

المجموعة الأولى

أعدّه

أبو محمد سمير سمراد

دار الفرقان

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمّدًا عبده ورسوله، أمّا بعدُ:

فهذه مقالاتٌ رائِقةٌ وكِتاباتٌ صادِقة، من روائِعِ ما كتبَهُ العلّامةُ الشّيخ الطّيّب العقبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ، الّذي شهدَ لهُ رفقاؤُهُ في الدَّعوةِ الإصلاحيَّة بأنَّهُ الزَّعيمُ الكبيرُ بحقٍّ، وبِأنَّهُ قائِدُ ومُقدَّمُ جيوش الإصلاح الّتي جَرَفَت البدعَ والضّلالات بصِدْقٍ وثباتٍ، فاتّفقَ إخوانُهُ ومعاصِرُوهُ على إِضْفَاءِ الألقابِ الصّادقةِ عليه، ولم يتردَّدُوا في ذِكْرِهِ بصفاتِهِ الّتي صارت نَعْتًا لهُ وعَلَمًا عليه، فهُوَ عندهم في مطلعِ العِشرينيَّات من القرن التّاسع عشر (الإفرنجيّ): خَطِيبُ السّلفيِّين وشاعِرُهُم وكاتِبُهُم، وهو في الأوساطِ الدَّعويّة في سنوات الثّلاثينيَّات: داعيةُ الإصلاحِ الدّينيّ، والدَّاعِي إلى اللهِ وَحْدَهُ...

ولكنْ:

لا أزالُ كُلَّما تذكَّرْتُ العلَّامةَ خطيبَ السَّلفيِّين وكاتبَهم وشاعرَهم وداعيةَ الإصلاحِ الدّينيّ الشّيخ «الطّيّب العقبيّ» رَحِمَهُ اللَّهُ، أذكُر ما عاناهُ وقاساهُ من مصاعب ومتاعب في حياتِهِ ونُكْرانٍ وجُحُودٍ وبَخْسٍ لحَقِّهِ بعدَ مماتِهِ، فلم يزل إلى الآنَ لم تُوفِّ الأمَّةُ الدَّيْنَ الّذي عليها للزَّعيمِ الفقيدِ والدّاعيةِ المأسوفِ عليهِ بحقٍّ، وكأنَّ

الرّجلَ لم يَعِشْ يومًا في الأمّة ولم يَعِشْ لها حتّى تلقاهُ بكلِّ هذه القساوة، وكأنَّهُ أساءَ إليها وعملَ على عكسِ مصلَحتِها فعاقَبَتْهُ كلَّ هذه العقوبةِ الّتي طالَ أمَدُها فسبحانَ اللهِ!... ربَّما لا يُلامُ من لم يعرف الشَّيخَ ولم يسمعْ بنضاله وجهاده وصَبْرِهِ ومُصَابَرَتِهِ ومُرَابَطَتِهِ طيلةَ سنواتٍ كانت مِن أَقْسَى السِّنِين الّتي مرَّت على الأُمَّةِ الجزائريَّة، لكن اللّومُ كلُّ اللَّومِ على مَن عرفُوا الرّجلَ وعرفُوا فيهِ معانيَ الرّجولةِ بكمالِها وتمامِها فلم يقومُوا بحقِّ أخوَّةٍ ولم يُوفُوا بِعَهْدِ صداقةٍ ولم يُحيُوا ذِكرى رَجُلٍ صالحٍ مُصلحٍ في أرضٍ عَزَّ فيهَا الرِّجال.

مِن هُنا اخترتُ أن أعملَ على رَدِّ بعضِ الدَّيْنِ الّذي للشَّيخِ علينا، وعلى أَن أُوفِّيَهُ شيئًا من حقِّهِ، وأن أُبرزَ فضلهُ وتقدُّمَه ببَعْثِ ما أمكنَ من جميلِ آثارِهِ وسديدِ أفكارِه، وعظيمِ إنجازاتِهِ وشريفِ أخبارِهِ، فكان ذلكَ -بدايةً- من نصيب الجزء (٠٢) من هذه السّلسلة الّتي اخترتُ لها عنوان: «**نَفِيسُ الذَّخَائِر مِن تُرَاثِ عُلَمَاءِ الجَزَائِر**»، أسألُ اللهَ تعالى أن يوفّقني لإتمامها وأن يُيَسّرَ نشرَها ويكتبَ لها القبول ويُحقّق بها المأمول.

عملي في هذا المجموع:

يتلخَّصُ عملي في هذه «المجموعة الأولى» مِن روائع مقالات العلَّامة الزَّعيم الطّيّب العُقبيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما يلي:

١ - ترجمتُ للشّيخ ترجمةً ضافيةً.

٢ - قدَّمتُ بسِيَاقٍ تاريخيٍّ بين يدي المقالات المختارة في هذه «المجموعة»، وعلى وجهِ التَّحديد: مقالة «**يقولون... وأقول!!**».

٣ - نَسَّقتُ بين المقالات التي وقعَ عليها اختيارِي والّتي تَجمعُهَا -إجمالًا- وِحْدَةُ الموضوع وتَسَلْسُلُهُ، وهو: «**بين سَلَفِيٍّ وخصومِهِ**»، وهذه الجُملَة هيَ العُنوان الفرعيّ الّذي وَضَعهُ مُحرِّر «الشِّهاب» (الشّيخ ابن باديس) لأجزاءِ مقالات: «**يقولون... وأقول!!**»، ابتداءً مِن عدد (١١٥).

٤- أرجعتُ إحدى حلقات المقال المسَلسَل «**يقولون.. وأقول!!**» إلى موضعها، حيثُ نُشرت في جريدة «البرق» دون أخواتها الّتي نُشرت في جريدة «الشِّهاب». وبذلكَ يتمُّ المقال بعد نُقصان، ويتَّصِلُ بعدَ انقطاع[1].

كما قُمتُ بترقيمِ فقرات المقالَة، حيثُ لم تُرَقَّم إلَّا ابتداءً مِن الفقرة (٤٤).

٥ - قمتُ بضبطِ نصِّ المقالات وتصحيح أغلاطها المطبعيَّة، ولْيُعلَم أنّ

(١) مع التَّنبيه على أَنَّهُ قَد سَقَطَت الفقرتان: (٤٢) و(٤٣)، فلم تُنشَرَا؛ لَا في «البرق» ولا في «الشِّهاب»!!

الأعداد الأولى من جريدة «الشِّهاب» في مطبوعة دار الغرب الإسلامي، أُعيدَ تصفيفها من جديد، وقد حصل بعض التَّحريف والتّصحيف والسَّقْط في بعضِ المواضع! فتحتَّمَ الفَحْصُ والتّثبُّت ومراجعةُ الأصل ما أمكن، وعليهِ أصلحتُ ذلك بالرّجوع إلى المصوَّرات الأصليَّة لجريدة «الشِّهاب»، والحمدُ لله.

٦ - قمتُ بتخريج الأحاديث -وهي قليلةٌ جدًّا-.

٧ - قمتُ بالتّعليق على بعضِ المواضع في المقالات، أُزيل به إشكالًا أو أَدفعُ إيهامًا أو أَزيدُ توضيحًا وبيانًا.

هذا وأسألُ اللهَ تعالى أن ينفعَ بهذا العمل، وصلّى اللهُ وسلَّمَ على عبدِهِ ونبيِّهِ محمَّدٍ وعلى آله وصحبِهِ.

الشّيخ الطّيِّب العُقْبِيّ
خَطِيبُ السَّلَفيِّين وشاعِرُهُم وكاتِبُهُم

الشّيخ
الطّيّب العُقْبِيّ
خَطِيبُ السَّلَفيِّين وشاعِرُهُم وكاتِبُهُم(١)

لَكَمْ أسِفْتُ، حيثُ لم أَجِدْ لهذا الزَّعيم! ذِكْرًا في «أعلامِ» الزّركليّ، وضاقَ صدري حينَ لم يَحْظَ بمكانٍ في الذّيول والتّتمّات الّتي أُلحقت بهِ وصُنِعت على منوالِهِ، كَـ: «تتمّة» أباظة وصاحبه، و«تتمّة» خير يوسف، و«ذيل» العلاونة، و«جواهر» المرعشلي.... فكأنَّ هناكَ تواطُؤًا (!) على محوِ أثرِهِ وطمسِ خبره، وهُوَ هُوَ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢).

وهاكَ تعريفًا بهِ، تَقِفْ على خَبرِ مَن يكون؟ ويَسْتَبِنْ لكَ: أيُّ رجلٍ هُوَ في الرِّجال؟

---

(١) تحت هذا العنوان نشرتُ ترجمةَ الشّيخ في مجلّة «الإصلاح» الغرّاء، الّتي تُصدرها دار الفضيلة بالجزائر، في عددها (٠٣)، جمادى الأولى- جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ/ ماي –جوان ٢٠٠٧م، (ص٦٥-٧٣).

وقد اعتمدتُها هنا مع زياداتٍ وإضافاتٍ.

(٢) وقد هوَّنَ عليَّ شيئًا مِن هذا الأسف! ما وقفتُ عليهِ أخيرًا مِن ترجمةٍ يسيرةٍ للشّيخ في «الموسوعة العربيّة الميسّرة» (٤/ ٢١٧٧-٢١٧٨).

المولد والنّشأة:

يقول في ترجمته لنفسه(١): «وُلدتُ ببلدة «سيدي عُقبة» (الجزائر) ليلة النِّصف من شهر شوّال سنة ١٣٠٧ حسب ما استفدتُهُ من مجموع القرائن الدّالّة على تعيين العام، ويحتمل أن تكون ولادتي بعد ذلك التّاريخ بنحو العام، لأنِّي لم أجد قيدًا صحيحًا لسَنَة ولادتي.

ووالدي هو محمّد بن إبراهيم بن الحاج صالح، وإلى هذا يُنسَب كلُّ فردٍ منّا، وبهِ تُعرَفُ عائلتنا فيُقال لكُلٍّ منّا: (ابن الحاج صالح)...».

وقد انتقل جدُّه الأوّل إلى بلدة «سيدي عقبة»، فكان هو وأولادُهُ مِن بعده «عُقْبِيِّين» بالسُّكنى.

الانتقال إلى الحجاز:

يقول: «انتقَلَت عائلتُنا مهاجرةً مِن بلدة «سيدي عقبة» إلى الحجاز بِقَضِّها وقَضِيضِها؛ أُنثاها وذكرها؛ صغيرها وكبيرها، سنة ١٣١٣ هجريّة قاصدةً مكّة المكرّمة لحجِّ الكعبة المشرَّفة في تلك السَّنة فكنتُ في أفرادها الصِّغار لم أَبلغ من التّمييز الصّحيح ولولا رجوعي إلى هذه البلاد ما كنتُ لأعرف شيئًا فيها».

---

(١) نُشِرَتْ في كتاب «شعراء الجزائر في العصر الحاضر» لجامعه وناشره ومُفسّر ألفاظه: محمّد الهادي الزّاهريّ، مكتبة العرب بتونس، ط١/ ١٣٤٤هـ-١٩٢٦م، (١/ ١٢٤- ١٤٠)، ونقلها الأستاذ فضلاء في كتابه: «الطّيّب العُقبيّ رائدًا لحركةِ الإصلاح...» (ص:١٥-٢٣)، وعن هذا الأخيرِ نَقَلْتُ، ثمّ تيسَّرَ لي -بحمدِ اللهِ- الرّجوعُ إلى الأصل.

استقرار عائلته بالمدينة:

يقول: «سكَنَت عائلتنا أوّل سنة ١٣١٤ – بعد الحجّ – المدينة المنوَّرة حيثُ كان استقرارها بها، وبها قبرُ أبَوَيّ وعمِّي وعمِّ والدي وأختي، وجُلّ من هاجر من أفراد عائلتنا كلّهم دُفنوا هنالكم «ببَقِيعِ الغَرْقَد» رحمةُ الله عليهم».

كفالتُهُ وتربيتُهُ:

ويقول: «وبعد وفاةِ والدي [سنة ١٣٢٠هـ] بقيتُ مع شقيقي وشقيقتي وأختي للأب تحت كفالة والدتي... وتربّيتُ في حجر أمِّي يتيمًا غريبًا لا يحوطني ولا يكفلني غير امرأةٍ ليست بعالمة... ولولا فضلُ الله عَلَيَّ وعنايتُه بي صغيرًا يتيمًا لما كنتُ هُدِيت سواء السَّبيل».

تعلّمُهُ وقراءتُهُ القرآن:

يقول: «قرأتُ القرآن على أساتذةٍ مصريِّين برواية «حفص»، ثمّ شرعتُ على عهد والدتي بقراءة العلم بالحرم النَّبويّ لا يشغلني عنه شاغل ولا يصدّني عنه شيءٌ حيثُ كان أخي الأصغر منيّ سِنًّا هو الّذي تُكلّفه والدتي بقضاء ما يلزم من الضّروريّات المنزليّة، وقد أدركت سرَّ الانقطاع لطلب العلم وفهمتُ جيِّدًا قول الإمام الشّافعي: «لو كُلّفتُ بصلةً، ما تعلّمتُ مسألةً»، بعد أن أصبحتُ أنا القائم بشؤوني والمتولِّي أمر عائلتي ونفسي. وأخذتُ إذ ذاك من العلم بقسطٍ شعرتُ معه بواجباتي الدِّينيّة والدُّنيويّة، وما كدتُ أُدرك معنى الحياة وأتناول الكتابة في الصُّحف السّيّارة وأنظم الشِّعر وأتمكّن مِن فهم فنِّ الأدب الّذي كان سَمِيرَ طبعي، وضمير جمعي، حتَّى فاجَأَتْنا حوادث الدّهر، ونوائب الحدثان، وجلّها

كان على إِثْرِ وبسبب الحرب العالميّة الّتي شتّتت الشّمل وفرّقت الجمع».

كيف أُبْعِدَ من المدينة:

يقول: «تناولتُ الكتابةَ في الصُّحُف الشّرقيّة قبل الحرب العموميّة أَمَدًا غير طويل فعَدَّني بعضُ رجال «تركيا الفتاة» مِن جملة السّياسيِّين، وأخرجوني في جملة أنصار النّهضة العربيّة مُبْعَدًا من المدينة المنوَّرة على إثر قيام «الشّريف حسين بن علي» في وجوههم بعد الحرب إلى المنفى».

وكان مستقرُّ المنفى أخيرًا في أرض «الأناضول»، ثمّ يقول: «وهناك بقيت أكثر مِن سنتين مُبعَدًا في جملة الرِّفاق عن أرض الحجاز وكلّ بلاد العرب، ثمّ انتهت الحرب الكبرى بعد الهُدنة يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨ ميلاديّة ونحن إذ ذاك مع عائلتنا الّتي التحقت بنا بعد خراب المدينة في بلدة «أزمير»، ومنها كان رُجوعنا معشر أهالي المدينة المنوّرة إلى الحجاز، وما وصلتُ أنا إلى مكّة المكرّمة حتَّى لقينا من لدن جلالة «الملك حسين» كلّ ما هو أَهله من الإكرام والإجلال وهناك عُيِّنْتُ مديرًا لجريدة «القبلة» و«المطبعة الأميريّة»...».

ولقد ذكر الشّيخُ الطّيّب لصديقه «مختار اسكندر»(١) قصَّةَ تعرُّف الملك حسين عليه؛ وذلك أنّ الملك بهَرَتْه قدرة الشّيخ «الطّيّب» في التّأثير على الجماهير، وقد استمع إليه يُلقي قصيدَةً، ورآه كيف كان يأخذ بمجامع قلوب مستمِعيه، ويؤثّر فيهم كيفما أراد؛ بحركاته وسكناته، ممّا لفت إليه نظر الملك، فقرّبه لديه، وغمَرَهُ

---

(١) ندوةٌ عن «العُقبيِّ»، عُقِدَتْ بـ«نادي التّرقِّي» (الجزائر العاصمة)، في شهر ماي ٢٠٠٦م.

بِإحسانِهِ، وأسند إليه جريدة «القبلة»- الَّتِي هي لسان حال الملك حسين والنَّاطقة باسمه إذ ذاك-.

رجوعه إلى الجزائر:

وقد وقف الدُّكتور صالح خرفي (١) على نقلٍ مهمّ يؤرّخُ لهذه المرحلة في جريدة «القبلة» الّتي تصدُرُ من «مكّة المكرّمة»؛ عاصمة الدّولة الهاشميَّة [السّنة الرابعة، العدد٣٤/ ٥ يناير ١٩١٩]، وهاهو بنصِّه:

« «**سفر فاضل**» في مساءِ هذا اليوم بَرِحَ العاصمةَ رصيفُنَا الفاضل الهمام، أَرَبُ الغَيرة والشّهامة، الكاتب القدير، والشّاعر الكبير الأستاذ «الطّيّب العُقْبِي» قاصدًا «جُدّة» بعائلته، ومنها إلى وطنه الأصليّ الجزائر الّتي وضع بعض المعتدين المتمرّدين يده عليها اغتصابًا، وامتصّ وارداتها في سِنِي الحرب العموميّة الّتي نال رصيفنا الفاضل منها ما ناله من أنواع العسف والجور والنّفي والتّبعيد من الحكومة التّركية ظلمًا وعدوانًا شأن الأفاضل الأحرار ... نكتبُ هذه السّطور ونحن في أشدّ الأسف والأسى على فراق رصيفنا الماجد النّبيل ونتمنّى له النّجاح في قضيّته، رافقتْهُ السّلامة في الظّعن والإقامة».

وذكر العُقبيُّ سببًا آخر لرجوعه إلى وطنه، قال: «.. ولِماَ كنتُ أتوقَّعُهُ مِن عدم اسْتِتْبَابِ الأَمنِ واستقرار الأمر في الحجاز للشّريف حسين، غادرتُ تلك البلاد المقدّسة إلى هذه البلاد الجزائريّة بنيّةِ قضاءِ مآربي هنا وعمل ما يجب عمله في قضيّةِ أملاكنا مع المعتدِي عليها، ثمّ الرّجوع إلى الحجاز إذا رجعت المياه إلى

---

(١) «الجزائر والأصالة الثّورية» (ص:٨٢).

مجاريها».

ويقولُ في موضعٍ آخر: «إنِّي مظلوٌم أُكِلَتْ أموالُه بالباطل، وكان مجيئي إلى هذه البلاد الّتي هي بلاد آبائي وأجدادي «وأوّل أرضٍ مسّ جلدي ترابها» بداعِي الاِضطرار...»(١).

لكن شاء الله أن يبقى «العُقبيُّ» ولا يغادر الجزائر، ويستوطن بلدة «بسكرة».

وعلى إثر عودته قامت حكومة فرنسا يوم ٤ سبتمبر ١٩٢١م بتفتيش منازله ببلدة «سيدي عقبة» و«بسكرة»، بسبب وشاياتِ الظَّلمة المعتدين، وأخذت جميع أوراقه الّتي كانت بحوزته؛ مِن مخطوطاتٍ وغيرها، وأطلقت سبيله بعد توقيفه أربعة أيّام، ولم يزل الشّيخُ يطلبُها منهم «مرارًا لما بها من القضايا» الّتي تخصُّه «أو المسائل العلميّة»(٢).

ثمّ أسّس الشّيخ ابن باديس صحيفة «المنتقِد»، واجتمع عليها الكتّاب المصلحون، فسَلُّوا سيف الاِنتقاد، بعد أن علموا أنّه «لا يكون إصلاحٌ إلّا بالانتقاد»، وقد كانت وِجهتهم الأولى في النَّقْد «هي الاِعتقادات».

يقول ابن باديس: «هُنا اصطدمنا بزعماء الطُّرق وشيوخ الزَّوايا الاِصطدام المعروف، لأنَّهُ إذا خَلَصَ التّوحيد توجّه النّاسُ إلى ربِّهم الّذي خلقهم وتركوهم، واعتقدوا فيهم أنَّهم مخلوقون مثلهم لا يضرّون ولا ينفعون، إلى غير هذا ممّا

(١) «الشّهاب»، العدد (١٠٥)، (ص١٠).

(٢) انظر: «الشِّهاب»، العدد (٥)، والعدد (٧).

يُنتِجه التّوحيد الصّحيح من تحرير العقول والأرواح والقلوب والأبدان»[١]؛ فزَعْزَعُوا «عقائدَ كانت تُحْسَب من صميم الإيمان»، ونَسَفُوا «صُروحًا مشيَّدةً من الخرافات والأوهام»، وزَرَعُوا «البذرة الأولى لتطهير العقائد وتحرير الأفكار»، وكانت أوّلُ صحيفةٍ دَعَت إلى تحرير الأمّة مِن ضغط وتسلُّط زعماء الطّرقيّة، أو «حُكومة القُطْب والغَوْث» هي صحيفة «المنتقِد»، الّتي انبرت للكتابة فيها: «**أقلامٌ كانت تُرسِل شُوَاظًا مِن نارٍ على الباطلِ والمبطِلِين**»[٢].

- ثمّ جاءت قصيدةُ «العُقبيِّ» كالسَّيْلِ الجارف أو كالزِّلزال؛ بما أحدثَتْهُ من هزّةٍ عنيفةٍ وتحطيمٍ لأوضاعٍ مقدّسةٍ، يحدِّثنا عنها الشّيخُ مبارك الميليّ؛ يقول:

« «**ابتداءُ الحرب على حُكومة القُطْب**»:

.... قصيدة العُقبيِّ وتأثيرها في الأمّة:

ولكن«أَتَى الوَادِي فَطَمَّ على القُرَى» إذ حمل العدد الثّامنِ [من «المنتقِد»] في نَحْرِهِ المُشْرِق قصيدَ «إلى الدِّين الخالص» للأخ في الله داعيةِ الإصلاح وخطيبِ المصلحين الشّيخ الطّيّب العُقبيّ ... فكانت تلك القصيدة أَوَّلَ مِعْوَلٍ مُؤَثِّرٍ في هيكل المقدَّسات الطّرقيّة. ولا يعلم مبلغ ما تحمله هذه القصيدة من الجَرَاءَة ومبلغ ما حَدَثَ عنها من انفعالِ الطُّرقيّة، إلّا مَن عرف العصر الّذي نُشرت فيه وحالته من الجمود والتّقديس لكلِّ خرافةٍ في الوجود»[٣]، ممّا جاء فيها:

---

(١) «الشِّهاب»، العدد (٣٢)، ١١ ذي الحجة ١٣٤٤هـ.

(٢) مِن كلام الإبراهيمي. انظر: «سجلّ مؤتمر جمعيَّة العلماء» (ص:٥١).

(٣) «رسالة الشّرك» (ص:٢٨٤).

مَاتَــــتِ السُّــــنَّةُ فِي هَـــذِي الــبِلَاد
قُبِــر العِلْـــمُ وسَـــادَ الجَهْـــلُ سَـــادْ
وَفَشَـــــا دَاءُ اعْتِقَـــــادٍ بَاطِـــــلٍ
فِي سُـــهُولِ القُطْـــرِ طُـــرًّا وَالنِّجَـــادْ
عَبَـــدَ الكُـــلُّ هَـــوَاءَ شَـــيْخِهِ
جَـــدِّهِ، ضَـــلُّوا وَضَـــلَّ الاِعْتِقَـــادْ

ثمّ عُطِّلت «المنتقِد» فخَلَفَتْهَا «الشِّهاب» «مِرآةُ الإصلاح وسَيْفُ المصلِحين» لتَمضي على نفس الخطّة، وتواصل الجهاد، وكان «العُقبيُّ» مِن محرِّري المقالات العظيمة بها، كما كان عميدَ الكُتّاب فيها، ولك أن تلتمس ذلك لمس اليد، إذا وقفتَ على هذه الكلمات والتَّصديرات الّتي كان يُحرِّرها ويُثبِتها صاحبُ «الشِّهاب» (الشّيخ عبد الحميد بن باديس)، وإليك بعضها:

- «شَكَرَ الله العالم النَّصُوح الشّيخ الطِّيّب العُقبيّ سعيد الجميل، فقد شفى صدور المؤمنين بكشفِ الغِطاء عن ما في «العاشُورية»(١) مِن إلحادٍ صريحٍ وكُفرٍ بواحٍ...»(٢)

- «كثيرًا ما تساءل قُرّاءُ هذه الصّحيفة عن العلّامة السَّلَفِيّ الشّيخ الطّيّب العُقبيّ الّذي كانت مقالاتُهُ تملأُ صحيفتَي «المنتقِد» و[«الشِّهاب»] بلاغةً

---

(١) قصيدة إلحاديّة «تَنْضَحُ بالحُلُول»، نظمها الشّيخ عاشور الخَنْقِي القسنطيني، فنُسِبَتْ إليه.
(٢) «الشِّهاب»، العدد (٣)، (ص:١٥).

وتذكيرًا؛ وتملأ الجوَّ الإصلاحيَّ نارًا ونُورًا... نعم حُقَّ لهم أن يتساءلوا، فإنَّ مَن تذوَّق تلك الفصاحة والصّراحة ثمّ فقدهما، لا بدّ أن يَتَحَفّى في السّؤال عنهما. علاَّمتُنَا العقبيُّ مجبولٌ على الصَّراحة؛ بَطَلٌ مِغوارٌ في سبيل إعلان الحقيقة؛ غيرُ هيَّابٍ لما يعترضه؛ ولا وَجِل ممّا يترصّده....»[1].

- «وقد بلا هذا الزّعيم السّلفيّ عِنادَ النّاسِ فيما هم عليه مِن مخالفةِ أصول التّوحيدِ القطعيّة...»[2].

مُباهلة «العُقبيّ» للطّرقيّين:

وبينما الحربُ على أشُدِّها بين المصلحين الموحِّدين، وبين الطّرقيِّين الخرافيِّين، والصِّراع في أوجه، إذا بخُرَافيٍّ كبيرٍ من المغرب الأقصى ينضمُّ إلى أصحابه «العليويِّين»، ويُسَخِّر نثره وشعره في هجْوِ منتقِدي البدع ومحارِبي التّخريف، وهو: «أحمد سُكِيرج» القاضي التِّيجاني، وكان مِن شأنه أنّه دعا المصلحِين للمُباهلة، بل كذب عليهم وادّعى أنهم لا يُجيبون إذا دُعُوا إليها، فتصدَّى له «العقبيُّ»؛ وكتب: «**بل نُجِيبُ... ولعنةُ الله على الكاذبين**»[3]، وقال «العقبيُّ» في «مباهلته»: ««اللّهمّ إن كنتَ تعلمُ أنّ سكيرج وجماعة الطّرقيِّين فيما هم عليه اليوم وما يَدْعُونَ النّاسَ إليه ويُقرُّونهم على فعله في طُرُقهم محِقُّون وأنّ ذلك هو دِينُك الّذي ارتضيتَهُ وشرعته لعبادك بواسطة محمّد - فالْعَنِّي ومن معي

---

(١) «الشِّهاب»، العدد (٣٤)، (ص:٩-١٠).

(٢) «الشِّهاب»، العدد (٨٥)، (ص:١٣).

(٣) «الشِّهاب»، السّنة الثّانية، العدد (٩٧)، ١٧ ذي القعدة ١٣٤٥هـ.

لعنًا كثيرًا، وإن كنتَ (يا الله يا ربّنا وربّ كلِّ شيء...). تعلم أنّ ما عليه الطُّرقيُّون اليوم فيما هم فيه من أمرهم ودعايتهم النّاس إلى طُرُقهم، هو مِن الحَدَث في دينك والباطل الّذي لا يُرضيك ولا يُرضي نبيَّك- فالْعَنْ «سكيرج» قاضي «الجديدة» ومن معه لعنًا كبيرًا، واجعل مقتك الأبديّ وخِزيك ولعنتك الدّائمة على الكاذبين» (آمين. آمين. آمين). هكذا أُباهِلُك وأُلَاعِنُك يا سكيرج، فلَاعِنِّي بمثلها، وإيّاك أن تتأخَّر أو تنهزم يومَ اللِّقاء...».

سَكَتَ «سكيرج» ولم يُجِبْ عن مقالِ العُقبيِّ «ببِنْتِ شَفَةٍ»، «وكان مِن واجبه أن يُجيب بصراحةٍ ويقول إنِّي قبلتُ تعيين الزّمان والمكان». وهكذا: «انهزمَ سكيرج»، لكنّ أصحابه عمدوا إلى التَّمويه والمغالطة والكذب فأَعْرَضَ «العُقبيُّ» عنهم، وقَطَعَ الكلام معهم؛ لأنَّهم كما قال: «**هُمْ قَوْمٌ بُهْتٌ!**» [«الشِّهاب»، العدد(١١٢)، (ص:٥-١٣)].

تأييد ابن باديس والميليّ والزّواويّ:

«**سيُهْزَمُ الجمع ويُولُّون الدُّبُر**»: تحت هذا العنوان كتب ابنُ باديس تأييدًا للعُقبيِّ ؛ قال:

«حَيَّاكَ اللهُ وأَيَّدَكَ يا سَيْفَ السُّنّة وعَلَمَ الموحِّدين، وجازاك اللهُ أحسن الجزاء عن نفسك وعن دينك وعن إخوانك السّلفِيِّين المصلِحين، ها نحن كلُّنا معك في موقفك صفًّا واحدًا نَدعو دعوتك ونُباهل مباهلتك، ونُؤازرك لله وبالله، فليتقدَّم

إلينا الحُلُوليُّون[1] وشيخُهم ومَن لَفَّ لَفَّهم وكثّر سوادهم في اليوم الموعود والمكان المعيّن لهم، وليبادروا بإعلان ذلك في جريدتهم إن كانوا صادقين، فإن لم يفعلوا -وأَحسب أن لن يفعلوا - فقد حَقَّت عليهم كلمة العذاب وكانوا من الظّالمين، والحمدُ لله ربِّ العالمين»[2].

- كما كتب الشّيخ مباركٌ الميليّ في العدد الموالي تأييدًا للشّيخين [«الشِّهاب»، العدد (٩٨)، (ص١٠-١٣)]، جاء فيه وصفُ الشّيخ العُقبيّ بِـ: «خطيب السّلفيِّين وكاتبهم وشاعرهم»، وقال: «قرأتُ تعليق الأستاذ عبد الحميد عليهِ فأحببتُ أن أَضُمَّ صوتي لصوتهما، وإِن كنتُ أعلمُ أنّ جميع السَّلفيِّين يَضمُّون أصواتهم لخطيبِهم، صرَّحوا بذلك أم لم يُصرِّحُوا... ».

- ثمّ جاء الشّيخُ أبو يعلى الزّواويّ فأَيَّدَ الشّيوخَ الثّلاثة [«الشِّهاب»، العدد(١١٦)، (ص١٤)]، وكتبَ: «... وعلى هذا يُباهلكم هذا العبد -الزّواويّ- والعُقبيّ وابن باديس ومبارك الميليّ ».

«العُقبيُّ» وجريدته «الإصلاح»:

ثمّ أسّس العُقبيُّ جريدة «الإصلاح» ببسكرة، الّتي يقول عنها الإبراهيمي: «فكان اسمُهَا أخفَّ وَقْعًا وإن كانت مقالاتُها أسدّ مَرمًى وأشدّ لَذْعًا»[3].

---

(١) «الحلوليُّون»؛ نسبةٌ إلى عقيدة «الحلول» الّتي حَوَتْهَا كتبُ وأشعارُ «ابن عليوة»؛ رئيس «العليويِّين»، فقد زعم أَنَّهُ هو «الله»! تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا.

(٢) «الشِّهاب»، السنة الثّانية، العدد (٩٧)، ١٧ ذي القعدة ١٣٤٥هـ، (ص: ٧).

(٣) «السّجلّ»، (ص:٥١).

وكتب عنها الشّيخ ابن باديس وبَشَّر بقُرب صدورها؛ فقال: «ستصدرُ تحت الاِسم أعلاه جريدةٌ لخطيبِ السّلفيِّين وشاعرهم الزَّعيم الكبير الشّيخ الطّيّب العقبيّ، بحسبي في التّنويه بما ستُجَمِّل به «الإصلاح» الصّحافةَ الجزائريّة مِن آيات البيان، وغُرَرِ البلاغة، وفنون الكلام، وبديع الأساليب، وما تخدم به حزب الإصلاح الدِّينيّ من آيات الحكمة وقواطع الحجّة في أبواب الدّعوة ومطارح الجدل، بحسبي في ذلك أن أقول إنّها: للأستاذ العُقبيّ، فقد عرفه النّاسُ في مجالسه وما نشرته الصُّحف من كلامه: الخطيب المُفوّه، والكاتب الضَّليع، إنّ صحيفة «الشّهاب» الّتي تفتخر بأنّها أوّل من جَلّا على القُرّاء الجزائريِّين عرائسَ أفكار هذا الرّجل العظيم، وأتحفهم بالكثير مِن غُرَرِ مَقالاته تزفّ إليهم مغتبطةً هذه البشرى بصحيفة «الإصلاح»....»(١).

- ثمّ كتب ابنُ باديس تحت عنوان «**«الإصلاح» صَدَّقَ الخَبَرُ الخُبْرَ**» [العدد (١١٥)، (ص٢٠)]: «تلقّينا في بريد الصّباح، صحيفة «الإصلاح»، فما أحسنه من صباح، وما أعظمه من إصلاح. جاءنا «الإصلاح» وقد كثر تساؤل النّاس عنه، واشتدّ شوقهم إليه. جاءنا «الإصلاح» بعد تلك العرقلة الخفيفة فأفرح قومًا وأحزن آخرين.

كنّا نوّهنا بهذه الصّحيفة قبل بروزها بما نعلمه مِن صفات الأهليّة التّامّة في

---

(١) «الشِّهاب»، العدد (١٠٦)، ٢١ محرم ١٣٤٦هـ، ٢١جوليت ١٩٢٧م، (ص:١٥-١٦).

صاحبها، فجاءت كما نوّهنا وفوق ما نوّهنا، ونحن على يقين أنّ القرّاء عندما يقرؤون «الإصلاح» يقولون: «صَدَّقَ الخَبَرُ الخُبْرَ». فلصاحبها الأستاذ العُقبيّ ورفيقه شاعر الشّباب الشّيخ محمّد العيد[1] شكر العاملين وجزاء المجاهدين مِن الله وعباده الصّالحين، ولصحيفتهما الرّواج والنّصر والإقبال».

ولقد عانى «العُقبيُّ» كثيرًا لاِستصدار جريدته، واعترضتْهُ فيها عراقيل؛ ولا أَدَلَّ على ذلك مِن أنّ العدد الأوّل صدر في: ١٢ ربيع الأول ١٣٤٦هـ، موافق: ٨ سبتامبر ١٩٢٧م، ولم يصدر العدد الثّاني إلّا في أوّل سنته الثّالثة: ٢ ربيع الثاني ١٣٤٨هـ، موافق: ٥ سبتامبر ١٩٢٩م!

يقولُ «العُقبيُّ» - نفسه - في هذه العراقيل: «وهل أَوجبَت معاملتنا بهذا كلِّه جنايةٌ ارتكبناها أو مخالفةٌ قانونيّة اقترفناها؟ كلّا! بل لا مُوجِبَ لما وقع سوى أنّ الجريدة اسمها: «الإِصلاح»، وهي لهذا المخلوق المسمَّى «الطّيّب العُقبيّ»، وفي النّاس مَن لا يحبُّ سماع اسمه: مركّبة حروفه أو مفردة! ولماذا؟ لأنّ الأولياء الصّالحين، وأَغْوَاث هذه الأُمّة المتألِّهين، وَشَوْا به كثيرًا إلى إداراتٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ وصوَّرُوهُ لها في آلةِ تصوير مكبّرة جدًّا هُم اخترعوها مع الرّهبانيّةِ الّتي

(١) قالَ الشّيخ العُقبيّ في افتتاحيّة العدد (١) مِن «الإصلاح»: «... وقد قبل شاعرُ الشّباب النّاهِض أخي «محمّد العيد» أن يكون في هذه الجريدة شريكًا مُساعدًا، بل عُضوًا ومساعدًا، فعددتُ هذا مِن علامات الفوز والفلاح، فأنا وهو إِذًا صاحِبَا جريدة «الإِصلاح»..»، وقال الدّكتور محمّد ناصر في «الصّحف العربية الجزائريّة»(ص٩٤): «غير أنّ اسم محمّد العيد الّذي كان بارِزًا في صدر الصّفحة الأُولى اختفى مِن عددها الثّاني ولم يبق غير اسم «العُقبي»...».

ابتدعوها، وبهذا أثَّروا على «رجال الغيب» الأبرار والأتقياء الأخيار (أهل القلوب السّليمة والنِّيّة...)، واستطاعوا إيقافَ سير «الإصلاح» (بمثلِ هذه الوسائل والوسائط!...)، ووَقَفُوا في طريقه -لأنَّهم أهل الطّرُق الموصلة- كلّ هذه المدّة، وقالوا لمن يُؤمن بكراماتهم: «الشّايْ لله بالمْرَابْطِينْ»[1]...».

ابنُ باديس يُقرِّظ «الإصلاح» في عددها الثّاني:

- كتب ابن باديس تحت عنوان «**الإصلاح**»: «لا نظنّ أنّ أحدًا مِن قُرّاء «الشّهاب» يَجهل ما نَوَّهْنَا به عن «الإصلاح» قبل بروزه، وما قرّظناه به بعد بروز عدده الأوّل. واليوم – بعد جهاد صاحبه أخينا العلّامة الأُستاذ الطّيّب العُقبيّ نحو ثلاث سنوات- جاءنا عدده الثّاني، فكان كما نوّهنا، ومثل ما قرّظنا. فنُهنِّي الصّحافة الجزائريّة الإسلاميّة بهذه الرّصيفة العزيزة ذات البيان الرّاقي والقصد النّبيل، سائلين مِن اللهِ تعالى لها إِعانة وتأييدًا، وراجِين لها مِن الأُمّة إِقبالًا ومُناصرة»[2].

الإصلاحُ يُخاطبُ قُرَّاءَهُ:

كانت أعداد «الإصلاح» تصدرُ وفيها هذا الإعلان المختصر الّذي يُخاطبُ فيهِ

---

(١) كلمةٌ شركيّةٌ، يردِّدها الجهلةُ من الطّرقيِّين ومَن تبعهم، وتعني: شاء الله إذا شاء الشُّيوخ «المْرَابْطِين» (يعنون الشُّرفاء والأولياء)؛ فجعلوا مشيئة الله تبعًا لمشيئةِ معظِّميهم والمقدَّسين عندهم، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

(٢) «الشّهاب»، م٥، ج٩، جمادى الأولى ١٣٤٨هـ، أكتوبر ١٩٢٩م، (ص٤٥).

«العُقبيُّ» قرَّاءَ جريدتِهِ:

« «**الإصلاح**»: مَن سَرّه الدِّين الخالص والمدافعة عن عقائد الحقّ والتّبشير بمذهب المصلحين (لا الملحِدين)[١]، فليشترك في جريدة «الإصلاح» وليُهْدِهَا إلى أصدقائه وأحبابه... اشترِكوا وحضُّوا على الاِشتراك في جريدتكم الدِّينيّة الإسلاميّة أيُّها المصلحون»اهـ[٢].

لم يمض على «العُقبيِّ» إلَّا زمنٌ قصيرٌ في «بسكرة» حتَّى طار صِيته، حيثُ كان في هذه المرحلة: «**العالِم الأوَّل، والمصلِح الدَّاعية الأوّل**»، الّذي قَوَّضَ صرح الطّرقيّة، وزعزع بُنيانها، وأَعْمَلَ فيها فُؤُوس الهدم، ليُثبّتَ مكانها عقائدَ التّوحيد الصّحيحة.

جهاد «العُقبيّ»:

كان هذا جهادَ العُقبيِّ في «الكِتابة» الّتي كان إمامًا مبرِّزًا فيها. وهُنا وقفةٌ مع جِهاده في الميدان، ومع دعوته الّتي أعلن بها في وسط النّاس:

- هذه مكاتبةٌ نُشرت لأديبٍ في جرائد تونس [جريدة «لسان الشّعب» (١٩٢٧م)]، قام برحلةٍ إلى «بسكرة»؛ فسجّل ما يلي: «... في «بسكرة» جماعةٌ إصلاحيّةٌ قويّةٌ على رأسها الأُستاذ «الطّيّب العُقبيّ»... وأهمُّ ما ترمي إليه هاته الجمعيّة القضاء على الخرافات القديمة، والتّنقيص ممّا يعلمه النّاس عن الطُّرق والزّوايا للقضاء عليها بعد ذلك بتاتًا. وهو أمرٌ تعهَّد به «العُقبيُّ» الّذي لا يترك

---

(١) كان جماعةُ الطُّرقيِّين يَرْمُونَ المُصلِحين بالإلحَاد!

(٢) «الإصلاح»، العدد (١٠)، (ص٤).

فرصةً تمرُّ بدون أن يكون فيها خطيبًا، لا فرق عنده أكان ذلك في طريق، أو مقهى، أو حانوت عطّار....وقد اشتهر الأُستاذ بفكرته، وهو فخورٌ بها يَسمع النّاس يسبُّونه ولا يتحرّك، ويأتيه البريد بالمكاتيب [أي: الرّسائل] المملوءة بشتمه، فيضحك منها ويُعطيها لمن كان بجانبه، ويقول: «انظر في أيّ شيءٍ يضيعون أوقاتهم»، وله في طريقِ داره ضريحٌ صغيرٌ في مقبرةٍ قديمةٍ رأى النّاس (يعبدونه) فهدمه ثلاث مرات، ولكنّهم في كلّ مرّةٍ يُجدِّدون بناءه بعد أن يزوِّدوا الأستاذَ بجانبٍ من الدّعاء، وأخيرًا تركوه وصمّموا على عدم تجديده إلّا إذا انتقم لنفسِهِ مِن عدوِّه...وهُم منتظِرون. ولقد التفَّ حول هذا الرّجل المصلِح نُخبةٌ مُهمّةٌ مِن أبناء البلاد كوَّنوا نهضةً لا يُستهان بها، وهي تعمل بكلِّ مجهودها في إنارةِ الطّريق إلى تلك الأفكار القديمة الّتِي استولت عليها وأفسدتها مِن حيثُ لا تشعر»[1].

- وكتبَ «الشّيخ السّعيد الزّاهريُّ» عن إحدى جولات «العُقبيِّ» رفقة إخوانه مِن العلماء والأدباء في منطقة «بسكرة»؛ فقال: «**وَفْدُ الشّعراء يَزُورُ: طُولْقَة- فَرْفَار- البُرْج**» [جريدة «البرق»(ماي١٩٢٧م)]:

«وبعد الفراغ من مأدبةِ الغداء شرع الأستاذ الشّيخ الطّيّب العُقبيّ يدعو النّاسَ إلى النّجاة، ويهديهم إلى سبيل الرّشاد ويجاهد الّذين يجعلون لله أندادًا، ويدعون مع الله آلهةً كثيرةً بالقرآن جهادًا كبيرًا، ومضى العُقبيُّ في هذا الموضوع وتغلغل فيه بشدّةٍ كأنّه التّيّار الجارف الّذي جَرَفَ طُرُقَ «القوم» وخرافاتهم؛ أو كأنّه إعصارٌ

(١) «رحلات جزائريّة» لمحمّد صالح الجابري (ص:٨٤-٨٥).

فيه نارٌ تأكلُ ضلالات المشركين أكلًا لمًّا؛ فلم يَبْقَ في مجلسه ذلك أحدٌ إلّا وخضع لكتاب الله، وسلّم لله ورسوله تسليمًا، ولم يخرجوا مِن هُنالك حتَّى عادوا لا يجدون في أنفسهم حرجًا ممّا قضى الله ورسوله...»، وقال عن مجلسٍ آخر جمعهم بالشّيخ السّعدوني الّذي قال قولًا عظيمًا شنيعًا: «ولم يتكلّم الشّيخ السّعدوني... وجعلنا نتباحث معه في حركة الإصلاح وفي المصلحين، وفي أعداء الإصلاح المفسدين فاعترف بأنّه قال: الرّجوع إلى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ضلالٌ مبين؛ وشقاوةٌ وخسارةٌ سَرمديّة «اليوم وقبل اليوم»، وقال: إنّه لا يزال مُصِرًّا على هذا القول... وقد بيَّن لنا مُرادَهُ بتأويلٍ لم نستطع أن نفهمه. وقد هجم عليه العُقبيُّ هجوم المحِقِّ على الباطل فتركه حَائِرًا مبهتًا، وكان هذا الموقف الّذي وقفه الأستاذ العُقبيُّ موقف جدٍّ، موقف صراحةٍ، موقف مَن لا يخاف في الله لومة لائمٍ، موقف من يُجاهد الخُرافيِّين بالقرآنِ جهادًا كبيرًا بتلك الفصاحة العربيّة الَّتِي لم تكُن لغيرِ العُقبيِّ، فإنّه أحاط بالسّعدوني مِن كلِّ جانبٍ يحتجّ بالقرآن، ولم يكن للسّعدوني مِن حجّةٍ.... وأخيرًا عجز عن كلِّ شيءٍ واعترف بأنّه لا يستطيع أن ينتصِرَ علينا بلسانه ولكنّه سيكتب في الجرائد...وقد قَرَّعَهُ العُقبيُّ على طعنه في ابن تيميّةَ... تقريعًا حُلْوًا ومُرًّا..».

فصاحة «العُقبيِّ»:

ولا يفُوتني هنا أن أقف وقفتين مع «فصاحة» العُقبيِّ، الّتي أجمع على التّنويهِ بها الموافق والمخالف:

- قال أحد كتّابِ جريدة «النّجاح»[1] [العدد (٢٨٠)، (ص:٢)] (عام ١٣٤٤هـ=١٩٢٥م):

«أمَّا الشّيخ الطّيّب العُقبيّ: فَلَهُ فصاحةٌ تامَّةٌ يتخلَّص بها مِن موضوعٍ إلى موضوعٍ بسهولةٍ، ولم يتلعثم في خطابه وذاك دليلٌ على براعته في المنطق».

- وقال أحد مكاتِبِي «الشِّهاب» [العدد (١٦١)، (ص:٦-٩)] يصف مجلسًا مِن مجالسِ «العُقبيِّ» (١٩٢٨م):

«ثمّ قام أميرُ البيان والخطيب المصقع الأُستاذ العُقبيُّ وألقى خطبةً ارتجالًا دامت أكثر مِن نصفِ ساعةٍ...ولقد رأيتُهُ خطيبًا بلسانه خطيبًا بلهجته خطيبًا بهيئته خطيبًا بحركاته وسكناته وأَسْهَبَ في ذلك [الموضوع] إِسهابًا استَحْلاه النّاسُ واستعْذبوه حتَّى مَلَكَ عليهم عواطفهم وأخذ عليهم مشاعرهم وترك بعضَ النّاس يبكون مِن شدّةِ ما أثّر عليهم بفصاحته وبيانه..».

الانتقال إلى عاصمة الجزائر:

- قال مكاتبٌ في جريدة «النّجاح»، العدد (١٢٠٤)، (ص٢): «**الجزائر**: ... ولله الحمد والمنّة أن قيّض لها في هذه المدّة رجالًا مصلِحين ديدنُهُم الإِصلاح ببثّ التّعاليم الإسلاميّة الحقّة، ومحاربة البدع والمحدثات الّتي ألصقها الدّجاجلة الطّواغيت في الدّين الإسلاميّ الحنيف باسم الدِّين، مع أنّه «وربّ العالمين» بريءٌ مِن كلّ رِجز!

---

(١) انتهجت هذه الجريدة نهجًا مضادًّا للمصلحين، وآوَتْ كُتَّابَ الطُّرقيِّين.

وفي طالعة أولئك الأستاذ الطّيّب العُقبيّ الذّائع الصّيت في الفصاحة الّتي لا يُدانى فيها بوسطنا. وقد هَفَا السّيِّد إلى عاصمة الجزائر، وقد تعرّف بسَرَاة البلد وتعرّفوا به وأكرموا وفادته، وألقى دروسًا في تفسير الذّكر الحكيم بالنّادي، ومرّتين فقط بالجامع الجديد، وأقبلت عليه النّاس إقبالًا هائلًا، ولمّا رأى رجال النّادي ذلك الإقبال الباهر دبّروا مع بعضهم بعضًا في السّعي إلى بقاء الشّيخ الطّيّب بالعاصمة، ثمّ إنّهم طلبوا منه المكث فيها بعدما اتّفقوا معه على أشياء تخصّهم وتخصّه، فأجاب رغبتهم وذهب إلى بلده وعاد منه حريمًا بأهله وولده، وقد هيّئوا له محلًّا للسّكنى في رياضٍ بضواحي «القُبَّة» من فَحْصِ العاصمة».

استدعى الأعيان المصلحون في مدينة الجزائر وإدارة «نادي التّرقِّي» الشّيخَ «العُقبيَّ» ليُواصل جهاده في الجزائر الّتي هي في حاجةٍ أكثر إليه، فانتقل إليها.

وعن عظيم أثره فيها، يقول الشّاعر الأديب حمزة بوكوشة(١): «..ظهرت العاصمةُ بمظهرٍ دينيٍّ لم يُعْهَد فيها من قبل، [حَدَثَ بها انقلابٌ لم يكن في الحسبان] وذلك منذُ حلَّ بها الدّاعيةُ الإسلاميُّ العظيم الأستاذ «الطّيِّب العُقبيّ» فأَثَّر في الأُمّةِ بدروسه... ومحاضراته... فانتفع به خلقٌ كثيرٌ في العاصمة وضواحيها، واتّبعوا الصّلاة وتركوا الشّهوات»(٢).

---

(١) كان عضوًا إداريًّا في جمعيّة العلماء، وكانت له صلةٌ بالشّيخِ «العقبيِّ». وقد حدّثني (الأستاذ سُهيل) وَلَدُ الشّيخ حمزة، أنّ في مخطوطاتِ والده فصولًا أَلّفهَا عن سيرةِ العُقبيِّ، فعسى أن تُنشرَ قريبًا.

(٢) عن جريدة «الوزير» التّونسية (١٩٣٢م)، ضمن «رحلات جزائرية»(ص:١٤٣).

إدارة جريدة «البصائر»:

كان «العُقبيُّ» عميدَ «جمعيّة العلماء» في العاصمة، ولسانها الّذي يَنشرُ دعوتها، وحين تأسّست جريدةُ «البصائر» عَهِدَت إليه بإدارتها؛ قال الشّيخ مبارك الميلي: «اختارت إدارةُ الجمعيّةِ لإدارةِ «البصائر» الكاتبَ المُبِين والخطيب البليغ والدّاعية البصير الأستاذ الشّيخ «الطّيّب العُقبيّ» واعتمَدَت في هذا الاختيار على تلك الصِّفات الّتي عُرِفَ بها «العُقبيُّ» إلى ماضيه الصّحافيِّ شرقًا وغربًا؛ فقد كان بالمشرق مِن مُحَرِّري صحيفةِ «القبلة» بمكّة مِن أرضِ الحجاز، ثمّ كان بالمغرب مُديرًا ومُحَرِّرًا لصحيفةِ «الإصلاح» ببسكرة مِن مُدن الجزائر..»[1].

وقال الإمام ابن باديس: «أصدرت «جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين» جريدتها تحت اسم «البصائر» وسلّمت تحريرها للأستاذ الدّاعي إلى الله الشّيخ الطّيّب العُقبيّ العضو الإداري بمجلس الجمعيّة...»[2].

جُموعٌ حاشدةٌ لأنصارِ العُقبيّ في «نادي التّرقّي»:

يقول الأستاذ محمّد دبوز: «كان للشّيخ في النّادي درسان دائمان للجمهور، أحدهما في مساء الجمعة، والثّاني في مساء الأحد، وكانت في المواضيع الدِّينيّة والاِجتماعيّة... وكان النّادي وحجراته الواسعة كلّها ودرجه وهو في الطّابق الثّاني تمتلئ كلّها، فيقف النّاس في الشّارع يتنصّتون للدّرس، لا يملّون من الزّحام، ولا

---

(١) «البصائر»، العدد (٤٨)، (ص:١).

(٢) «الشّهاب»، م١١، (ص٦٣٦)، ج ١١، ذي القعدة ١٣٥٤هـ- فيفري ١٩٣٦م.

يتعبون بطول الوقوف، وكانت الجماهير تُسرع إلى النّادي قبل الدّرس بوقتٍ طويلٍ لتجد مكانها داخل النّادي»[(١)].

وإذِ الكلامُ عن النَّادي، أنقلُ ما كتب الشّيخ السّعيد الزّاهريّ -وهو يتحدّث عن الاِجتماع العامّ السّنويّ لجمعيّة العلماء- عن توافد جموع النّاس على النّادي وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف عضو -كما قال-، قال: «واكتظّ النّادي وامتلأت مدرجته الفسيحة، واكتظّ كلّ ما فيه من رحاب، ومِن غرف وحجرات، واكتظّت المماشي والممرّات، وامتلأ السّلم وكلّ ما يحيط بالنّادي من المقاهي والسّاحات، **وكان ضروريًّا الخضوعُ للأمرِ الواقعِ واستعمال عدّة مُكبِّرات للصّوت «مِيكْرُوفُونَاتْ»...**»[(٢)].

ويكتب أحد مُحرِّري جريدة «النّجاح» عن النّادي وعن إقبالِ الجماهير على دروس العُقبيّ، فيقول: «...مكبّر الصّوت «الهُوبَارْلُورْ» الّذي كان يُوضَعُ عادةً على شُرفات واجهة النّادِي لإسماعِ أتباعِ الشّيخ العُقبيّ الّذي كان النّادِي يَضيق بهم فيقفون في ساحته... »[(٣)].

مِحْنَةُ «العُقبيِّ»:

ثمّ حَدثت حوادثُ مؤلمةٌ؛ ابتدأت بمكيدةِ: «اتِّهامِ» العُقبيِّ بقتل المفتي

(١) «نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة» لمحمد علي دبوز، (٢/ ١١٥-١١٦).

(٢) «الشّهاب»، م١٠، (ص٣٧٢)، ج٩، جمادى الأولى ١٣٥٣هـ.

(٣) «حال جمعيّة العلماء....»/ «النّجاح»، العدد (٢١٩٦)، (ص٢).

«كحول»، ومُثُولِهِ للمحاكمة، ثمّ بعد براءته، بقي تحت نظر الحكومة واختبارها، في محنةٍ شديدةٍ مرَّت عليه، ثمّ «استعفاؤُهُ» مِن إدارة «البصائر»، ثمّ «مأساةُ» استقالتِهِ مِن مجلس إدارة «جمعية العلماء»، وهكذا انفصل «العُقبيُّ» عن بقيّةِ إخوانه، وجاءت الحرب العالميّة... وقيلَ الكثيرُ عن «العُقبيّ»، مماّ يَطُولُ ذكرُهُ، إلّا أنّه لابدَّ من الإشارة إلى أنّ تلك الأقوال الّتي غُمِز بها، يرجعُ أكثرها إلى مواقفه «السّياسيّة»، وإلى الخطّة الّتي اختارها في «المعاملة» مع الإدارةِ الفرنسيّة؛ يُرِيدُ بذلك خدمةَ هذه الأمّة، وتَجْنِيبَهَا ما يُضِرُّ بها. أمّا «دِينُهُ» و«عقيدتُهُ» فلا أحدَ استطاع أن يَشهد عليه بأنّهُ بَدَّلَ أو غَيَّرَ، بل هم مُجْمِعون على أنّهُ ظلَّ «ثابتًا» «صَلْبًا» فيهما.

ومِن أواخِرِ ما كتبَ (عام ١٩٥٣م) قولُهُ:

«إنَّني بَلَوْتُ هذه الأُمّة في خِدمتي لها أكثرَ مِن ثلاثين سنةً وقَاسَيْتُ في سبيلِ الإصلاحِ ما قاسَيْتُ وكانت التّجربةُ قاسيةً كادت تُؤدِّي إلى اليأس مِن نجاةِ هذه الأمّة المَغْبُونة، ولكنّ اعتقادي في إصلاحِ حالِهَا لا يزالُ اليومَ على ما كان عليهِ أمس؛ وهو أنّ نجاةَ هذه الأُمّة لا يحصلُ إلّا في التّمسّك بالكتابِ والسّنّةِ والسَّيْرِ على ضوءِ تعاليمهما قولًا وعملًا..»[1].

مَرَضُهُ ووَفَاتُهُ:

يقول الأستاذ محمّد دبّوز: «مرض رَحِمَهُ اللهُ في عام (١٣٧٧ هـ =١٩٥٧م) بدَاءِ

(١) جريدة «المنار»، العدد (١٧)، (ص:١).

السُّكّر وهو مرضُ العُظماء، لشدّة تفكيره وما ركبهُ مِن الهُموم الكثيرة في جهاده الطّويل الصّعب، فلازمه هذا المرض نحو ثلاث سنين، فألزمه الفراش وكان سبب وفاته. وانتقل إلى جِوارِ ربّه [إن شاء الله] في الواحدة بعد زوال يوم ٢١ ماي ١٩٦٠م، أول ذو الحجة ١٣٧٩هـ وعمره ٧٢ عامًا، وكانت وفاتُهُ في داره في الجزائر العاصمة في حيّ بُولُوغِين (سَانْتُوجِينْ)... ودُفن في مقبرة (بولوغين) الإسلاميّة بوصيّةٍ منهُ لخُلُوِّهَا من المَناكر الّتي يَأتِيها الجهلةُ على القبور»اهـ(١).

رحمَ اللهُ الشّيخَ «العُقْبِيَّ»، وجَازاهُ أحسنَ ما يُجازِي المجاهدين العامِلِين.

---

(١) «نهضة الجزائر الحديثة» (ص١٢٣).

بين يدي مقالة:
«يقولون... وأقول»!!

بين يدي مقالةِ: «يقولون... وأقول»!!

نَصِيرٌ لا يُستَهَانُ بهِ، وظهيرٌ لا يُفَرَّطُ فِيه:

لقد عرفَ الإمامُ ابنُ باديس زميلَهُ العُقبيَّ في حلقاتِ الدَّرسِ بين يدي شيخ الجماعة: حمدان الونيسي القسنطينيّ نزيل المدينة ودفينها (ت:١٣٣٨هـ أو ١٩٢٠م)، وذلك في مسجد المدينة في سنة (١٣٣١هـ= ١٩١٣م)، حينما سافر إلى أرض الحجاز ومكث بها أشهرًا، ولمّا أن عادَ العُقبيُّ إلى وطنه الجزائر، لم يزل الإمامُ ابنُ باديس يتعاهَدُهُ بالمكاتبة يشدّ بها روابطَ الأخوّة ويستدعيهِ إلى أن يكونَ معهُ في ميدانِ الدَّعوة، إذْ كانَ يأملُ فيهِ أن يكونَ من رُوّادها ومن عُمُدِ الإصلاح الّذي ينشُدُهُ ويسعى إليهِ، وهذا كتابٌ من ابنِ باديس إلى العُقبيِّ [بتاريخ ١٢ صفر ١٣٤٢هـ الموافق: ١٩٢٤م] يقولُ فيهِ:

«لَا زِلْتُ مُشتاقًا جِدّ الاِشتياق إلى رُؤيتِكُم والاِجتماعِ بكُم مُنذُ حَلَلتُم بهذهِ الدِّيار، ولم تُتَحْ لي الفرصةُ (ويا للأسف) لتَحقيقِ تِلكَ الأُمنية إلى اليوم، بَيننَا رَوَابِطُ رُوحيّةٌ هِي الّتي جَعَلَتنِي أَحِنُّ إليكُم هذا الحَنِين: الإِسلام، والعُرُوبة، والأَدَبِيّة، والشَّرقِيّة، والتَّلمَذة... »(١) .

(١) «الإصلاح»، العدد (٤٧)، ١ ماي ١٩٤٧م، بواسطة: «الشّيخ الطّيّب العقبيّ ودوره في الحركة الوطنيّة الجزائريّة» للدكتور أحمد مريوش، (ص٨١).

الإعلانُ بالدَّعوة وبَدْءُ الهُجُوم على الباطل:

- قال ابنُ باديس رَحِمَهُ اللهُ عن بدايات الإعلان بالدَّعوة (سنة ١٩٢٥م): «رأينا واجبًا علينا أن نقوم بالدّعوة العامّة إلى الإسلام الخالص، والعلم الصّحيح، إلى الكتاب والسّنّة وهَدْي صالحِ سلفِ الأُمّة، وطَرْحِ البدع والضلالات ومفاسد العادات، فكان لزامًا أن نُؤسّس لدعوتنا صحافةً تبلّغها للنّاس، فكان «المنتقِد»، وكان «الشّهاب»، ونهض كتّاب القطر ومفكّروه في تلك الصّحف بالدّعوة خير قيام، وفتحوا بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ أعينًا عُمْيًا وآذانًا صمًّا وقلوبًا غُلْفًا، وكانت هذه المرّة غضبةُ الباطلِ أشدّ، ونطاقُ فتنته أوسع، وسوادُ أتباعه أكثر، وتمالأَ على دُعاءِ الحقِّ الجمودُ والبدعة..»(١).

الزَّعيمُ وخصومُه:

يقول العُقبيُّ في آخر ما كتبه مِن ترجمته الّتي أثبتها صاحِبُ كتاب «شعراء الجزائر في العصر الحاضر» (سنة ١٩٢٦م)، يقولُ بعد أَنْ ذَكَرَ انعزالهُ إِثر رجوعه إلى الجزائر:

«ولكنّي منذ أشهر أَبديتُ بواسطة صحافتنا الجديدة بعض آراء وأفكار في مسائل تخصّ العلم والدّين، فلم يَرُقْ ذلك لبعضِ الجامدين وثارت ثائرةُ مَن لا يزالون يحبّون الاِصطياد في الماء العكِر... وقام دعاتهم في وجهي يصدّون النّاس عن سبيل الله ويبغونها عوجًا، وإنّي لمواجهٌ لكلّ صدماتهم ومجابهتهم وجهًا

---

(١) «الآثار» (٥/ ١٠٣).

لوجه كيفما كانوا، ما دمتُ أعتقد أنّي على الحقّ بالرّغم عن تجرّدي من كلّ عدّة يعدّها الخصمان، وما أنا في محاربتهم -والحالة هذه- «إلّا كسَاعٍ إلى الهيجاء بغيرِ سلاح»، وما أُجادلهم إلّا بالّتي هي أحسن ما داموا عن الحقّ غير معرضين.

أمّا المنافقون منهم والمارِقون الّذين يرتدّون عن دينهم في كلّ يوم مرّة أو مرتين، فأولئك هم الّذين أُغلظ عليهم أحيانًا وأُعاملهم بما يستحقّون...وما سلاحي الّذي أُبارزهم به إلّا صبابة ممّا كان علق بالذّهن وبقيّة في الوِطَاب مِن آثار التّربية الإسلاميّة والعلم الصّحيح، وهم في كلّ محاولاتهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ [التوبة: ٣٢]. وسيحكمُ اللهُ بيني وبينهم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧]...»[١].

«الأستاذ الطّيّب العُقبيّ الشّهير»:

تحت هذا العنوان كتبَ ابنُ باديس سنة (١٩٢٨م) يُنَوِّهُ بالعُقبيّ الّذي ذاعَ صِيتُهُ وانتشرت في ربُوع الجزائر شُهْرَتُهُ، يقول: «مَن ذَا الّذي لا يَتمثَّلُ في ذِهْنِهِ العلم الصَّحيح والعقلُ الطَّاهر، والصَّراحة في الحقّ والصَّرامة في الدِّين، والتّحقّق بالسّنّة، والشّدّة على البدعة، والطِّيبة في العِشرة، والصِّدق في الصُّحبة إذا ذُكِرَ الأستاذُ العُقبيُّ؟...»[٢].

---

(١) «شعراء الجزائر» (١/ ١٢٩)، أو: «الطّيّب العقبيّ رائدًا لحركة الإصلاح الدّينيّ في الجزائر» لمحمّد الطّاهر فضلاء، (ص٢٢-٢٣).

(٢) «الشِّهاب»، العدد (١٥٨)، (ص٢٠)، تحت عنوان «الأستاذ الطّيّب العُقبيّ الشّهير».

العُقبيُّ يَنْفِي التُّهم والافتراءات الّتي يُرَوِّجها عنه خصومُه:

- زار العُقبيُّ بلدة «عين الفكرون» في ١٥ أغسطس مِن عام ١٩٢٨م، يقولُ أحد الحاضرين في مكاتبةٍ إلى «الشّهاب»: عن «زيارة الإصلاحيّ الكبير الأستاذ الشّيخ الطّيّب العُقبيّ»، وعن: «مجالسه الّتي كانت ينبوعًا فيّاضًا بأنواع المعارف الّتي يتعطّش إليها كلّ محبّ لدينه ووطنه، ومِن مآثرها أنّه نَسَفَ فيها عدّة حواجز كان أقامها أضدادُهُ في سبيل إصلاحاته المنشودة، كانوا يُعَلِّقُونَ عليها آمالًا كثيرةً في عرقلة مساعيه، فأصبحت كأَنْ لَمْ تَرُجْ بالأَمْسِ، منها قولهم: إنّه يُنكر الولاية أو يطعن في العلماء والسَّلَف الصّالح ويتهاون بالدِّين، ولكن مجالس علمه أَثْبَتَتْ للعموم ثُبُوتًا لا خفاء معه أنّ ما أُلصِقَ به مِن التُّهَم منشؤه التّخوّف من خطره على مصالحهم الخاصّة الّتي يناقضها العلم الصّحيح. ويلاحظ أنّ مجالسه لم تكن خاليةً من العلماء والأدباء حتّى يقال إنّها لم تتوفّر فيها شروط الحكم، بل حضرها من العلماء والمتأدّبين جمٌّ غفير... وأُلقيت لديه عدّة أسئلة هامّة، أجاب عن جميعها بما طَمَّنَ الخواطر من المعقول والمنقول، وكان يُردّد دائمًا قوله: مَن بقي عنده سؤال فليُلْقه بكامل الحرّيّة. وبالجملة فقد أزال عن الأذهان ما كان عالقًا بها من الشّبهات، وترك في القلوب ذكرى لا يمحوها الدّهر، أطال الله حياته....»[1].

(١) «الشّهاب»، العدد (١٦٤)، (ص١٨-١٩)، «الأستاذ العُقبيّ في «عين الفكرون»».

- وكتب آخر عن زيارة «فضيلة العلّامة الشّهير والمصلح الكبير الأستاذ الطّيّب العُقبيّ» لبلدة «سُوق اهْرَاس» رفقة الشّيخ مبارك الميلي، في ٠٧ أوت مِن عام ١٩٢٨م، قال المكاتِب: «وبعد التّرحيب وأداء واجب التّحيّة لضيوفنا الكرام دارت بين الجميع محادثاتٌ علميّة في عدّة مواضيع، وكان الأستاذ العُقبيّ يُجِيبُ عن كُلٍّ بالآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة، ببلاغته وفصاحته النّادرتين، وكانت أكثر مباحثه في الدّعوة إلى الإرشاد والتّمسّك بالدّين الخالص وترك البدع والخرافات الّتي ما أنزل الله بها من سلطان، وقد أثّر كلامه في السّامعين تأثيرًا حسنًا، وهذا وأيم الله لممّا يُبشّرنا بمستقبلٍ حسن...»(١).

وَفْدُ العُلماءِ في «بسكرة» نُصرةً للزَّعيم:

هذه مُكَاتبةٌ نُشِرَت في جريدة «صدى الصّحراء» [العدد (١١)، (ص:٢)، ١٦شعبان١٣٤٤هـ،١مارس١٩٢٦م] عن «**الوفد العلميّ القسنطينيّ**: يوم الخميس١١فيفري [١٩٢٦م] قَدِمَ وفدٌ علميٌّ من مدينة قسنطينة إلى حاضرة بسكرة....يتألّف هذا الوفد من علاَّمة القطر الأستاذ الجليل الشّيخ عبد الحميد ابن باديس والكاتب الكبير...الشّهير الشّيخ مبارك الميلي...، وبهذه المناسبة أيضًا قدم من «الزّيبان» حضرة الشّيخ علي بن عمارة البرجي والشّيخ محمّد بن خير الدّين الفرفاري والشّيخ الصّدّيق بن عريوة الزّيتونيّون...، ذهب إلى المحطّة

(١) «الشّهاب»، العدد (١٦١)، (ص٦)، «عالمان فاضلان ومصلحان كبيران يزوران بلدة «سوق اهراس»».

لملاقاة ذلك الوفد الفخيم جمعٌ من الأدباء والفضلاء، **وفي مقدّمتهم الرّجل الوحيد والمُصلِح الكبير والكاتب القدير والسِّياسيّ الشّهير الأستاذ الطّيّب العُقبيّ...**»، «ومن الغد ذهبوا إلى بلدة «سيدي عقبة» لأداء صلاة الجمعة.. راجعين إلى «بسكرة».. يوم السّبت... ، ويوم الأحد سافر هذا الوفد الفخيم إلى «طولقة» باستدعاء من العلَّامتين الفاضلين الشّيخ علي بن عمارة والشّيخ محمّد بن خير الدّين الزّيتونيّين...».

وفي الزّاوية الطّولقيّة: «تجاذب الوفدُ أطراف الكلام على المصلحين ما يلاقونه من المصادمات من حزب الجامدين الّذين لا يريدون بهذه الأمّة خيرًا، **وإذ ذاك تكلّم المُصلِح الكبير الشّيخ الطّيّب العُقبيّ وبيّن للحاضرين مراميهِ السّامية وقصده الوحيد، ألا وهو إِحياءُ السّنّة وقتل البدعة ونشر الفضيلة وقطع الرّذيلة وبرّأ نفسه ممّا يشاع عنه بأنّه يَنفي «الوَلاية» و«الكرامة» و«الزِّيارة» وتكلّم في الموضوع كلامًا شافيًا، وما خرج الوفدُ من هناك حتّى حصل التّفاهم بين الجميع**... توجّه الوفد إلى بلدة «البرج» باستدعاء من العلّامة الشّيخ «علي بن عمارة» فنزل بمحلِّهِ ثمّ قصد جامع الشّيخ «بن عزوز» لتأدية صلاة العصر، ومنه إلى جامع الجمعة، وقد ألقى فيها الأستاذ الشّيخ عبد الحميد بن باديس درسًا، فسّر فيه قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس:٦٢]، إلى قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس:٦٣]، وقد أبدع وأجاد فيه، وبيّن حقيقة الوليّ وما يعتقد فيه، **ثمّ اقترح**

الشّيخ علي بن عمارة على الشّيخ الطّيّب بأن يُلْقِيَ على الحاضرين كلمات ليُبرِّئ نفسه ممّا أُشِيع عنه مِن نُكرانِ «الوَلاية» و«الكرامة» و«الزّيارة» لقبور الأولياء، فتكلّم في الموضوع بإسهابٍ، وبيّن للنّاس أنّه لا يُنكِر «الوَلاية» مِن أصلها و«الكرامة» و«الزّيارة» بشرطهما الشّرعيّين، وما كاد يُتمّ درسه حتّى رجع الحاضرون عن كلّ ما كانوا يسمعونه عنه مِن الأراجيف والأباطيل، وقد حصل التّفاهم والحمد لله.... وفي صباح يوم الثّلاثاء على السّاعة التاسعة ونصف أَمَّ الوفدُ مسجد «بكار» لحضور درس التّفسير الّذي يُلقيه العلّامة الشّيخ الطّيّب العُقبيّ، فاكتظّ المسجد بالتّلامذة والمستمعين، وقد أبدعَ في درسه أيّ إبداع...»اهـ.

- يبدو أنّ الشّيخ ابنَ باديس كان يُولي الاِهتمام الكبير لدعوة الشّيخ العُقبيّ في «بسكرة» ولدعوةِ إخوانه وأنصاره في «الزّيبان»، وجاءت هذه الرّحلة أو الزّيارة: دليلًا على ذلك، كما جاءت للتّأكيد على المؤازرة والنّصرة، وشدّ عضدهم بإخوانهم في حاضرة قسنطينة، كما قد تكونُ لأجل التّخفيف من حدّة الصراع بين الفريقين «السّلفيّين والطّرقيّين»، والتّدخّل لإيجاد سبيلٍ للتّفاهم.

حالة الوطن .. ويأسُ الزّعيم:

جاءَ «العُقبيُّ» فاستوحشَ المَقامَ والمنزلَ الجدِيد، ولم يَرَ في حالةِ وطنِهِ الأُمّ إلّا ما يُزهِّدُهُ فيهِ ويُيَئِّسُهُ من عَوْدِ الحياةِ فيهِ:

«مَاتَتِ السُّنَّةُ فِي هَذِي البِلَادْ

قُبِرَ العِلْمُ وَسَادَ الجَهْلُ سَادْ»

وقال:

«لَسْــــتُ مِــــنْهُمْ لَا وَلَا مِنِّــــي هُــــمُ
وَيْلَهُــــمْ يَــــا وَيْلَهُــــمْ يَــــوْمَ المَعَــــادْ»

وقال:

«كُلَّمَــــا فَكَّــــرْتُ فِــــي أَمْــــرِهِمُ
طَــــالَ حُزْنِــــي وَتَغَشَّــــانِي السُّــــهَادْ»

وجدَ رُكُودًا وأيُّ ركود، وجدَ جمودًا وأيُّ جمُود، وجدَ انحطاطًا وحياةً شبهَ منعدِمَةٍ. فماذا عساهُ يفعلُ، وكيفَ يَطِيبُ لهُ مَقَامٌ ويَهْنَأُ لهُ عيشٌ؟

دخلَ «العُقبيُّ» في حالةٍ نفسيَّةٍ رهيبةٍ وأصابَهُ همٌّ وغمٌّ فآثرَ الانطواءَ، وانزوَى في بلدتِهِ منعزلًا ريثَمَا يُبصرُ بصيصًا يحضُّ على العمل ويفكُّ العزلةَ، وهو القائلُ عن نفسِهِ سنةَ (١٩٢٦م):

«غادرتُ تلك البلاد المقدّسة إلى هذه البلاد الجزائريّة بنيّةِ قضاء مآربي هنا وعمل ما يجبُ عمله في قضيّة أملاكنا مع المعتَدِي عليها، ثمّ الرّجوع إلى الحجاز إذا رجعت المياهُ إلى مجاريها. وها أنا ذا الآنَ أسكنُ منذ ستّ سنوات بلدة بسكرة من يوم قدومي إلى هذه البلاد وهو يوم ٤ مارس سنة ١٩٢٠ إلى هذا اليوم، ومن حين قدومي إلى هذه الدّيار لم أشتغل بعملٍ عموميّ ذي بال كما أنّي لم أتعاطَ الكتابةَ والنّشر في الصّحف لأنّي أعتبرُ نفسي منذ رجوعي من الحجاز وبعدما وقع من الحوادث المقلقة السّالبة لكلّ أسباب الرّاحة (بل المفقِدة

للحياة) وبعدما مرَّ على رأسي من اللّيالي المزعجات، قد خرجت عن الحياة السّياسيّة بالكلّيّة وبعدتُ عن العلم وأسبابه بُعد ما بين المشرق والمغرب... ولكنّي منذ أشهر أبديتُ بواسطةِ صحافتنا الجديدة بعض آراء وأفكار في مسائل تخصّ العلم والدِّين...» إلخ[١].

- ومِن شعره المُنبىءِ عن حالتِهِ وشعورِهِ، ما نشره في «الإصلاح» (سنة ١٩٢٩م):

كَرِهْـــتُ الحَيَـــاةَ وَقَـــدْ عِفْتُهَـــا
كَمَـــا عَافَهَـــا اليَـــوْمَ كُـــلُّ أَدِيـــب
فَـــآهٍ لِعَـــيْشٍ عَلَـــى حَالَـــةٍ
أَنَـــا بَـــيْنَ أَهْلِـــي بِهَـــا كَالغَرِيـــب[٢]

- ويومَ زار «العُقبيُّ» قرية «دلّس» (سنة ١٩٣٥م) في جولةٍ إصلاحيّة، استقبله الأستاذ حمزة بوكوشة، مديرُ مدرستها بهذه الأبيات الّتي تُفصِحُ عن كَوَامِنِ الزَّعيم ومعاناتِهِ:

يـــا بُلْبُـــلَ الشَّـــرْقِ مَـــا أَشْـــجَاكَ أَشْـــجَانِي
قُـــمْ نَـــاجِ قَلْبِـــي بِتَغْرِيـــدٍ وتحْنَـــانِ

(١) «الطّيّب العقبيّ... »لمحمّد الطاهر فضلاء، (ص٢١-٢٢).

(٢) «مجاني الأدب»، «الإصلاح »، العدد (٩)، (ص٤)/ تنبيهٌ: صدر البيت الأخير غير واضحٍ في الجريدة، وأَصْلَحتُهُ مِن تقرير الدّكتور عجالي عن آثار العُقبيّ.

فَــإِنَّ مِثْلِــي كَئِيــبٌ حَــلَّ فِي شَــرَكٍ
وَأَنْــتَ مِثْلِــي غَرِيــبٌ بَــينَ أَوْطَــانِ
لَــولَا فُــرُوضٌ عَلَيْنَــا العِلْــمُ يَفرِضُــهَا
مَــا كُنْــتُ أَلْقَــاكَ، بَــلْ مَــا كُنْــتَ تَلْقَــانِي
إِذْ لَا يُقِــيمُ عَلَــى ذُلٍّ يُــرَادُ بِــهِ-
فِي بَلْــدَةٍ قَــدْ جَفَــتْ- إِلَّا الأَذَلَّانِ[١]

تَضْحِيةٌ عظيمةٌ من العُقبيّ... بين الشّوقِ إلى الحجاز وَخِدمة الوطن:

لعليّ أستبقُ الأحداث وأقفزُ سنواتٍ إلى الأمام، وأقول إنَّ «عُقْبِيَّنا» حملَ همَّ الإصلاح الدّينيّ في وطنه الجزائر، وملكَ عليهِ تفكيرهُ، فجعلهُ قضيّتَهُ الأولى، واستنفدَ لَهُ قوّته، فلم يدّخر جهدًا ولا عزمًا، ولم يتأخّر ولم يتقهقر ولم يفرَّ من الزَّحف، وقد كَانَ يُمكنُهُ أن يرجعَ إلى الحجاز بعد أن استردَّ أملاكه المعتدَى عليها، وبعدَ أن استَتَبَّ الأمرُ لابن سعود.

وهاهُو «عُقْبيُّنا» وهو على متنِ الباخرة التي أقلّته مع أصدقائه ورفاقه في الكفاح بعد عشرٍ من السّنين (في سنة ١٩٣٦م) متّجهين إلى العاصمة الفرنسيّة في

---

(١) قصيدةٌ بعنوان: «عِيرُ الحيّ وَالوَتَد»، نُشرت في جريدة «الوزير» التّونسيّة، ٢٢ أوت١٩٣٥م/ بواسطة كتاب «الشّعر الجزائري» للدّكتور صالح الخرفي، (ص:٥٠).

سبيل الدّفاع عن حقوق المسلمين الجزائريّين، وهم في مسامرةٍ أدبيَّةٍ، يَحكي الأستاذ باديس مجرَياتها ويُبدِعُ في وصفها، يقول: «**يَعرف النّاسُ العُقبيَّ واعِظًا مُرشِدًا يُلين القلوب القاسية، ويهدّ البدع والضّلالات العاتية بقُوَّةِ بَيَانِهِ وشِدَّةِ عَارِضَتِهِ، ولكن العُقبيّ الشّاعر لا يعرفهُ كثيرٌ مِن النّاس**، فلمّا ترنّحت السّفينة على الأمواج وهبّ النّسيم العليل هبّ العُقبيّ الشّاعر مِن رقدته وأخذ يُشَنِّفُ أسماعنا بأشعاره ويُطْرِبُنا بنغمته الحجازيّة مرّة والنّجديّة أخرى ويرتجل البيتين والثّلاثة والأربعة في المناسبات، وهاج بالرّجل شوقُهُ إلى الحجاز فلو ملك قيادة الباخرة لما سار بها إلّا إلى «جُدّة» دون تعريجٍ على «مَرْسَايْ»، **وإنّ رجلًا يحمل ذلك الشّوق كُلَّه للحجاز ثمّ يَكْبِتُهُ ويصبر على بلاء الجزائر وويلاتها ومظالمها، لَرَجُلٌ ضَحَّى في سبيلِ الجزائر تضحيةً أيّ تضحية**»(١).

إخْوَانٌ في الفِكْرَةِ وأعوانٌ في العَمَلِ:

وجدَ «العُقبيُّ» ضالَّتَهُ، ولاحَ لهُ ذلكَ النُّورُ الّذي انتظرَهُ، فلبسَ لَأْمَتَهُ، وخاضَ معاركَ الحقِّ ضدَّ الباطلِ، وقادَ جولاتِ العلم تُغِيرُ على معاقلِ الظَّلامِ، وركِبَ مطايَا الإصلاح تَقُضُّ صروحَ الفسَاد وتُقرِّعُ من يأوي إليها. عرفَ النّاسُ مَن «العقبيُّ»؟ وأدركُوا أيَّ رجلٍ يكونُ، وعهِدُوا منهُ ما لم يعهدُوا من غيرِهِ، جنديًّا بل زعيمًا وقائدًا في مُقدَّمِ الصُّفوف والزُّحُوف يُقبِلُ ولا يُدبرُ، ولا يرجعُ إلّا منتصِرًا غانِمًا.

---

(١) «الشّهاب»، م١٢، (ص٣٠٥)، ج٧، رجب ١٣٥٥هـ- أكتوبر ١٩٣٦م.

كان العُقبيُّ يُحرِّرُ المقالات العظيمة في «المنتقِد» ثمّ «الشِّهاب»، ومنها ما أعلنَ عنهُ صاحبُ «الشِّهاب» بقوله:

«انتظِرُوا!!»....إعلانٌ عن مقالةٍ خطيرةٍ:

طلعَ على قُرّاء جريدة «الشّهاب» من الجزائريّين وغيرهم ممّن تصلُ إليهم الجريدة، طلعَ عليهم هذا الإعلانُ الكبير يحملُ بينَ طيّاتِهِ بُشرى عظيمة، لم يزل مُحِبُّو الإصلاح يتشوّفون إليها، ويتشوَّقُون إلى أن تَحِلَّ بدارِهم وتَحُطَّ بساحتِهِم، إذْ كانت تَعْنِي في أوّلِ ما تَعنيهِ شيئين لم يكن بينهما انفكاكٌ، بل امتزَجَا، وإذا ذُكِر أحدهما ذُكِر الآخَر: الدّعوة إلى الإصلاح والحَمْلةُ على الباطل، والآخرُ: صاحبُ الدَّعوة الصّادِعُ بها، وقائدُ الحملة المُغِيرُ على كتائب الضّلال، إنّهُ الزَّعيمُ الكبير: العُقبيُّ، ودُونكَ الإعلانُ الّذي نُشر في [العدد (٤)، (ص٦)]:

«**انتظِرُوا!!** نُبشّر القُرّاء الكرام بمقالٍ خطيرٍ تحت عنوان: «يقولون - وأقول!!» ... للعلّامة الشّيخ الطّيّب العُقبيّ، وهو يشتملُ على أربعة أجزاء ويُنشر تباعًا في «الشّهاب»، فإلى العدد القابل».

نُشِرت أجزاء من المقال، لكن سُرعانَ ما حَدَثَ أَمْرٌ وحَصَلَ نِزاعٌ وسُوءُ تفاهُم:

تَغَاضُبُ الأخوَين وتَبَايُنٌ في الفِكْرَتَيْن:

يُحدّث الأستاذ «محمّد الطّاهر فضلاء» عن الشّيخ «محمّد العيد» الشّاعر، يقولُ: «كان الشّيخ «الطّيّب العُقبي» من الكُتّاب البارزين في جريدتي «المنتقِد»

و«الشّهاب» وهما معًا للأستاذ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، وكان يكتب مقالاته عن السّلفيّة والسّنة والبدعة، مُبينًا بعد الأُمّة عن جوهر دينها تحت وطأة الطّرقيّة...وكانت هذه المقالات تهدم معاقل هذه الطّرقيّة معقلًا فمعقلًا، ممّا جعل بعض مشائخ الطّرق وأتباعهم ومريديهم يفزعون إلى بعضهم ويهرعون إلى الشّيخ عبد الحميد وإلى والده بالذّات (السّيّد الفاضل محمّد المصطفى بن باديس) ليعملا على وقف هذا السَّيل الجارف عليهم وعلى نفوذهم من مقالات الشّيخ «الطيّب العقبيّ»... وكانت ظروف العمل آنذاك تقتضي أن يكون اسم الشّيخ ابن باديس وراء كواليس هذه الجريدة وتلك، ولكن الجميع يعلمون أنّه هو الّذي أسّس الجريدتين...وتسبّب المسعى من مشائخ الطّرق والمتعاطفين معهم إلى صدور بيان يحمل عنوان: «**في سبيل الوفاق**»، جاء فيه ما معناه: «بما أنّ هذا الموضوع قد أخذ حظّه من البحث والنّقاش فإنّ الجريدة تعتذر لقرّائها عن اضطرارها لإغلاق هذا الباب... وعلى كتّابها الأكارم أن يواصلوا مراسلاتهم في غير هذا الموضوع، فالمواضيع واسعة وخدمة المجتمع فيها أجدى وأنفع...» إلخ.... وقرأ الشّيخ «الطّيّب العُقبيّ» هذا البيان في حينه، فأدرك أنّ الباطل هو الّذي دبّر، وهو الَّذِي كادَ كيده الآثم، وهو الّذي بدا مُنتصِرًا في المعركة – فثار ثورةً عارمةً وأعلن أنّ البيان فيه اسْتِخْذَاءٌ للباطل أهله، وَأَنَّهُ ضعفٌ مِن أهل الحقّ يُؤدّي إلى ضَعفِ الحقّ أمام جَحَافِلِ الباطل... ثمّ أعلن مقاطعته للجريدة الّتي كان يكتبُ فيها...».

– ويُحدّثنا الشّيخ أحمد حماني عن ذلك أيضًا فيقول: «كان الشّيخ عبد

الحميد بن باديس يَجْنَحُ – نوعًا ما – إلى الأخذ بالرِّفق واللِّين والدّعوة بالّتي هي أحسن، ويعزّ عليه ما وصلت إليه الحال بين كُتّاب الطّرفين، وبعد ١٨ عددًا من «المنتقِد» ومثلها مِن «الشّهاب» نشر الأستاذ ابن باديس في عدد «الشّهاب» (١٩) مقالًا تحت عنوان «**في سبيل الوفاق والتّفاهم**» قال عنه ابن باديس – في عدد (٧٥) «أردنا به جمع الكُتّاب على نقطةٍ خاصّةٍ مِن الإصلاح و إيقاف ذلك التّيّار القويّ مِن الكتابة الإصلاحيّة»... ولكن هذه الدّعوة لم تَرُق لبعض الكتّاب، وعلى رأسهم – فيما يقول «الشّهاب» - العلّامة المصلح الشّيخ العُقبيّ لأنّه عدّه تحجيرًا تامًّا ومَنعًا صريحًا لكلّ كتابةٍ في الإصلاح الدّينيّ أو ما حام حوله. وبقي الأستاذ العُقبيّ مُصِرًّا على المقاطعة والاِمتناع التّامّ عن الكتابة، ولم يقتنع بما ذكره «الشّهاب» من مبرّرات»[1].

يقول الأستاذ محمّد الطّاهر فضلاء -رواية عن الشّيخ محمّد العيد-: «وحاول الشّيخُ ابن باديس استرضاءَ الشيخ «العقبيّ» وإقناعه بضرورةِ العودة إلى الكتابة في مواضيع مختلفة، فلم يجد من وسائلِ إقناعهِ واسترضائِهِ غير الاِنتقال إليه في بسكرة. وقال الأستاذ محمّد العيد رَحِمَهُ اللهُ: وبعث الشّيخ عبد الحميد إلى والدي يُخبره بأنّه سينزل في بسكرة بالقطار يوم كذا، وهو يودّ الاجتماع بالشّيخ الطّيّب العقبيّ عندهُ... وحاول الشّيخ عبد الحميد إقناع الشّيخ الطّيّب بوجهة نظر

---

(١) «صراع بين السّنّة والبدعة» لأحمد حماني، (٢/ ٢٦).

الجريدة في غلق باب الموضوع الّذي كان يكتب فيه «ضدّ الطّرقيّة المبتدعة»، وأنّه إجراء مؤقّت لا بدّ من العودة إليه حينما تتوفّر الظّروف الملائمة... ولكنّ الشّيخ العُقبيّ أصرّ على رأيِهِ وساق من الحجج ما اقتنع به الشّيخ ابن باديس فَوَعَدَ خيرًا ولم يزِدْ. ولكنّه عندما وصل إلى قسنطينة، أعلن فتح باب النّقاش مرّة ثانية، ودعا في إعلانه هذا إلى عودةِ الشّيخ الطّيّب العُقبيّ... ومِن هذا الموقف، نعلم كيف كان هؤلاء الأخيار من علمائنا الأحرار يقدرون الشّيخ العُقبيّ حقّ قدره ويهتمُّون الاهتمام كلّه بضرورة احترام آرائِهِ»(١).

- ويقول الشّيخ أحمد حماني: «اضطرّ «الشّهاب» إلى زيادة بيانٍ في مقالٍ آخر نشره تحت عنوان «**في سبيل الدّعوة والإرشاد**»، و دعا الكُتّاب المصلحين إلى العودة للكتابة في نقد الدّجل والدّجّالين، وأنّه لم - ولن - يحجّر على الكتّاب الخوض في نقد أعمال الطّرقيّين، وإنّما أوقفنا ذلك التّيّار القويّ حيث رأينا أنّه بلغ حدّه ووصل إلى منتهاه. ولكن هذا البيان لم يكُن كافيًا لإرضاء الشّيخ العُقبيّ الّذي بلغ به الغضب أشدّه، حتّى جاء هذا العدد - (٧٥) من «الشّهاب» - بعد الاِعتداء على الأستاذ - فصرّح أنّه يُعيد الحرّيّة إلى الكتّاب، وصرّح باسمِ الشّيخ العُقبيّ»(٢).

قُرَّاءُ «الشِّهاب» يفتقِدُونَ الزَّعيم:

كتبَ ابنُ باديس صاحِبُ «الشِّهاب» يقولُ: «كثيرًا ما تساءَلَ قرّاءُ هذه الصّحيفة

(١) «الطّيب العُقبيّ... » لمحمّد الطّاهر فضلاء، (ص٤٦-٥١).

(٢) «صراع بين السُّنّة والبدعة» لأحمد حماني، (٢/ ٢٦-٢٧).

عن **العلّامة السّلفيّ الشّيخ الطّيّب العُقبيّ** الّذي كانت مقالاتُهُ تملأُ صحيفتَي «المنتقِد» و[«الشِّهاب»] بلاغةً وتذكيرًا؛ وتملأ الجوَّ الإصلاحيَّ نارًا ونُورًا... نعم! حُقَّ لهم أن يتساءلوا، فإنَّ مَن تذوَّق تلك الفصاحة والصّراحة ثمّ فقدهما، لا بدّ أن يتحفى في السّؤال عنهما. علَّامتُنَا العقبيُّ مجبولٌ على الصَّراحة؛ بَطَلٌ مِغوارٌ في سبيل إعلان الحقيقة؛ غيرُ هيَّابٍ لما يعترضه؛ ولا وَجِل ممّا يترصّده؛ وما كان –وهذه صفاته– أن يرضى من «الشّهاب» ما تضمّنته مقالة «**في سبيل الوفاق والمفاهمة**» فأعلن ذلك بانقطاعه عن الكتابة في هذه المدّة.

للأستاذ –مع الاحترام– حرّيّته وفكره، ولِـ «الشِّهاب» –ومُوافقوه كثير– نظرته وعذره، وعند اتِّحاد القلوب والمبادئ والأفكار، لا تضرّ مخالفة الأنظار، وربّما عاد الشّيخ إلى جريدته، مع محافظته على نظريّته، ونحن له شاكرون وعاذِرُون على كلّ حال»(١).

– وأسوقُ مقال «**في سبيل الدّعوة والإرشاد أيضًا ..**» لابن باديس كاملًا، وفيهِ خِطابٌ مباشرٌ للزَّعيم العُقبيّ، قال:

«كنّا فيما سبق نشرنا مقالًا تحت عنوان «**في سبيل الوفاق والتّفاهم**» أردنا به جمع الكتّاب على نقطةٍ خاصّة من الإصلاح وإيقاف ذلك التّيّار القويّ من الإصلاح، وإيقاف ذلك التّيّار القويّ من الكتابة الإصلاحيّة ظنًّا منّا أنّ هذا يكون

---

(١) «الشِّهاب»، العدد (٣٤)، (ص:٩-١٠).

له تأثير حسن في قلوب قرّاء وكتّاب جريدة «الشّهاب»، لكن أنتجت هذه الكتابة خلاف ما نظنّ، فقد فهمها غالبُ الكُتّاب الإصلاحيّين – **وفي مقدّمتهم العلّامة المصلح الشّيخ الطّيّب العُقبيّ** – تحجيرًا باتًّا و منعًا صريحًا لكلّ كتابةٍ في الإصلاح الدّينيّ أو ما حام حول هذا. ورفعًا لذلك الاِشتباه الّذي علق بأذهان الكتّاب، ودفعًا لكلّ ما عسى أن يتّخذوه حجّة لهم في قطع الكتابة في جريدتنا «الشّهاب»، نشرنا مقالًا تحت عنوان «**في سبيل الدّعوة والإرشاد**»، طلبنا فيه من كتّابنا الكرام الرّجوع إلى الكتابة في نقد الدّجل والدّجّالين، وأَفهمناهم أنّنا لم نكن – ولن نكون – لنحجّر على كتّابنا الخوض في نقد أعمال الطّرقيّين، إنمّا أوقفنا ذلك التّيّار القويّ حيث رأينا أنّه بلغ حدّه ووصل إلى منتهاه، ورجونا من بعد ذلك أن تُوافينا منهم كتاباتهم الّتي اعتدناها منهم في أوّل الأمر. **لكن هاته الكتابة – ويا للأسف – لم تكن لترُوق لدى مَن تَعَوَّدَ الصّراحة في القول والبيان في الحجّة من كتّابنا المصلحين – وعلى الأخصّ ذلك الرّجل الصّريح في لهجته الثّابت في مبدئه علّامتُنا الشّيخ الطّيّب العُقبيّ** – فإنّه لم يرها كافيةً كفايةً تامّةً وصريحةً صراحةَ حقِّه في رفع مقال «**في سبيل الوفاق والتّفاهم**»، ونحن نؤكّد لحضرته ولكلّ مَن كان على شاكلته أنّنا أَضْرَبْنَا على ذلك المقال الّذي زال بزوال ما اقتضاه من الأحوال، ورجعنا إلى خطّتنا القديمة الّتي أسّسنا الجريدة من أجلها بدون تحفّظ و بدون استثناء. فليعلم هذا كلُّ مصلح كريم وكاتب قديم، وليأخذ هاته الكلمات منّا ميثاقًا صحيحًا وعهدًا صادقًا، إنّنا نُوالي جهودنا وكتاباتنا في موضوع الإصلاح الدّينيّ، ونقبل كلّ كتابةٍ ترد علينا في هذا الموضوع، فلا

يُحوجنا إخواننا الإصلاحيّون إلى كتابةٍ غير هاته، وحسبنا الله ونعم الوكيل»[١].

رُجُوعُ الزَّعِيم:

كان لهذه الكلمة أثرُها الكبير على الشّيخ العُقبيّ، فنشرَ مقالًا عنوانه: «**أمَّا الآن فنَعَمْ! وقد وجب الرّجوع**»....، صرَّحَ فيهِ: «إنّ هذا مِن «الشّهاب» يُعَدّ رفعًا لقانونٍ ثقيل؛... وما كنتُ لأرضى – ولن أرضى أبدًا – بإعطاء أهل الطُّرق وأرباب الزّوايا مثل هذه الإمتيازات المجحِفة بحقوقنا – معشرَ الكاتبين –...»[٢].

وكانَ العُقبيُّ قَدْ ذَكَرَ سبب عداوة الطّرقيّين له واشتدادهم في حربه والوشاية به إلى الحكومة، وأرجعها إلى سببين: السّبب الأوّل: تورّط بعضهم في الإعتداء والسّطو على أملاكه وأملاك والده، والسّبب الآخر: يقول عنه: «لأنّي أقلقتُ راحتهم كثيرًا بوجودي بهذه الدّيار وأخذت العامّة تفرّ «على أثر ما كتبتُهُ وأذعتُهُ بواسطة الجرائد مِن تعاليم دين الإسلام الحقّة» عنهم فقلّت وارِدَاتُهُم وفسدت عقيدة الأُمّة في أولياء الله الذّاكرين «الضّاربين بالدّفوف والمزمِّرين» وغَاظَهُم ذلك وكاد يُفْلِتُ أو أَفْلَتَ بالفعل منهم صيدُهم السّمِين وكنزهم الثّمين...»، وذكر العُقبيّ أنّ بعضهم سمّاهُ: «**ثائِرًا على المرابطين**»[٣].

ولمَّا سَأَلَهُ «فرنسيٌّ كبيرٌ ذُو مجلّةٍ شهيرةٍ»: «لماذا تُحاربون المرابطين؟»،

---

(١) «الشّهاب»، العدد (٧٥)، جمادى الثانية ١٣٤٥هـ، دسامبر ١٩٢٦م، (ص٢٠-٢١).

(٢) «صراع بين السُّنّة والبدعة» لأحمد حماني، (٢/ ٢٧).

(٣) «الشِّهاب»، العدد (١٠٥)، (ص١١).

أجابه: «نحن لا نُحارب المرابطين لعداوةٍ شخصيّةٍ بيننا وبينهم، أو حسدًا لهم على ما أوتوا من مرتبةٍ وجاهٍ، ولكنّنا نُحارب الجهل والضّلال اللّذين تلبّسوا بهما، فنَشَأَ عن ذلك الإضرار المادّيّ والأدبيّ بهذه الأُمّة، حتّى بلغت أقصى دركات الاِنحطاط الفكريّ والاِجتماعيّ معًا، كما هو مشاهَدٌ ومعلومٌ مِن حالِ الأمّة الإسلاميّة اليوم»، ثمّ سألهُ: «لماذا تُحاربون الطُّرُق؟»، فأجابه بقوله: «نُحارِبُ الطُّرُق لأنَّهُ لا طُرُقَ في دِينِ الإسلام، وإنّما هو دِينٌ واحدٌ وطريقٌ جامعةٌ» اهـ[1].

مقال «يقولون... وأقول!!» في جريدة «البرق»:

طلع العدد (١٠) من جريدة «البرق»، وظهر على صفحاته (ص٣) مقال: «**يقولون... وأقول!!**»، قدّم له مُحرِّر «البرق»(الشّيخ السّعيد الزّاهريّ) بالمقدّمة الآتية:

«كان الأستاذ العُقبيّ في العام الماضي يَنشُرُ سلسلةَ مقالاتٍ بهذا العُنوان بِـ«الشّهاب» مِن قبلِ أن تُبدِّلَ تلك الجريدة خطّتها، ثمّ كفّ يده عن النّشر حينما أَحْدَثَتْ «الشّهاب» في دينها ما ليس منه، وها هو اليوم أَرسل بهذه المقالات إلينا لننشرها بِـ«البرق»، ونحن ننشر ولكنّنا نرى بل ونتمنّى على الأستاذ أن يردّها إلى أختنا «الشّهاب»، فهي أحقّ بها وأولى، ويكفي «الشّهاب» فضيلةً أن جنحَ إلى

---

(١) نشره ابن باديس في مجلّته «الشّهاب»، م١١، (ص:٢٨٦-٢٨٨)، تحت عنوان: «أجوبةٌ حكيمة».

الإنابة والمَتَاب».

«حول مقال «يقولون... وأقول!!»»:

تحت هذا العنوان كتب ابن باديس [العدد (١١٠)، (ص١٥-١٦)] يقول:

«لقد علم القُرّاء وعلم النّاس كلّهم أنّنا أسّسنا جريدتنا «الشّهاب» - كأختها «المنتقِد» - لخدمة الدّين الإسلاميّ العزيز، بنشر بيانات وتعاليم تتجلّى فيها روحه الحقّة للنّاس تجلّيًا محسوسًا، وبردّ ضلالات وجهالات أُلصقت به ظلمًا وعدوانًا وهو منها بريء. فكانت جريدة «الشّهاب» تسير على هاته الخطّة المثلى وتنتهج هذا المنهج الأقوم بكلّ هدوء وثبات، حتّى طرأ عليها في سبيلها ما دعاها إلى الإمساك عن نشر بعض المقالات الإصلاحيّة الّتي مِن ضمنها مقالات الأستاذ الكبير الشّيخ الطّيّب العُقبيّ حفظه الله.

لم يكن ذلك الإمساك منها إِحْدَاثًا في أمر دينها ما ليس منه، ولا ارتدادًا عن مبدئها الّذي نعتقد بحقّ أنّه أعزّ ناصرًا وأقوم سبيلًا، ولكنّها كانت تحسب أنّ ذلك أَجْدَى لها في إقامة الحجّة على أولئك الّذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتِمّ نوره.

ورغم هذا فإنّ كثيرًا من كتّابها الكرام استاؤوا جدّ الاِستياء من هذا الإمساك الّذي لم يكن بالعمل المبرور في نظرهم، وأخذوا يحتجّون ضدّه بكلّ ما لهم من قوّة وطَول. وأخيرًا عمد البعض منهم إلى مقاطعة جريدة «الشّهاب» مقاطعةً كان وَقْعُهَا على القُرّاء عظيمًا.

لم يشأ الأستاذ العُقبيّ (وهو أكثر الكاتِبين استياءً) أن تبقى مقالاته الّتي منها بقيّة مقال «**يقولون... وأقول!!**» بإدارتنا، فرغب إلينا أن نردّها عليه، وأن نسرع بإرجاعها إليه، ونحن -وإن هَالَنا من الأستاذ في ذلك الوقت هذا الاِقتراح المؤلم- فقد أجبنا رغبته آسفين وآسفين جدًّا.

وبالطّبع لمّا رجعت جريدة «الشّهاب» إلى خطّتها الأولى رجع إليها كُتّابها الأبرار، وأنصارها الأحرار (وفي مقدّمتهم الأستاذ العُقبيّ)، وكانت تحسب أنّها ستعمد يومًا ما إلى نشر ما أمسكت عن نشره من المقالات الإصلاحيّة المناسبة متى اقتضى الحال ذلك.

والآن وقد رأينا رصيفتنا جريدة «البرق» المحترمة نشرت فصلًا من مقال «**يقولون... وأقول!!**» الّذي زيّنّا بصدره أعمدة «الشّهاب» في أعداد متوالية، وقالت: إنّ الأستاذ العُقبيّ أرسله إليها وأنّها ترى وتتمنّى عليه أن يردّه إلى مجلّة «الشّهاب»، لأنّها أحقّ بذلك المقال وأولى - فنحن نضمّ صوتنا إلى صوت جريدة «البرق» الغرّاء، ونرى بصدق وإخلاص بل نتمنّى على الأستاذ العُقبيّ أن يردّ مقال: «**يقولون... وأقول!!**» إلى مجلّة «الشّهاب»، لأنّها بحقّ أحقّ به وأولى... «**الإدارة**»».

جوابُ العُقبيّ إلى صاحب «الشّهاب»: «أحقُّ به وأوْلَى...»:

كتب العُقبيُّ إلى صاحب «الشّهاب» يُجيبُهُ حول مقالِهِ «يقولون... وأقول!!»، فقالَ: «**أحقُّ به وأَوْلَى...**»:

«حضرات السّادة أصحاب «الشّهاب» الرّاصد الثّاقب، القَبَس الّذي يرجم ويحترق به أولياء الشّيطان الخاسرون، ويهتدي به أولياء الرّحمن المؤمنون المتّقون، سلامٌ عليكم عدد رَجْمِ الشُّهُب للشّياطين، وسلامٌ عليكم طِبتُم يا حزب الله الموحّدين، وسلامٌ عليكم ما دُمتُم تَدعون إلى الكتاب والسّنّة وعمل السّلف الصّالحين... وبعد فقد طالعت ما كتبتموه في عدد (١١٠) من «الشّهاب»: «حول مقال «يقولون... وأقول!!»»....»إلخ[1]، وفيهِ وافق العقبيُّ على ردِّ مقال «يقولون... وأقول!! » إلى «الشّهاب».

مقال «يقولون... وأقول!!» يعودُ إلى «الشّهاب»:

عاد المقال إلى «الشّهاب»، فعادت هيَ إلى نشرِ تتمّة الأجزاء، وحلّاها الشّيخ ابن باديس بالكلمات الآتية:

«الأستاذ العُقبيّ أشهر مِن أن نعرّف به، ونتحدّث عن ثباته وإخلاصه وصراحته وجراءته، ولقد كان منذ أيّام الحجاز وحلّ ببلدة «سيدي عقبة» معلنًا بكلمة الحقّ، داعيًا إلى الكتاب والسّنّة، مُنكِرًا لشِرك القبوريّين، وبدع الطّرقيّين، وكان له من جرّاء ذلك أعداء، وكان له بسببه خصوم، وكانت له معهم مواقف وكانت له عليهم ردود. ولمّا رُفِع أوّلُ صوتٍ للإصلاح على صفحات «المنتقِد»، وكان الأستاذ أوّل مَن لبّاها وناصرها، كان ممّا نشره على العموم محاورات

(١) «الشّهاب»، العدد (١١٣)، (ص١٨-١٩).

ومناظرات دارت بينه وبين خصومه تحت العنوان أعلاه، كان لها وقعٌ حسن عند القرّاء، بما فيها من حسن الحوار ولطف الاِحتجاج. وقد كنّا نشرنا معظمها، ونحن اليوم نتحف القرّاء الكرام ببقيّتها في أعداد متتابعة، وللأستاذ شكرنا على خدمته الحقّ ومناصرته. «**الشّهاب**»اهـ[1].

(١) «الشّهاب»، السّنة الثّالثة، العدد (١١٥)، ٠٢ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ، ٢٩ سبتمبر ١٩٢٧م، (ص١٧-١٩).

بين سلفي وخصومه

يقولون ... وأقول !!

ماذا ينتقدون عليَّ .. ؟ وبِمَ أُجيب ؟ .

ألا فليعش المصلحون ! وليخسأ المبطلون !

قصيدة « إلى الدين الخالص .... »

ومقالات أخرى

بقلم

الزعيم الكبير داعية الإصلاح الديني

خطيب السلفيين وشاعرهم وكاتبهم

الشيخ الطيب العقبي رحمه الله

(ت: ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م)

المجموعة الأولى

إلى الدين الخالص ...

كتبَ مُحرِّرُ «المنتقِد» ما يلي:

«تحت هذا العنوان جاءتنا هذه (القصيدَة) (١) الإِصلاحيّة للعلَّامة المرشِد صاحب التَّوقيع

فحَلَّيْنَا بها صدر هذا العدد تبصرةً وذِكرى لقومٍ يُؤمنون.

و«المنتقِد» يَتحدَّى بها كلّ ذي علمٍ تُحدّثه نفسُهُ بمُعارضتها إلى مُعارضتها بصحيحِ الأدلّة مِن الكتاب والسُّنّة وكلامِ سَلَفِ الأُمّة (٢).

---

(١) كلمةٌ غيرُ واضحة في الجريدة، وهكذا أُثبِتت في تقرير الدّكتور عجالي عن آثار العُقبيّ.

(٢) كتب مُحَرِّر جريدة «صدى الصّحراء»، عدد (١٣)، (ص٣)، تحت عنوان: «شهامة «باش عدل» الوادي «سُوف»» ما يلي: «كان أرسل لنا هذا السّيّد المعلَن عنه بكلامٍ سمّاه نظمًا. زعم أنّه يردّ به على قصيدة «إلى الدِّين الخَالِص» تلك القصيدة الَّتِي اشترط المتحدِّي بها على كلّ من تُحدِّثُهُ نفسُه مِن ذَوِي العِلم بمُعارضتها – أن يعارضها مِن الكتاب والسّنّة وعمل السّلف الصّالح– لا باللّغو وفُضُول الكلام: استلمنا ذلك الشِّعر أو الشَّعر ومعه جواب مِن صاحب الشّهامة المذكور هذا نصّه:

«الوادي» ٩ جانفي ١٩٢٦. إلى حضرة الهُمام السّيّد مُدير جريدة «صدى الصّحراء»: السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته: «وبعد فالمطلوب من حضرتكم نشر القصيدة المسمّاة «**إرشاد الضّالّين**» حيث تكون كالمتن وسيأتيكم بعد نشرها ما يكون كالشّرح لها إن شاء الله ولكم الفضل والسّلام «الإمضاء».

=

ويتكفّل بنشر ما يَرِدُ عليه من جميع المعارضين(١)، ومن لم يفعل منهم وبقي

=

لم نشأ نشر تلك القصيدة المشار إليها في جوابه خوفًا مِن أن يحكم كلّ القرّاء على جريدتنا بالسّقوط واعتبارها ككَشْكُول تسوال أو «جِرَاب الكردي».. سيّما وما اشتملت عليه تلك القصيدة ما يخالف مبدأ جريدتنا تمامًا سواء من جهة الألفاظ أو من جهة المعنى.. وما كاد يطول زمن الإعراض عن نشرها حتّى وافانا الكتاب الثّاني مِن حضرة المتحمِّس في شأنها ... أمّا القصيدة فجوابنا عنها هُو أنّ الله قد كفانا شرّها وشرّ نشرها، حيثُ سبقتنا إلى هذه الفضيلة رصيفتُنا جريدة «النّجاح» الغرّاء الّتي هي أحقّ بها وأهلها..».

قلتُ: نشرت القصيدة بجريدة «النّجاح»، عدد (٢٦٨)، وعُنوانها: «**إرشاد الضّالّين إلى سبيل أهل الحقّ المبين**» لناظمها: الشّيخ إبراهيم بن محمّد السّاسي بن إبراهيم، «باش عدل محكمة الوادي»، ضمَّنها أبيات العُقبيّ:

«**أيُّهــا الأقــوام إنْ تَبْغُــوا الهُــدَى   مَــالَكُمْ وَاللهِ غيــر العِلْــمِ هَــاد**»!

وفي ظنّي أنّ النّاظم هو: الشّيخ إبراهيم بن محمّد السّاسي بن عامر الملقّب بِـ: «العوامر»، وهو مِن إخوان الطّريقة التّجانيّة والقادريَّة، وهو مِن رجال القضاء الشّرعي(برتبة «باش عدل») في «وادي سوف» إلى حصل بينه وبين الإدارة الفرنسيَّة خلاف وسُجن ثمّ أبعد إلى بلدة «أولاد جلّال» ومنها إلى «تقرت» إلى أن توفّي سنة (١٩٣٤م). ومن تلاميذه الشّيخ العالم المصلح حمزة بوكوشة، وقد كان على صلةٍ وثيقةٍ به، ورثاهُ بقصيدةٍ عند وفاته، وفيها يذكرُ أنّ شيخه تراجعَ عن خطّته القديمة وصار يُثني على الإصلاح والمصلحين. انظر: مقالي في ترجمة الشّيخ بوكوشة في مجلّة «الإصلاح»، العدد (٩)، (ص٦٧-٦٨)، ومقدّمات كتاب «الصُّرُوف في تاريخ الصّحراء وسُوف» لإبراهيم العوامر (ص١٢و٢٠و٢٢و٢٥).

(١) في العدد (١٢) مِن «المنتقِد» [الخميس٢٨ صفر ١٣٤٤هـ، ١٧ سبتمبر ١٩٢٥م]، (ص٣)، وتحت عنوان: «**لا نعترف بالمجهُول**»، كتب المُحرّرُ ما يلي: «جاءتنا رسالة مِن «قصر البخاري»

=

يَلْغُو في المجالس والحوانيت فإنّهُ يكونُ من الجُبناء الكاذبين المفسدين».

أَيُّهَـــا الأَقْــــوَامُ إِنْ تَبْغُـــوا الهُــدَى
مَـــالَكُمْ وَاللهِ غَيْــرُ العِلْـــمِ هَـــادْ!

حالةٌ مُوجِبةٌ للاستعبار وعِظةٌ مُوجِبةٌ للاعتِبار[1]:

مَاتَـــتِ السُّـــنَّةُ فِـــي هَـــذِي الـــبِلَادْ
قُبِــرَ العِلْـــمُ وَسَـــادَ الجَهْـــلُ سَـــادْ
وَفَشَـــا دَاءُ اعْتِقَـــادٍ بَاطِــــلٍ
فِـــي سُـــهُولِ القُطْـــرِ طُـــرًّا وَالنِّجَـــادْ
عَبَـــدَ الكُـــلُّ هَـــوَاءَ شَـــيْخِهِ!
جَــدِّهِ! ضَــلُّوا وَضَــلَّ الاِعْتِقَـــادْ
حَكَّمُـــوا عَـــادَتَهُمْ[2] فِـــي دِيـــنِهِمْ
دُونَ شَـــرْعِ اللهِ إِذْ عَـــمَّ الفَسَـــادْ

=

بإمضاء: «زيد»؟ حاول كاتبُها أن يردّ على قصيدة «إلى الدِّين الخالِص»، ولو صرّح باسمه لنا لنشرناها بإمضاءٍ مُستعار، فهل هُو مُستعِدٌّ لهذا؟» اهـ.

(١) هذه العناوين المُثبَتَة في القصيدَة هِيَ مِن وضعِ الشّيخ مبارك الميليّ الّذي أعادَ نشرَهَا في «رِسالة الشِّرك ومظاهره» (ص٢٨٤-٢٨٨)، ط٢/ ١٩٦٦م، مكتبة النّهضة الجزائريَّة - الجزائر.

(٢) في «المنتقد»: عاداتهم، وما أثبتُّه من «رِسالة الشِّرك ومظاهره».

لَسْــــتُ مِــــنْهُمْ لَا وَلَا مِنِّـــي هُــمُ
وَيْلَهُــــمْ يَـــا وَيْلَهُــــمْ يَــوْمَ المَعَـــادْ

يَــوْمَ يَـــأْتِي الخَلْــقُ فِــي الحَشْــرِ وَقَــدْ
نُشِــــرُوا نَشْــــرَ فَــــرَاشٍ وَجَــــرَادْ

يَــــوْمَ لَا تَــــنْفَعُهُمْ مَعْــــذِرَةٌ
وَلَظَــــى مَــــأْوَاهُمْ بِــئْسَ المِهَـــادْ

يُصْــــهَرُ السَّـــاكِنُ فِـــي أَطْبَاقِهَـــا
كُلَّمَـــا أُحْــرِقَ مِنْــهُ الجِلْــدُ عَــادْ

وَكَّـــلَ اللهُ بِمَــــنْ حَـــلَّ بِهَـــا
جَمْــــعَ أَمْــلَاكٍ غِــلَاظٍ وَشِــدَادْ

أَكْلُهُــــمْ فِيهَـــا ضَــرِيعٌ شُــرْبُهُمْ
مِـــنْ حَمِـــيمٍ لُبْسُــهُمْ فِيهَـــا سَــوَادْ

كُلَّمَـــا فَكَّـــرْتُ فِــي أَمْــرِهِمُ
طَـــالَ حُزْنِــي وَتَغَشَّـــانِي السُّـــهَادْ

نَصيحةٌ غاليةٌ:

أَيُّهَـــا الأَقْـــوَامُ إِنْ تَبْغُـــوا الهُــدَى
مَـــالَكُمْ وَاللهِ غَيْــرُ العِلْــمِ هَـــادْ!

إِنَّنِــــي أَنْصَـــحُكُمْ نُصْـــحَ امْـــرِئٍ
مَالَـــهُ غَيْـــرُ التُّقَـــى وَالخَـــوْفِ زَادْ
كُلَّمَـــا يَـــنْقُصُ يَوْمًـــا عُمْـــرُهُ
خَوْفُـــهُ مِـــنْ هَـــوْلِ يَـــوْمِ الحَشْـــرِ زَادْ
مَـــا زَرَعْـــتُمْ فِـــي غَـــدٍ[1] تَلْقَوْنَـــهُ
لَـــيْسَ يُجْـــدِي نَـــدَمٌ يَـــوْمَ الحَصَـــادْ

اعتقادٌ نَقِيٌّ واتِّصافٌ بهِ:

أَيُّهَـــا السَّـــائِلُ عَـــنْ مُعْتَقَـــدِي
يَبْتَغِـــي مِنِّـــي مَـــا يَحْـــوِي الفُـــؤَادْ
إِنَّنِـــــي لَسْـــــتُ بِبِـــــدْعِيٍّ وَلَا
خَـــارِجِيٍّ دَأْبُـــهُ طُـــولُ العِنَـــادْ
يُحْـــدِثُ البِدْعَـــةَ فِـــي أَقْوَامِـــهِ
فَـــتَعُمُّ الأَرْضَ نَجْـــدًا وَوِهَـــادْ
لَـــيْسَ يَرْضَـــى اللهُ مِـــنْ ذِي بِدْعَـــةٍ
عَمَـــلًا إِلَّا إِذَا تَـــابَ وَهَـــادْ

(١) في «المنتقد»: غدا.

لَسْتُ مِمَّنْ يَرْتَضِي فِي دِينِهِ
مَا يَقُولُ النَّاسُ زَيْدٌ أَوْ زِيَادْ(١)
بَلْ أَنَا مُتَّبِعٌ نَهْجَ الأُلَى(٢)
صَدَعُوا بِالحَقِّ فِي طُرْقِ الرَّشَادْ
حُجَّتِي القُرْآنُ فِيمَا قُلْتُهُ
لَيْسَ لِي إِلَّا عَلَى ذَاكَ اسْتِنَادْ
وَكَذَا مَا سَنَّهُ خَيْرُ الوَرَى
عُدَّتِي وَهُوَ سِلَاحِي وَالعَتَادْ
وَبِذَا أَدْعُو إِلَى اللهِ وَلِي
أَجْرُ مَشْكُورٍ عَلَى ذَاكَ الجِهَادْ
مِنْكُمُ لَا أَسْأَلُ الأَجْرَ وَلَا
أَبْتَغِي شُكْرَكُمْ بَلْهَ الوِدَادْ
مَذْهَبِي شَرْعُ النَّبِيِّ المُصْطَفَى
وَاعْتِقَادِي سَلَفِيٌّ ذُو سَدَادْ
خُطَّتِي؟ عِلْمٌ وَفِكْرٌ نَظَرٌ؟

---

(١) في «رِسالة الشِّرك ومظاهره»: زيدٌ وزياد.

(٢) في «المنتقِد»: الأولى.

فِـــي شُـــؤُونِ الكَــوْنِ بَحْــثٌ وَاجْتِهَـــادْ

وَطَرِيــــقُ الحَـــقِّ عِنْـــدِي وَاحِـــدٌ

مَشْـــرَبِي مَشْـــرَبُ قُـــرْبٍ لَا ابْتِعَـــادْ

اعتقادٌ شِركيٌّ وبَرَاءةٌ منه:

لَا أَرَى الأَشْـــيَاخَ فِـــي قَبْضَـــتِهِمْ

كُـــلُّ شَـيْءٍ بَـــلْ هُـــمُ مِثْـلُ العِبَـــادْ

وَعَلَـــى مَـــنْ يَـــدَّعِي غَيْـــرَ الَّـــذِي

قُلْتُـــهُ إِثْبَـــاتُ دَعْـــوَى الاِتِّحَـــادْ

قَـــالَ قَـــوْمٌ سَـــلِّمِ الأَمْـــرَ لَهُـــمْ

تَكُـــنِ السَّـــابِقَ فِـــي يَـــوْمِ الطِّـــرَادْ

تَنَـــلِ المَقْصُـــودَ تَحْظَـــى بِـــالمُنَى

وَتَـــرَى خَيْلَـــكَ فِـــي الخَيْـــلِ الجِيَـــادْ

قُلْـــتُ إِنِّـــي مُسْـــلِمٌ يَـــا وَيْحَكُـــمْ

لَـــيْسَ لِـــي إِلَّا إِلَـــى الشَّـــرْعِ انْقِيَـــادْ

قَـــوْلُكُمْ هَـــذَا هُـــرَاءٌ أَصْـــلُهُ

مَـــا رَوَتْ هِنْـــدٌ وَمَـــا قَالَـــتْ سُـــعَادْ

أَنَـــا لَا أُسْـــلِمُ نَفْسِـــي لَهُـــمُ

لَا وَلَا أُلْقِـــي إِلَـــيْهِمْ بِالقِيَـــادْ

لَسْـــتُ أَدْعُـــوهُمْ كَمَـــا قُلْـــتُمْ وَقَـــدْ

عَجَزُوا عَنْ طَرْدِ بَقٍّ أَوْ قُرَادْ

لَسْتُ مِنْ قَوْمٍ عَلَى أَصْنَامِهِمْ

عَكَفُوا يَدْعُونَهَا فِي كُلِّ نَادْ

كُلَّمَا أَنْشَدَ شَادٍ فِيهِمُ

قَوْلَ شِرْكٍ ذَهَبُوا فِي كُلِّ وَادْ

كَمْ بَنَوْا قَبْرًا وَشَادُوا هَيْكَلًا

وَصُرُوحُ الغَيِّ بِالجَهْلِ تُشَادْ

غَرَّهُمْ مَنْ دَاهَنُوا فِي دِينِهِمْ

وَارْتَضَوْا فِي سَيْرِهِمْ (ذَرَّ الرَّمَادْ)

سُوءُ أثر الطُّرقيّة في المجتمع:

إِنَّنِي أَلْعَنُهُمْ مَهْمَا[1] بَدَا

حَاضِرٌ فِي إِفْكِهِ مِنْهُمْ وَبَادْ

وَأَنَا خَصْمٌ لَهُمْ أُنْكِرُهُمْ

كَيْفَمَا كَانُوا جَمِيعًا أَوْ فُرَادْ

عَلَّمُونَا[2] طُرُقَ العَجْزِ وَمَا

---

(١) في «رِسالة الشِّرك ومظاهره»: مما.

(٢) في «المنتقِد»: عالمون، وفي «رسالة الشّرك ومظاهره»، وكذا في تقرير الدكتور عجالي عن آثار العقبيّ: علّمونا.

مِـــنْهُمْ مَـــنْ لِسِـــوَى الشَّـــرِّ أَفَـــادْ

طَالَمَـــا جَـــدَّ الـــوَرَى فِـــي سَـــيْرِهِمْ

وَهُـــمُ كَـــمْ صَـــدَّهُمْ طُـــولُ الرُّقَـــادْ

السِّيادَة النَّافِعَة:

إِنَّ سَـــادَاتِ الـــوَرَى قَـــادَتُهُمْ(١)

بِعُلُـــومٍ مَـــا حَـــدَا بِالرَّكْـــبِ حَـــادْ

وَهُـــمُ رِدْئِـــي وَعَـــوْنِي نُصْـــرَتِي

وَوِقَـــائِي(٢) مَـــا اعْتَـــدَتْ تِلْـــكَ العَـــوَادْ

تِلْكُـــمُ السَّـــادَةُ مَـــا صَـــدَّهُمْ

عَـــنْ هُـــدَى دِينِهِمُ فِـــي الحَـــقِّ صَـــادّ

ضُرُوبٌ مِن البدَع:

لَسْـــتُ أَدْعُـــو غَيْـــرَ رَبِّـــي أَحَـــدًا

وَهْـــوَ سُـــؤْلِي وَمَـــلَاذِي وَالعِمَـــادْ

وَلَـــهُ الحَمْـــدُ فَقَـــدْ صَـــيَّرَنَا

بِالهُـــدَى فَـــوْقَ نِـــزَارٍ وَإِيَـــادْ

فَاعْبُـــدُوا مَـــا شِـــئْتُمُ مِـــنْ دُونِـــهِ

---

(١) في «المنتقد»: قاداتهم، وما أثبتُّه من «رِسالة الشِّرك ومظاهره».

(٢) في «المنتقِد»: ووقاء.

مَـــا عَنَــــانِي مِـــنْكُمْ ذَاكَ العِنَـــادْ[١]

لَسْـــــتُ مُنْقَــــادًا إِلَـــــى طَـــاغُوتِكُمْ

بظُبَـــى البِـــيضِ وَلَا السُّـــمْرِ الصِّـــعَادْ[٢]

لَـــمْ أَطُـــفْ قَـــطُّ بِقَبْـــرٍ لَا وَلَا

أَرْتَجِـــي مَـــا كَـــانَ مِـــنْ نَـــوْعِ الجَمَـــادْ

لَسْـــتُ أَكْسُـــو بِحَرِيـــرٍ جَـــدَثًا[٣]

نُخِـــرَتْ أَعْظُمُـــهُ مِـــنْ عَهْـــدِ عَـــادْ

لَا أَشُـــدُّ الرَّحْـــلَ أَبْغِـــي حَجَّـــهُ

قُرْبَـــةً تَنْفَعُنِـــي يَـــوْمَ التَّنَـــادْ

حَالِفًـــا كُـــلَّ يَمِـــينٍ أَنَّـــهُ

سَـــوْفَ يَقْضِـــي حَـــاجَتِي ذَاكَ الجَـــوَادْ

لَا أَسُـــوقُ الهَـــدْيَ قُرْبَانًـــا لَـــهُ

---

(١) في جريدة «المنتقِد»: الحياد، وما أثبتُّه من «رسالة الشِّرك ومظاهره».

(٢) يُقالُ: بِيضُ الظُّبَى وبِيض الحِدَاد وبِيض الصِّفَاح، وَالبِيضُ الصِّعَاد، وَالظُّبَى هي جمعُ ظُبَةِ السَّيف، وهو طَرَفُه وحَدُّه، وَيُقالُ السُّمْر الصِّعَاد، والصِّعَاد: الرِّماح والأَسِنَّة المُثقَّفَة، والسُّمْرَةُ في أَلْوَانِ الرِّماح محمودة. والمُرادُ: أسلِحةُ الحربِ وآلاتُها، يُرِيدُ شاعرُنا أَنَّهُ لا يَنفعُ معهُ تهديدٌ بسلاحٍ أو خَوْضٍ لحربٍ، فهُو لا يَنقادُ لهم ولو قَاتَلُوهُ على ذلك.

(٣) الجَدَثُ: القَبْرُ.

«زَرْدَةً» يَـــدْعُونَهَا أَهْــلُ الْـــبِلَادْ

الزِّيارة السُّنِّيَّة:

وَفِــرَارِي كُلَّمَــا أَفْظَعَنِــي(١)

حَــادِثٌ يُلْبِسُــنِي ثَــوْبَ الحِـدَادْ

لِلَّــذِي أَطْلُــبُ رِزْقِــي دَائِمًــا

مِنْــهُ إِذْ لَــيْسَ لِمَــا يُعْطِــي نَفَــادْ

وَإِذَا زُرْتُ أَزُرْ مُعْتَبِـــــــــرًا

بِقُبُــورٍ مَــاتَ مَــنْ فِيهَــا وَبَــادْ

دَاعِيًــا رَبِّــي لَهُــمْ مُسْــتَغْفِرًا

رَاجِيًــا لِلكُــلِّ فِــي الخَيْــرِ ازْدِيَــادْ

وَالَّــذِي مَــاتَ هُــوَ المُحْتَــاجُ لِــي

هَكَــذَا أَقْضِــي وَلَا أَخْشَــى انْتِقَــادْ

الدُّعاءُ الشِّركيّ:

لَا أُنَــادِي صَــاحِبَ القَبْــرِ أَغِــثْ

أَنْــتَ قُطْــبٌ! أَنْــتَ غَــوْثٌ! وَسِــنَادْ

قَائِمًــا أَوْ قَاعِــدًا أَدْعُــو بِــهِ

---

(١) في «المنتقِد»: أفضعني.

إِنَّ ذَا عِنْـــــدِي كُفْــــرٌ[1] وَارْتِــــدَادْ

لَا أُنَادِيــــــهِ وَلَا أَدْعُـــــو سِـــــوَى

خَـــالِقِ الخَلْـــقِ رَؤُوفٍ بِالعِبَـــادْ

مَـــنْ لَـــهُ أَسْـــمَاؤُهُ الحُسْـــنَى وَهَـــلْ

أَحَـــدٌ يَـــدْفَعُ مَـــا اللهُ أَرَادْ؟

مُخْلِصًـــا دِينِـــي لَـــهُ مُمْتَـــثِلًا

أَمْـــرَهُ لَا أَمْـــرَ مَـــنْ زَاغَ وَحَـــادْ

الاتِّكَال على الكَبير المُتَعَال:

حَسْـــبِيَ اللهُ وَحَسْـــبِي قُرْبُـــهُ

عِلْمُـــهُ! رَحْمَتُـــهُ! فَهْـــوَ المُـــرَادْ

«بسكرة» «الطّيّب العُقبي»[2].

(١) في «رِسالة الشِّرك ومظاهره»: شركٌ.

(٢) «المنتقِد»، العدد (٨)، الخميس ٣٠ محرم ١٣٤٤هـ، الموافق: ٢٠ أوت ١٩٢٥م، (ص١).

يقولون... وأقول!!

١- يقولون: إنّي عدوٌّ لحكومة فرنسا، وإنّي جئتُ إلى هذه البلاد لأُفسِدها وأعمل ضدّ مصلحتها فيها، وقد وَشَوا بي إلى الحكومة، ولا يزالون يَشُون بي عندها وعند كلّ مَن أمكنهم أن يتقدّموا إليه بوِشاياتهم الكاذبة وأقوالهم الملفّقة...

وأقولُ لهم: إنّي لم أكن عدوًّا لفرنسا [1] كما تفهمون وأنا في البلاد الخارجيّة، سيّما أثناء وجودي أخيرًا بمكّة مديرًا لجريدة «القِبلة» و«المطبعة الأميريّة»، وفي تلك البلاد الّتي كان فيها يُمكنني أن أُعادي فرنسا أو غيرها مِن الدّول الأوربّيّة، ولا يمكن لواحدة منهنّ أن تدنو إليّ أو تصلني يدها بأذى.

فكيف أكون عدوًّا لها الآن، وأنا ومالي وولدي وأهلي بين يديها وتحت سُلطتها وفي قبضتها؟؟ وهي قادرةٌ على سجني أو قتلي (مثلًا)، ولا قُدرة لي على إنقاذ نفسي منها إذا أرادتني بسُوء وقصدتني بأذى.

فهل تجدون في رجال فرنسا الأحرار وحُكّامها العُقلاء مَن يُصدّق ما تقولون؟...

٢- يقولون: إنّي كنت جاسوسًا لفرنسا في بلاد الحجاز ومُروّجًا لسياستها

---

(١) العُقبيُّ هُنا يُدَارِي ليسَ إلَّا! انظر التّعليق الآتي.

هنالك، وذلك بعد ما وَشَوا بي إلى الحكومة هنا، ففتّشَت منازلي ببلدة «سيدي عُقبة» و«بسكرة»، وأخذت كلّ أوراقي وما وجد عندي مِن مخطوطات وغيرها، فأَطلقت سبيلي بعد توقيفي أربعة أيّام، ولم تذهب بي إلى حيثُ أموت.

وقد جرَّأَهم على قولهم هذا أوّلًا: كون فرنسا لم تقتلني، وثانيًا: رؤية بعضهم لورقةٍ عندي، هي كشهادةٍ أخذتُها عند إرادتي السّفر إلى هذه البلاد مِن نائب فرنسا بِـ«جُدّة» ورئيس البعثة العسكريّة إذ ذاك الكوماندان «كَاتْرُو»، شهد لي فيها بأنّ عواطفي وحسّيّاتي لم تكن ضدّ فرنسا، حيثُ إنّي جزائريّ قبل كلّ شيء(١).

وأقولُ لهم: إنّي ما كنت عدوًّا لفرنسا كما تفهمون ولا كنت لها جاسُوسًا لا هنالك ولا هنا، ولكنّي عندما أردت الرّجوع إلى هذه البلاد لقضاء مآربي، أخذتُ ورقةَ الجواز مِن نائب الحكومة، وتكرّم عليّ بتلك الشّهادة، وأوصى عليّ زيادةً على ذلك عُموم قناصل فرنسا في القطر المصريّ، ليكونوا في مساعدتي حتّى أصل إلى هذه البلاد، لكون حركة السّفر في ذلك الوقت محفوفة بكلّ الأخطار، فلِلكُمَنْدَار «كَاتْرُو» كما لحكومة فرنسا منّي الشّكر على ذلك.

---

(١) نَشَر هذه الوثيقة بول صُولداني في كتابه «مقتل الإمام كحول: كيف اعتُقل الشّيخ الطّيّب العُقبي زعيم العلماء ظُلْمًا وبهتانًا»(ص٢٣)، وفيها: «البعثة العسكرية الفرنسية بالحجاز- مِن القائد كَاتْرُو رئيس البعثة العسكرية الفرنسيّة بالحجاز إلى حضرات قناصل فرنسا بمصر: أتشرّف بأن أُوكِل إلى عناية حضرات قناصل فرنسا بمصر **الجزائريّ الطّيّب العُقبيّ** المصحوب بعائلته المتركّبة مِن سبعة أنفار المتوجّهين إلى «سيدي عُقبة» لقضاء شؤونٍ لهم... جُدّة في ١١ جانفي سنة ١٩٢٠. الإمضاء» اهـ.

وإنّي أُعلن لكم وللعموم بمَرأى ومسمعٍ مِن حكومة فرنسا الّتي أنا في بلادها اليوم(١) وتحت نظرها: إنّي ما كنتُ جاسُوسًا لها ولا لغيرها، وإنّي ما ارتضيتُ هذه الخُطّة في عمري قطّ ولن أرضاها... فمُوتوا بغَيْظِكم أيُّها المتزلِّفُون والنَّمَّامُون والمتملِّقُون!!

٣- يقولون: لماذا أتى إلى هذه البلاد وترك أرض الحجاز الّتي هي أرضٌ مُقدّسةٌ في نظر كلّ مسلمٍ، مع أنّه نشأ بها وبها تربّى؟

وأنا أقول لهم: إنّي بالرَّغم مِن مجيئي إلى هُنا بداعي الضّرورة، لا أزال أُقدِّسُ أرض الحجاز، وأَحِنُّ إليها دائمًا، وأتمنّى أن يرُدّني الله إليها وأن لا يُميتني إلّا بها –شأن كلِّ مسلمٍ يُوجِب عليه دينه ذلك–، وأمّا مجيئي إلى هذه البلاد الّتي بها وُلدتُ، وهي أوّل أرضٍ مَسَّ جلدي ترابها، وهي وطني المحبوب، ووطن آبائي مِن قبلي، وبه عظامهم ورُفاتهم وقبورهم لا تزال ماثِلةً إلى اليوم، فلِمُقتضَياتٍ اقتضاها الحال، منها: ما وقع بسبب الحرب الكبرى وعلى أثرها بتلك البلاد الّتي كان بها مِن الحوادث المزعجة، الّتي لا يزال يَرِنُّ صداها إلى اليوم في الآذان.

وَلَوْ لا المُزْعِجَاتُ مِنَ اللَّيَالِي ... لَمَا تَرَكَ القَطَا طِيبَ المَقَامِ(٢)

ومنها وهو السّبب الأعظم في مجيئي (صُحبة عائلتي كلِّها): إِغَارَةُ إمامكم

(١) العُقبيُّ هُنا يُدَارِي ليسَ إلَّا! فبلادُ الجزائر وقعَت تحتَ احتلال فرنسا وجيشِهَا وعَسْكَرِهَا الّذي يحكم المناطق الجنوبيَّة الصّحراويّة، ومِنها «بسكرة»، والمناطق الشّماليَّة تَحتَ حكمها المَدنيّ، حيثُ أَلحَقَت الجزائر بالتُّراب الفرنسيّ. انظر التّعليق الآتي.

(٢) البيت لِلُجَيم بن صعب.

الأكبر ومُدرِّسكم الأشهر: مُدرِّس بلدة «سيدي عُقبة» على أملاكنا، وأكله لكلّ ما تحصّل مِن غَلَلِهَا عن ستٍّ سنوات (مدّة الحرب)، وقد حصلتُ (ولله الحمد) مِن مجيئي إلى هنا على النّتيجة المطلوبة؛ حيثُ انتزعت الأملاك من يد هذا الظّالم المعتدي، وصدر لي عليه بتاريخ ١٤ جانفي ١٩٢٥م حُكمٌ مِن مجلس «التْرِيبُونَال»(١) بِـ«باتنة» بمبلغٍ يُساوي أصلًا ومصروفًا نحو (٨٤) أربعة وثمانين ألفًا، سيَبقى مَدِينًا لي بها حتّى حين...»(٢) فأنا في مجيئي إلى هُنا إِذَن مُحِقٌّ وطالبُ

(١) كلمة فرنسيّة تُكتب: (Tribunal)، معناها: محكمة.

(٢) نشرت «المنتقِد» [العدد (١٨)، (ص٢)] للزَّعيم العُقبيّ مقالةً عن هذا الموضوع-حُكم المحكمة على مُدرّس بلدة «سيدي عقبة»- وعنوانها: «**أعوان اللُّصوص يَسْتَرْهِبُون الدّولة ويُخوّفونها!!.. ولكنَّها لا تخشاهم**»، وعلّقت «المنتقِد» (ص٣) بقولِها: «**مُلاحظاتي**:... «المنتقِد» يُحارب كلّ ظالِم فإذا فسحَ مجالًا لمقال الشّيخ الطّيّب للرّدّ على ظالمه الّذي ثبت عندنا ظلمُهُ بالشّهادة المستفيضة من أهل بلدِهِ».

وكتبت «الشِّهاب» العدد (٢٦)، (ص١٥): «**سيدي عقبة**: زجّ المدرّس الرّسميّ الشّيخ البشير في السِّجن بسببِ ما تجمَّدَ في ذمَّته مِن أموال العلّامة الشّيخ الطّيّب العقبيّ وأهله الّتي عاثت فيها يده بالخيانة لمّا كان وكيلًا عليهم أيّام إقامتهم بالحجاز وكان ذلكَ سبب قدومهم، فعسَى ما يذوقهُ مِن ألم السِّجن يَحمله على دفع ما بذمَّتِهِ وتخليصِ رقبتِهِ».

ثمّ كتبت «الشِّهاب» العدد (٢٨)، (ص١٦): «**غَصْبٌ وخِيانةٌ**: كُنّا ذكرنا أنّ مُدرِّس سيدي عقبة كان وكيلًا على آل الشّيخ الطّيّب، ثمّ حقّق لنا مكاتبُنا أنّه لم يكن وكيلًا وإنّما غصب الأملاك مِن الوكيل ثمّ خان فذاقَ جزاءَ ما جنتهُ يدُهُ في السّجن».

ثمّ كتبت «الشِّهاب» -أيضًا- العدد (٦٥)، (ص١٥): «**عَزْلُ خَائِنٍ**: عشيّة يوم الثّلاثاء ٢٦ أكتوبر
=

=

[١٩٢٦م] أبلغ رئيس مُلحقة بسكرة العسكريّ مُدرِّس بلدتنا (كان) عَزْلَهُ مِن وظيفة التَّدريس بأمر الوِلاية العامَّة؛ لِمَا ارتكبهُ مِن خيانتِهِ المعلومة وأكله أموال المهاجرين (الشّيخ الطّيّب العقبي ومَن معه)، فبكَى حضرةُ المدرِّس بُكاءَ الثَّكْلَى، ولكن هيهات أن يُرجع البُكاء ما فات، وبعد اليأس طلب أن يُعطى مُرتَّبَهُ عن الأشهر الّتي لم يتناول فيها المرتَّب، فأبلغ رسميًّا أنّه يُعتبَرُ معزولًا مِن يوم دخوله السّجن بسبب تلك الخيانة، فاشتدّ حزنه وعظم استياؤه وخرج من دائرة (البِرُو عرب) يتعثّر في أذيال الخزي والنَّدامة، وذلك جزاءُ الخائنين، وقد أبلغ شيخ البلدة عزله رسميًّا ومنعه مِن الجامع، هذا شيءٌ مِن خزيِ الدّنيا ولَعَذاب الآخرة أشدّ وأخزى، فاعتبِرُوا يا أُولي الأبصار. «**سيدي عقبة**»«**مُكاتِبُكُم**»».

ومُدرِّس مسجد «سيدي عقبة» هذا –في غالبِ الظّنّ- هُوَ: الشّيخ البشير بن الصَّادق بن إبراهيم العُقبيّ ، وُلد سنة (١٨٤٤م) بِـ«سيدي عقبة»، وفيها كانت نشأته ودراسته الأولى، سافر إلى «نَفْطَة» بالجريد التّونسيّ لإتمام دراسته، فأقام بها مدّة اثني عشر عامًا، وكان مِن رفاقه مِن الطُّلّاب في ذلك العهد الشّيخان: الشّيخ المكّي بن عزّوز، والشّيخ عثمان بن المكّي التّوزريّ الزّبيديّ-هذا ما ذكرهُ صاحب«الزّوايا بالجزائر»، إلّا أنّ الّذي في جريدة «النَّجاح»، عدد (٢٨٠)، (ص٢)، هُو أنّه درسَ على الشّيخ المكّي بن عزّوز- . عاد إلى«سيدي عقبة» وتفرّغ للتّدريس في مسجدها مدَّةً تزيدُ على الخمسين سنةً، تخرَّجَ عليهِ كثيرُون. انظر: «الزّوايا بالجزائر» لصلاح مؤيّد (ص٦٧٤-٦٧٦)، وذكر أنّ وفاته في سنة (١٩٢٨م).

لكنّ الصّواب أنّهُ توفّي سنة (١٩٢٧م)، على ما وقفتُ عليهِ في جريدة «النَّجاح»، حيثُ نَشَرَت خَبَرَ نَعْيِهِ في [عدد (٤٩٧)، ١ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ- ٢٨ سبتامبر ١٩٢٧م، (ص٢)].

وهذا الشّيخ يُعرَف بِـ«الأُستاذ الضَّرير»، وكان المصلِحون يعرفونه بِـ «المُدَرِّس الأعمَى»- كما في جريدة «النَّجاح» عدد (٢٨٠)، (ص٢)-، وكان شديدَ المُعارَضة لهم، ففي زيارةِ الوفد العلميّ القسنطينيّ إلى بسكرة سنة (١٩٢٦م)، توجَّهَ الوفدُ إلى مسجد سيدي عقبة: «لأداءِ صلاة الجمعة وبعدَ الفراغ مِن الصّلاة قامَ الشيخ الطّيّب العقبي مُناديًا في النّاس أن الزَمُوا مكانكم؛ لأنّ الشّيخ عبد الحميد بن باديس يُرِيدُ إلقاءَ درسٍ في التَّفسير باقتراحٍ من العلماء والأدباء الّذين حضروا هذا

=

حقّ[١].

٤- يقولون: إنّ الحكومة تَنظر إليك نظر العدوِّ الكَاشِح؛ لأنّك جئتَ مِن أرض الحجاز..

وأقولُ لهم: إنّ حكومة فرنسا قد علمت ممّا أخذَتْهُ مِن أوراقي يوم ٤ سبتامبر سنة ١٩٢١، حين تفتيشها لي - بِسببِ[٢] وِشايات مُدرِّسكم وأعوانه الظّلمة الّذين

= الموكب الفخيم، ولمَّا سمع **مُدرِّس البلدة الأعمى** هذا الكلام اشتاطَ غيظًا وكادت رُوحُهُ تزهق مِن شدّةِ البغض والحسد لأهل العلمِ الصّحيح، ولمّا شرع الأستاذ عبد الحميد في تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف ١-٣]، تكلَّم مُدرِّس البلدة قائلًا: لا نفهم كلامَ الله، وإنّي أرغب منك أن تدرّس لنا باب الحجّ في «الشّيخ خليل»، إذ كلام الله لا نفهمه ولا نعرفه ولا نقبله، تكلَّم بهذا الكلام الّذي لا يصدر إلّا....ووافقه على ذلك شيعتُهُ ورهطه..غير أنّ الأستاذ عبد الحميد لِما لهُ مِن سَعَةِ الصّدر والحِلم والباع الطّويل في العلم لم تُؤثّر عليه هذه الخُزعبلات والنّزغات بل تمادَى على إلقاء الدَّرس... ولمَّا أتمَّ درسَهُ خاطبَ الحاضرين: هل فهمتُم الدّرس وما شرحتُهُ لكم، أم لا؟ فأجابهُ الحاضرون: فهِمنا، فهِمنا، إلّا المدرِّس الأعمَى ورهطهُ الّذين....ولذاكَ ألقى الشّيخ الطّيّب العُقبيّ كلماتٍ في الموضوع بيَّنَ ما كان يُلاقِيهِ سيّدنا محمّد ﷺ مِن كفّار قريش أيّام نشر الدَّعوة، حتّى نزل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت ٢٦]، وقد شرحها شرحًا كافيًا [وَ] بيَّنَها بيانًا شافيًا بكيفيَّةٍ شديدةٍ لم تُعهَد فيهِ»اهـ [«صدى الصّحراء»، عدد (١١)، (ص٢)].

(١) «الشّهاب»، السّنة الأولى، العدد (٥)، (ص١٦-١٧).

(٢) في مطبوعة «الشّهاب»: سبب، والتّصحيح من الأصل.

شاركوه في أكل أموالنا- حقيقةَ أمري، وأظنُّها عرفتني منذ ذلك الحين أكثر ممّا عرفني كلُّ أحدٍ غيرها، ولها كلمّا نسِيَت أن تُراجع أوراقي، فإنّها لا تزال تحت يدها إلى يومنا هذا، بالرَّغم عن طلبي لها مِرارًا، لما بها مِن القضايا الّتي تخصُّني أو المسائل العلميّة، فهل تتركون هذه الخدمة: خدمة الجَوْسَسَة لأربابها الّذين عيّنتهم الحكومة لها، وآنَسَت منهم المقدرة عليها، وهُم بها قائمون، وتَرجعون إلى زواياكم للعبادة، فإنّكم سالِكُون ومُسَلِّكُون؟؟...

وهل بعد هذا كلِّه تُعاودون الوِشاية أم أنتم عن مثلِ هذه الأقوال الباطلة مُنْتَهُون؟؟..

٥- ويقولون - بعد هذا كلِّه -: إنّي في فاتحة العدد الثّالث مِن جريدة «الجزائر»(١) مدحتُ فرنسا بما لا تُجوِّزه الشّريعة الإسلاميّة، فهُم لهذا يَحكمون عليّ بأنّي مِن المنمِّقين المنافقين!!

وأقولُ لهم: أنا إذا مدحتُ، فإنّما أمدحُ فرنسا الحرّة صاحبة مبدأ العدالة

---

(١) هي جريدة (أسبوعيّة): سياسيّة أدبيّة دينيّة أخلاقيّة اجتماعيّة، أصدرها في النّصف الثاني من شهر جوان سنة (١٩٢٥م) الشّاعر والكاتب الكبير الشّيخ محمّد السّعيد الزّاهريّ، شعارها «الجزائر للجزائريّين»، عطّلتها الإدارة الاِستعماريّة، بعد صدور ثلاثة أعداد منها فقط، يقول الزّاهريّ: «كان مِن أسباب التعطيل أنّ المترجِم ترجم عنها كلمة «النّهضة» بكلمةٍ فرنسيّةٍ معناها «الثّورة»، وترجم كلمة «فرنسا الظّافرة المنتصِرة» بمعناه: «فرنسا الظّالمة الغاصبة»..»!. انظر: «**الصّحف العربيّة الجزائريّة**» للدّكتور محمّد ناصر، (ص٦١-٦٣) و«**تاريخ الصّحافة والصّحفيّين في إقليم بسكرة**» لفوزي مصمودي، (ص٩٣-٩٨).

والمساواة ناشرة لواء العلم[١] -بالنّسبة لمن سواها مِن دول أوروبّا[٢] المتمدِّنين- وإنّي في مدحي لها أذكرُ حقائق تاريخيّة، لا أقصدُ بها مَسَّ شرف الإسلام، ولا أُريد بها حضرة المسلمين، ولو تأمّلوا قليلًا لعرفوا الحقيقة، فهل هُم مِن المتأمِّلين؟

٦- يقولون: إنّي بمجرّد رُجوعي إلى هذه البلاد وخُروجي من بلاد الحجاز كفرتُ، وبذلك أفتاهم كبيرهم وشيخهم الأعمى مُدرِّس بلدتهم، وبهذه الفتوى جوَّز أكل أموال المجاوِرِين الّذين كانوا في الحجاز ورجعوا إلى هُنا، وكان هو السّابق إلى أكل أموالهم قبل أن يعمل أحدٌ بفتواه!!!

وأقولُ: إنّي بحمدِ الله لستُ كافرًا، بل أنا مسلمٌ، وأرجو اللهَ أن يُمِيتني على دينه الإسلام، ولو كان كلُّ مَن يخرج من الحجاز كافرًا لكان فاتِحُ بلادكم مِن مَشمولات هذا الحُكم، مع أنّه رضي الله عنه وأرضاه قد خرج لغرضٍ صحيحٍ، ولولاه ما عرفتُم الإسلام ولا فهمتُم له معنى.. ثمّ إذا كان مَن يَرجع إليكم يكون كافرًا، فكيف تكونون أنتُم، وبماذا تَحكمون على أنفسكم يا تُرَى؟؟

(١) العُقبيُّ هُنا يُدَارِي ليسَ إلَّا! ومَبادئُ العدل والحرّيّة والمُساواة ونَشر العُلوم والمعارف الَّتِي تَرفعُها فرنسا وتنشُدُها إنَّما هيَ لأبنائِهَا والدَّاخلينَ في جِنسيَّتِها، وليسَ لمن يَتمسَّكُ بجنسيَّتِهِ العربيَّة الإسلاميَّة نَصيبٌ فِيهَا، وَلَن يَكون لهُ ذلك!، بل لهُ التَّحقير والتَّجهيل والتَّفقير، والحِرمان مِن كلِّ حقوقِهِ، إلَّا أن يَتخلَّى عن شخصيَّتِهِ الإسلاميَّة، يَعرفُ هذا العُقبيُّ وابنُ باديس والعُلماءُ المصلِحُون، انظر التّعليق الآتي.

(٢) في مطبوعة «الشِّهاب»: أوربا.

أمّا مُفتِيكم فقد علمتُم مَقصده، وما فتواه هذه إلّا محاولةٌ لتحليل ما أكله مِن عشرات الآلاف مِن أموالنا بالباطل، فهُو الكافِر بما استحلّ(١)، والجَانِي على نفسه وعليكم ما دُمتُم له تتبعون وبأفعاله تَقْتَدُون...(٢).

٧- يقولون: إنّك بقيتَ كلَّ هذه المدّة ولم تكتُب في الجرائد، ولا أظهرتَ اسمَك على صفحاتها، فما هو السّبب الحامِلُ لك على الكتابة اليوم؟

فقلتُ لهم: إنّي قدمتُ إلى «بسكرة» يوم ٤ مارس سنة ١٩٢٠، ومِن ذلك اليوم إلى هذا التّاريخ ما وجدتُ في القُطر الجزائريّ جريدةً واحدةً تُوافِق ذوقي ويَتَّفِقُ مَشْرَبُها مع مَشْرَبي الدّيني إلّا جريدة «الشّهاب» اليوم، وأرجو لِـ «الجزائر» أن تكون كذلك، لذلك أخذتُ أكتبُ فيها مقالاتٍ علميّة دينيّة بحتة، أمّا السِّياسة الدّولية (بمعناها الخاصّ) فإنِّي كنتُ اعتزلتُها منذ ابتدأت الحرب العمومية، ولا أزال أعتزلها إلى يومِ يبعثون؛ لأنّها ما دخلت في شيءٍ إلّا أفسدته، كما قاله عنها الأقدمون، وقد كنتُ فيما مضى مِن مُدّةِ إقامتي بهذه البلاد مُشتغلًا بمسائلي الخصوصيّة، وإنَّ في الخِصام الطّويل العريض لشُغلًا شاغِلًا عن الصّحافة والصّحافيِّين.

والآن (وقد انتهت أو كادت تنتهي قضيَّتي مع خصمي، ولم يبق منها سوى

---

(١) لقد حملَ الغضبُ والحَنَقُ الشّيخَ العُقبيَّ على إصدار هذا الحُكم، ومُجرَّدُ أكله لأموالهم لا يكُونُ استحلالًا، حتَّى يُصرِّحَ باعتقادِهِ فِي تحليلِ ما يَعلمُ أنَّ الله تعالى حَرَّمَهُ.

(٢) «الشّهاب»، السّنة الأولى، العدد (٧)، الخميس ٧ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ، ٢٤ دسامبر ١٩٢٥م، (ص٥) في الأصل، (ص١٩-٢٠) في مطبوعة دار الغرب الإسلامي.

دور التَّنفيذ، ودَعَتْني جريدة «الشّهاب» الَّتي برزت مُوافِقةً لمَشْرَبي العلميّ الدِّينيّ باسم الدِّين والوطن إلى مُناصرتها، ووجدتُ مِن الوقت فراغًا وفي الزّمن مُتّسعًا- لَبَّيْتُ دعوتها، وأجبتُ نداءها، الّذي لا أزال أعتبرُه صوت حقٍّ، وداعيةَ صِدقٍ).

وحيثُ كثُر القِيل والقال مِن دُعاة الضّلال والمُتَمَرْبِطِين على أثر ما كتبتُه بها مِن المقالات الدِّينيّة الاِجتماعيّة العلميّة، فإنِّي سأتصدّى للرّدّ على ضلالاتهم، وتَزْيِيفِ ما يحتجُّون به لتأييد بدعهم وخرافاتهم، وكلّ ما عبدوه ويَعبدونه مِن أوهامهم وتُرَّهَاتِهم، وإنِّي لهم - ما داموا عن الدِّين مُعرضين، وبأوامرِ الشّريعة الإسلاميّة عابِثين- لبِالمرصاد، واللهُ وحده يَحفظُني منهم، وهُو حَسْبِي ونِعْمَ الوكيل[1].

٨- يقولون: هَلَّا تكتب اليوم في بعض الجرائد الأخرى، كما كنت تكتبُ في الجريدتين اللَّتَين نوَّهت بهما!

فقلتُ لهم: إنّي سأكتبُ كلّ ما وجدتُ الفُرصة في كلّ جريدةٍ عربيّةٍ تُلائم ذوقي وتَتَّفِقُ مع مَشْرَبِي، ما دام يُمكنني وأنا بهذه البلاد أن أخدم وطني وديني، لكن بشرط أن لا يكون الغرضُ الوحيدُ مِن تأسيس تلك الجريدة الاِتِّجار بها، وجَعْلها مِهنةَ تمعّشٍ لأَربابها، لأَنِّي لا أُحبّ أن أعمل لتنميةِ أرباحِ الغيرِ على حسابِ الأُمّة...

---

(١) «الشّهاب»، السّنة الأولى، العدد (٨)، الخميس ١٤ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ، ٣١ دسامبر ١٩٢٥م، (ص٥) من الأصل، و(ص١٩-٢٠) من مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ.

٩- يقولون: إنّي عدوٌّ لجريدة «النّجاح»[1]؛ لأنّي قلتُ في تقريظي لجريدة «المنتقِد»: هي أوّل جريدةٍ عربيّةٍ يَصدُق عليها اسم جريدة رأيتُها في القطر الجزائريّ حتّى اليوم...

وأنا أقولُ لهم: إنّي لستُ عدوًّا لجريدة «النّجاح»، ولا لأيِّ جريدةٍ أخرى مِن حيثُ إنَّها جريدة، ولكن قلتُ الحقَّ فيما قرّظتُ به «المنتقِد»، فإن كان غيري

(١) أصدرها الشّيخ عبد الحفيظ بن الهاشميّ الطولقيّ بقسنطينة، بُعيد الحرب العالمية الأولى، في ١٣ أوت ١٩١٩م، كتبت في صفحتها الأولى: «جريدة حُرّة أسبوعية، مباحثها العلم والتّهذيب والأدب والسّياسة»، صدرت أسبوعيّة، ثمّ أصبحت تصدر ثلاث مرّات في الأسبوع، ثمّ صارت يوميّة سنة (١٩٣٠م)، وكان الشّيخ ابن باديس زميل الشّيخ عبد الحفيظ في الدِّراسة بالزّيتونة، قد شارك في تأسيسها وتحريرها، لكنّه سرعان ما تركها لما رآها مُسَيَّرةً غير مُخَيَّرة. انظر: «صراع بين السّنّة والبدعة» (١/ ١١٣-١١٤)و(٢/ ٢٣٦-٢٣٧).

وانضمّ إلى مُدير الصّحيفة الدّاهية الخبير: مامي اسماعيل، وتَرَأّس التّحرير فيها، فأخذت تكبر وتنتظم...

ومامي اسماعيل هذا كان مستعِدًّا للكتابة ضدّ نفسه إذا قبض الثّمن! يقول أحمد حماني: «وبهذا صارحني اسماعيل ذات يومٍ لمّا لمتُهُ على نشر مقالٍ ضدّي وليس بيني وبينه سُوء، فقال -عفا الله عنه-: الفلوس! هات مائة فرنك واكتُب الرّدّ عليّ وفي هَجْوِي ما شئتَ أنشره لك! قلتُ: أتفعل هذا؟ قال: أي والله! ». انظر: «صراع بين السّنّة والبدعة» (١/ ١٢٥).

وقال عنها الشّيخ الطّيّب العُقبيّ سنة (١٩٣٦م) -وهُو على رأس تحرير «البصائر»-: «..«النّجاح» تلك الجريدة المُسَيَّرة غير المُخَيَّرة، والمشهورة بمُحاربتها للأُمّة في شخص علمائها وزعمائها المخلِصين كلّما كان دَخْلٌ للفرنك في هذه المحاربة وسبيلٌ إلى ما في الجيوب». انظر: «تاريخ الصّحافة والصّحفيِّين في بسكرة وإقليمها» لفوزي مصمودي، (ص٧٥-٨٠).

يُخالفني فيما قلتُه، ويَرى أنّ «النّجاح» هي أوّل جريدةٍ عربيّةٍ... إلخ، فلهُ ذلك، وليس لي ولا لغيري أن يقول: إنّهُ عدوٌّ لجريدة «المنتقِد»، فهل صَدَقَ القائلون إنِّي عدوٌّ لِـ«النَّجاح» لمجرَّدِ فِكْرٍ أَبْدَيْتُه في غيرِها وتقريظٍ كتبتُهُ؟

١٠- ويقولون أيضًا: إنِّي مُنافِقٌ لمدْحِي لجريدة «المنتقِد»، وإِعجابي بها كلّ ذلك الإعجاب، وإنِّي تعلّمتُ النِّفاق في بلاد الإنكليز الّتي كنتُ بها (أي: مكّة والمدينة المنوَّرة..)، تلك الأرض المقدَّسة في نظرِ كلّ مسلمٍ يُؤمن بالله واليوم الآخر، والّتي لم تَطَأْهَا قَدَمُ أيِّ أجنبيٍّ إلى اليوم بصفتِهِ أجنبيّ، أو لابس بَرْنِيطَة[1] على الأقلّ، ولم يتحكّم فيها منذ زمانِ «محمّدٍ» ﷺ أحدٌ من غير جماعة المسلمين...

وأنا أقولُ لهم: إنِّي ما رأيتُ الإنكليز ولا غيرهم مِن الأجانب، ولا عرفتُ شَكْلَهم إلّا بعد خُروجي مِن تلك البلاد، الّتي قُلتم إنِّي تعلّمتُ النِّفاق فيها، فأنا كما قلتُ:

لَمْ أَكُنْ عَلِمَ الإِلَهُ قَدِيمًا
لَا وَلَا فِي الحَدِيثِ خِدْنَ نِفَاقِ
بَلْ أَنَا مُسْلِمٌ نَشَأْتُ بِأَرْضٍ
هِيَ خَيْرُ البِلَادِ بِالإِطْلَاقِ

(١) هيَ القُبَّعَة الإفرنجيَّة.

فهل عرف هؤلاء الفُقهاء الجُبَناء أنّهم غيرُ مُحِقِّين، وأنّهم فيما يقولُونه دائمًا مِن دعاوِيهم الكاذبة وأقوالهم المُلَفَّقة مُفْتَرُون ومُبْطِلُون؟؟..[1].

١١- يقولون: إنّي عدوٌّ لأولياءِ الله الصّالحين، وذلك لما بيَّنتُه مِن عقيدتي في قصيدتي: «**إلى الدِّين الخالص**».

وأقولُ لهم: ذلك الدِّين الخالص هُو الّذي قرَّرَتْهُ عقائدُ التّوحيد، وثبت في نصوص كُتب الدِّيانة الإسلاميّة، وهو الّذي أجمع عليه العُلماء وأئمّة الدِّين قديمًا وحديثًا. ومَن لم يُرْضِهِ ذلك منكُم، فَلْيَأْتِنَا بحديثٍ صحيحٍ غيرِه إن كان مِن الصّادقين...

وأمّا أولياءُ الله والصّالحون، فإنِّي أُحبُّهم أكثر مِن كلِّ أحدٍ، وأسألُ اللهَ أن يَحشرني في زُمرتهم ويُمِيتني على محبَّتِهم، وحَسْبِي دليلًا على ذلك، أنّي أُسَلِّمُ عليهم جميعًا مع نفسي في كلّ تشهّدٍ مِن صلاتي -الفرض والنّفل- أكثر مِن خمسة عشر[2] مرّة في اليوم واللّيلة. فهل يكفيني مثلُ ذلك برهانًا على محبّتهم؟ أم لا بُدّ مِن أن أُقدِّسَهُم بغيرِ ما أذن اللهُ فيه، وأَعبُدَهُم مِن دون الله، حتّى أَكون مُحِبًّا لهم ومُؤمنًا بهم في نظر هؤلاء الملاحدة المجرِمين؟؟ ...

١٢- يقولون -وقد عجزوا عن مُعارضتي ببُرهانٍ وحُجّةٍ-: (إنّ ما أقولُهُ كُلّه حَقٌّ وصحيحٌ، ولكنِّي غيرُ مُصيبٍ في إعلان ذلك للعموم) وتَحَدُّثِي به مع كُلِّ أحدٍ

---

(١) «الشّهاب»، السّنة الأولى، العدد (٩)، الخميس ٢١ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ، ٧ جانفي ١٩٢٦م، (ص٥) من الأصل، و(ص٢٠-٢١) من مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ.

(٢) في مطبوعة «الشّهاب»: خمس عشرة، والتّصحيح من الأصل.

وإِنكاري لبدعهم بشِدَّةٍ وتغليظٍ على المعارِضين ...

وأقولُ: إِنّ الطّريقة المتَّبعة في ديننا غيرُ الطّريقة المتَّبعة في الجمعيّات السّرِّيّة، ودينُ الإِسلام يُفتى به للخاصّ والعامّ، والنّاس كلّهم منهُ على حدٍّ سواء، وأمّا ما أَتوَخَّاهُ في طريق «الدّعوة والإِرشاد»، فإِنّي أعملُ فيه بقولِ الله ﷻ لنبيِّه ﷺ: ﴿ لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ [النساء ٦٣]، وأمّا شِدَّتي على المعارِضين وإِغلاظي عليهم، فهُو مِن بابِ قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة ٧٣]، فهل أنا المُحِقُّ أم هُم المُحِقُّون؟

١٣- يقولون: إِنّي جئتُهم بما لم يَأتهم بهِ آباؤُهم وعُلماؤُهم الأقدمون ..

وأنا أقولُ لهم: راجِعوا القرآن وكُتب الدِّين، واقرؤُوا العِلم لعلّكم تَعقِلون! ..

١٤- يقولون عنِّي: لو تصدّى للتّدريس وتعليم العِلم بالطُّرق المألوفة عندهم وأَعْرَضَ عن الكتابة في الجرائد لكان كالعُلماء الّذين تقدَّمُوا، ولسَمَّيْنَاهُ عالمًا حقيقةً ...(١).

وأقولُ لهم: إِنِّي قد فعلتُ ذلك باديءَ بدءٍ، فما أَقْبَلَ عليَّ منكُم إِلَّا أقلّ مِن القليل، وكتابتي لا تَخرجُ عن حدِّ نشرِ العِلم والتّدريس، لأنّها أيضًا مِن هذا القبيل

---

(١) «الشّهاب»، السّنة الأولى، العدد (١١)، الخميس ٧ رجب الفرد ١٣٤٤هـ، ٢١ جانفي ١٩٢٦م، (ص٧) من الأصل، و(ص٢٤-٢٥) من مطبوعة دار الغرب الإسلامي.

.. وأمّا ما أردتموه مِن حَمْلِي على سُلوك طرائقكم القديمة وتمسُّكي بعَوَائِدِكم وسِيرة مَن مضى مِن مشايخكم، فلي فِيمَن هُم أقدمُ منهم مِن رجال السَّلَف الصّالح أُسوةٌ حسنةٌ، والرُّجوع إليهم هُم خيرٌ مِن الرُّجوع إلى آبائكم الأقدمين ...

ومتى أعرضتُم عن الصَّفق بالأسواق والجلوس في الحَانَات والقهاوي للَّهوِ ولعبِ القِمار وغيره، وحَرَّمتُم الدُّخول إلى «البَرَادِيلْ»(١)، وأَقبلتُم على المساجد تَعمرونها بالصّلاة وطلب العلم بها، ولم تجدوا عالمًا غيري يُذكِّرُكم بالله ويُعلِّمكم أمرَ دينكم واحتجتُم في ذلك إليّ، فإنّي لكُم -بالإِقْرَاءِ والتّدريس ونشرِ ما عَلَّمَنِيهِ ربِّي بينكم- ضامِنٌ وكَفِيل، وأَعِدُكُم وعدًا صادقًا بأنّه سيكونُ ذلك منّي لكُم (مجّانًا) وبدون ثمنٍ، لأنّي غنيٌّ عنكُم ولا أسألكُم على دينِ اللهِ أجرًا، ولا أُريدُ منكُم جزاءً ولا شُكُورًا ... فهل أنتُم بنصيحتي لكُم مُنْتَصِحُون، ولما أقولُهُ لكم فاعِلُون؟؟

١٥- يقولون: دعِ الكلامَ على أولياءِ اللهِ والجوامِع، وزُرْهُمْ وتبَرَّك بهِم معنا، ونحنُ نتبعُكَ في كلِّ ما تقول. ويَعنون بالأولياء: كلّ قبرٍ يُقَدِّسُونه ويَعبدُونه مِن دون الله أو مع الله، ويعنون بالجوامع: ما يَبنُونه مِن تلك الأَنصاب ولو على غيرِ جُثَّةٍ مَدفونةٍ أو قبرٍ يُزَار، وكذلك ما يُبَخِّرُونَهُ ويَطُوفُون به ويُوقِدُون عليه السُّرُج مِن الأحجار والأشجار ...

وأنا أقولُ لهم: قال مَن قبلكم مِن مُشرِكِي العرب الكُفّار لمحمّدٍ ﷺ: «يا

(١) هيَ المَعَاهِر وَبيُوتُ الدَّعَارَة!

مُحَمَّد! هَلُمَّ فَاتْبَعْ دِينَنَا ونَتْبَعُ دِينَكَ، تَعْبُد آلهتنا سنةً ونَعْبُد إِلَهَكَ سنةً، فقال: مَعَاذَ اللهِ أن أُشْرِكَ بِهِ غَيْرَهُ. قالوا: فَاسْتَلِمْ بعضَ آلِهَتِنا نُصَدِّقك ونَعْبُد إِلَهَك. فنزلت عليه سُورةُ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون ١]، فغَدَا إلى المسجد الحرام وفيهِ الملأُ مِن قُريشٍ، فقرأها عليهم، فَأَيِسُوا منهُ عند ذلك وآذَوْهُ وأصحابَهُ...»[١].

١٦- ويقولون لي أيضًا - عندما تنزلُ بي حادثةٌ تُروِّعُني أو أمرٌ يُفْزِعُني-: لو التجأتَ إلى قبرِ سيدي فلان وسيدي فلان، وسَلَّمْتَ الأمرَ لرجال البلاد، لفُزْتَ بقضاءِ حاجتِكَ ورَجَعْتَ ظَافِرًا بنَيْلِ مَقاصِدِك وكشفِ الضّرِّ عن جانبِك..

وأقولُ لهم:

اللهُ رَبِّــــي وَاحِـــــدٌ لَا أَرْتَجِـــــي
إِلَّا هُـــوَ عَوْنًـــا عِنْـــدَ كُـــلِّ مُلِمَّـــهْ
وَإِلَيْـــهِ أَضْـــرَعُ فِـــي الشَّـــدَائِدِ كُلِّهَـــا
لَا لِلْقُبُـــورِ وَلَا لِصَـــاحِبِ عِمَّـــهْ[٢].

١٧- يقولون: إنِّي لستُ بمُتَمَذْهِبٍ بمذهبٍ، ويسألُني بعضُ أشياخهم المتصوّفين حين ألقاهم عن مذهبي، كأنّهم يَشكُّون في ديني وإسلامي.

---

(١) انظر: «تفسير البغويّ» (٨/ ٥٦١)، ط. دار طيبة.

(٢) «الشّهاب»، السّنة الأولى، العدد (١٢)، الخميس ١٤ رجب الفرد ١٣٤٤هـ، ٢٨ جانفي ١٩٢٦م، (ص١١-١٢).

فأقولُ لهم:

يُسَـــائِلُنِي عَـــنْ مَـــذْهَبِي مُتَصَـــوِّفٌ
تعَـــرَّى مِـــنَ التَّقْـــوَى وَبِالبِـــدَعِ اكْتَسَـــى
فَقُلْـــتُ لَحَـــاكَ اللهُ إِنِّـــي مُسْـــلِمٌ
وَمَـــا لِـــي بِغَيْـــرِ القُـــدْوَةِ السَّـــيِّدِ ائْتِسَـــا
وَمَـــنْ خَـــالَفَ الهَـــادِي الحَبِيـــبَ طَرِيقَـــةً
إِلَـــى نَفْسِـــهِ وَالنَّـــاسِ لَا شَـــكَّ قَـــدْ أَسَـــا

١٨- يقولون: إنّ سيدي فلانًا كان يفعلُ كذا وكذا، وسيدي فلان ما قال كذا وكذا، وسيدي فلان ما كان ينهانا عن كذا وكذا، فلماذا تُخالفُهم أنتَ في كذا وكذا، وتقولُ لنا غيرَ ما سمعناه ورأيناه منهم؟؟

وأنا أقولُ لهم: الشّريعةُ حُجّةٌ على كلّ أحدٍ، وليس فِعْلُ أحدٍ ولا قَوْلُهُ فضلًا عن سُكُوتِهِ حُجّةً على الشّريعة ...

١٩- يقولون: اتركُوا لنا سِيرتنا الأُولى وما تَعَوَّدْنَاه، وَأَبْقُوا القديمَ على قديمِهِ، فذاك خيرٌ لنا ممّا تفعلُون.

وأقولُ لهم: لقد لَبِثْتُم أَمَدًا طويلًا على قَدِيمِكُم وسِيرتكم الأُولى، فهل قَدَّمَكُم ذلك بين أُمَمِ العالم أم أنتُم به مُتأخِّرُون، وفي هُوَّةِ الخَرَاب والدَّمَار ساقطون، وإلى الموت الأبديّ والقضاء على دينِكُم ولُغتِكُم ومُستقبَل أبنائكم تَسِيرُون؟؟؟ فأنتُم إِذَن فيما تَقُولُونه تكذبون ...

٢٠- يقولون: لا تَصلُحُ حالُ المسلمين ولا تَقُومُ لهم قائمةٌ إلّا إذا جاء الإمام

«المهديّ»، أو نزل سيّدنا «عِيسى» مِن السّماء ...

وأنا أقولُ لهم: إنّكُم مُكلَّفُون مِن قِبَلِ الشَّرعِ بالعملِ والسَّعي، سواءٌ أَدركتُم ذلك الزَّمنَ أو لم تُدركوه، ولَأَن يَأتيَ «المهديّ» أو يَنزلَ «عِيسى» ويَجِدُنا مِن أَهْدَى الأُمَم وأعظمها تمسُّكًا بدينِ اللهِ، خيرٌ مِن أن نلقاهُ ونحنُ شرُّ الخَلْقِ وأشقى أُمَمِ الأرض، فيشتغِلُ قبل كلِّ شيءٍ بقتالنا وتطهير الأرضِ منّا.

فدَعُوا اليأسَ والقُنُوط أيُّها المغترُّون، وَاعملوا ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[التوبة ١٠٥] (١).

٢١- يقولون لي: نخشى عليك مِن الحكومة الفرنسويّة، ويَنصحون لي بترك الكتابة في الجرائد والتّكلّم في مسائل الدِّين.

وأنا أقولُ لهم: إنّ فرنسا فيما علمتُ عنها مِن تاريخها المجيد، لم تكن عدُوَّةً للعِلم والعُلماء قطُّ، بل رأيناها تُجِلُّ العِلم وتحترم حامليه(٢)، ولكنّكم أنتُم أعداءُ الحقّ وأعداء العُلماء أجمعين.

أمّا ما أكتبُه في المسائل الدِّينيّة، فإنّ قانون فرنسا لا يُحرِّمُ على أحدٍ التّكلّم فيه، وكلُّ أحدٍ يجوزُ له أن يَتكلَّم في دِينه ويَكتب ما شاء، سواءٌ كان مُسلمًا أو يهوديًّا أو مسيحيًّا أو كيف ما كان ... ما دام لم يَمسَّ بمصالحِ فرنسا وسياستها الخصوصيّة،

(١) «الشّهاب»، السّنة الأولى، العدد (١٣)، الخميس ٢١ رجب الفرد ١٣٤٤هـ، ٤ فيفري ١٩٢٦م، (ص٥) من الأصل، و(ص١٦-١٧) من مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ.

(٢) العُقبيُّ هُنا يُدَارِي ليسَ إلَّا! انظر التّعليق الآتي.

وأُخبركم أنّي لو وجدت القُدرة لبشَّرتُ بدينِ الإسلام في سائر أنحاء الكُرة الأرضيّة، كما بشَّر غيري مِن رجال الدِّين بمذهب «البْرُوتِسْتَانْتْ»، وكما بشَّرتُم أنتُم أيضًا بمذهب المُتَمَرْبِطِين الدَّجَّالين، وأعتقدُ أنّ فرنسا الحُرَّة لا تمنعُني مِن ذلك، فماذا تقولون، أيُّها الخَرَّاصُون المفسِدُون؟! ...

٢٢- يقولون لي: لا تَتنازل لمُخاطبةِ كلِّ أحدٍ، ولا تُجالس غير مَن يَملأُ العُيُون أُبَّهَةً وجَلالًا، (واجعل لنفسِك نَامُوسًا[١] تَعِيشُ به)، حتَّى يَعتبِرك النّاس وتَدخلَ في عِداد العُلماء المعتبَرِين.

وأقولُ لهم: لو عملتُ بقولِكُم لكنتُ أَبعدَ النّاسِ عن الاتِّصاف بوصف العُلماء العاملين. إذن، فالخلافُ بيني وبينكم فيمَن هُو العالِم؟ وعندي أنّ سِيرة النّبيِّ ﷺ وما كانت عليهِ حالُه مع أصحابه هي الَّتِي تُبيِّنُ لنا وصف العالِم الوارِث، وتَشرحُ لنا حقيقةَ ما هُناك.

٢٣- يقولون لي: إنّ «رجال البلاد» غَيُورُون وأقوياء صِعاب، وسِرُّهم وبُرهانهم حاضر، وإنَّا نخشى عليك أن يَفتِكُوا بِكَ الفَتْكَةَ الكُبرى (يُخَوِّفُونَنِي بذلك)، ويَعنُون بِـ«رجال البلاد» آلِهَتَهُم وما يَعبُدُون مِن تلك الجمادات الَّتِي هُم لها عَاكِفُون.

فقلتُ لهم: قد قالها الّذين مِن قبلِكم فأصبحوا بها كافرين؛ وأنزلَ اللهُ على نبيِّه

---

(١) النَّامُوس: هُو الرَّجُلُ المُطَّلِعُ عَلَى باطِنِ أَمْرِكَ، المَخْصُوصُ بما تَسْتُرُه مِن غيرِه، أَو هُو صاحِبُ سِرِّ الخَيْرِ. انظر «تاج العروس» مادّة (نمس).

(محمّد) ﷺ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [الزمر ٣٦]، فأنا لا أَخْشَى إلّا الله، وهُو وحدَهُ يَعصِمُني مِن النّاس، وإِن أصابَتْنِي مُصيبةٌ فبإذنِهِ، لأنِّي أُؤمن بالقضاء والقدر حُلْوِهِ ومُرِّهِ، خَيْرِهِ وشَرِّهِ مِن الله، وهُو وَلِيِّي، عليهِ توكّلتُ، وعليهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المتوكِّلُون ..

٢٤- يقولون - وقَدْ لَجَأُوا إلى قُبُورهم الَّتِي يَعبدُونها -: ضُرُّوا فُلانًا «دُقُّوهْ» اقْتُلُوه، وقد شَدَّ بعضُهم الرَّحْلَ لتِلك القُبور لهذا الغرض وبهذه النِّيَّة خُصوصًا ..

وأقولُ: لو قام أهلُ القُبور مِن قُبورهم واستجابُوا لمَن دَعَوْهُم لقالُوا لهم: إنِّي على الحقِّ وهُم على الباطل، ولَجَالَدُوهُم على دِينِ اللهِ الّذي هُم به يَعْبَثُون بالسُّيُوف، ولَكَفَرُوا بشِرْكِهِم، وكانوا لهُم أعداءً، وعليهِم ضِدًّا، ولقالُوا لهُم إِنّكُم أنتُم الظّالمون.

٢٥- يقولون: إنّ أولياءَهم قد أَتَوْهُم في عَالَم النَّوم والرُّؤيا، وأخبرُوهم بأنّهُم كلّهم على الأربعة أركان خُصُومٌ لي وأعداء، وأنّهم يَعملُون على ضَرْبِي بمَدَافِعِهم الضّخمة الَّتِي صُنِعت ببيتِ الخَيَال وضميرِ السّرّ الخفيّ في مَعامِلِ لا يعلمُها إلّا الرَّاسِخُون في (عِلْمِ البَاطِن)، مِن الجماعة الّذين أكملوا الخِدمة «السّربِيس»(١)، وأخذوا التَّقاعُد في هذا الفنّ «لَنْطِريطْ»(٢)، فهُم يُوحَى إليهم مَنامًا ويَقظةً، وبذلك الوَحْيِ يَحْكُمُون.

---

(١) كلمةٌ فرنسيَّة (Service)، مُستعمَلة في اللُّغة العامّيّة، تعني: الخِدمة.

(٢) تَحريفُ كلمةٍ فرنسيَّة (Retraite)، مُستعمَلة في اللُّغة العامّيّة، تعني: التَّقاعُد.

٢٦- وقال بعضُهم: إنّ الأَجَلَ المضرُوب لي في ذلك، والفُسْحَة الّتِي أَعْطَوْنِيهَا «قُونْجِي»(١) يَنتهِي إلى إِقبالِ فَصْلِ الشِّتاء هذا!!!...

فقلتُ لهم: ما أعجزَ آلهتكُم الّتِي تعبدُون!! أَيَستعِدُّون كلّ هذا الاِستعداد لضربِ (واحدٍ) مِثلي بلغ مِن الضّعف المُنْتَهَى، ويَكفي لقتلِهِ وإِزهاقِ رُوحِهِ أن يُضرَب بحجرٍ واحدٍ أو عصى؟ فلِمَن هذا الاِستعداد كلّه وهذه المدافِع يا تُرَى؟ ولكِنْ على كلِّ حالٍ: (أَجْمِعُوا أَمْرَكُم وشُرَكَاءَكُم، ثُمَّ كِيدُوا جَمِيعًا، فَلَا تُنْظِرُون: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ﴾ [هود ٥٦])(٢).

٢٧ - يقولون: إِنّك تَستهزئُ بأولياءِ اللهِ الصّالحين ولا تَحترِمُهُم.

فقلتُ: حاشا وكَلَّا!! بل أنا أَضحكُ على عُقولكم السَّخِيفة، وإِنَّما أَستخِفُّ وأَستهزئُ بحِجارتكم الّتِي تُقدِّسون وأَوثانِكم الّتِي تَعبدُون، أمّا عبادُ اللهِ الصّالحون وأولياؤُه المُتَّقُون، فإنِّي أُجِلُّهُم وأَحترِمُهُم أكثرَ مِنكُم، لأَنَّهُم هُم أنصارُ الحقِّ، ولو كان لهُم مِن الأمرِ شيءٌ لبَدَأُوا بِكُم قبلَ كلِّ أحدٍ، ولَطَهَّرُوا الأرضَ مِن شِرْكِكُم ومَا تُؤْفكُون.

٢٨ - يقولون: إِنّ الأولياء هُم الّذين يَتَصَرَّفُون في الكَوْنِ أحياءً وأمواتًا، ولا تَتحَرَّكُ شَعْرَةٌ في العالَم إلّا بإِذنِهم، لأنّ اللهَ أَعطاهُم الكَوْن.

فقلتُ: سُبحانك اللّهُمّ هذا هُو الكُفْرُ بعَيْنِه، وهذا هُو البُهْتَان العظيم.

---

(١) كلمةٌ فرنسيّة (Congé)، مُستعمَلة في اللُّغة العامّيّة، تعني: الفُسْحَة وَالعُطْلَة وَالإِجازَة.

(٢) «الشّهاب»، السّنة الأولى، العدد (١٤)، الخميس ٢٨ رجب الفرد ١٣٤٤هـ، ١١ فيفري ١٩٢٦م، (ص٥) من الأصل، و(ص١٦-١٨) من مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ.

إنّ أولياءَ اللهِ هُم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس ٦٣]، ليس لهُم ولا لغيرهم مِن الأمرِ شيءٌ، بل الأمرُ للهِ وحده، وهُو الفَعَّالُ لِمَا يُرِيد، لا مُعقِّبَ لحُكْمِهِ، لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ، وليسَ للأولياءِ مَعَهُ في مُلْكِهِ شِرْكٌ، وما لَهُ مِنْهُم مِن ظَهِيرٍ، مَن مات منهُم فقد أَفْضى إلى ما عَمِلَ، وانقطع عَمَلُهُ إلّا مِن ثلاثٍ، كما ورد في الحديث الصّحيح(١)، ومَن حَيِيَ منهُم، فإنّهم كالعِبادِ أمثالِنا، وهُم ونحنُ لنا التَّصرُّف الكَسْبِيّ الخاصّ، كما هُو لأَحْقَرِ الحيوانات وأقلّ الحشرات، فقد تَتَصَرَّفُ حتَّى العَقرب والنّملة والبَعُوضة كما هُو مُشاهد، فهذا التّصرُّف لا نُنكِرُهُ، وحيثُ شارَكَهُم فيهِ الغَيْرُ فلا معنى لتخصيصهم به! وأمّا التّصرُّف المُطلق العامّ، فهُو للمَلِكِ العَلَّام قَيُّوم السَّماوات والأَرضين وما بينهُما، لَهُ الحُكْمُ وإليهِ تَصِيرُ الأُمور، وواجبٌ على كُلِّ مُسلمٍ أن يُؤمِن ويُصدِّق بقولِهِ ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران ٢٦]، فاللهُ هُو المُتَصَرِّفُ في العَالَمِ بِأَسْرِهِ، لا إِلهَ إلّا هُو رَبُّ السَّماوات والأَرضين، ورَبُّ كلّ شيءٍ، آمنتُ بِهِ، وعليهِ توكَّلتُ، وإليهِ أُنِيب...

٢٩ - يقولون: إنّ مَشائِخنا يَضْمَنُونَنَا مِن دُخول النّار، وهُم شُفعاؤُنا عند الله، وإنّهم يَعلمُون الغَيب وما في الأَرحام، حتَّى إنَّهُم يَحضُرُون عند تصوير (الجَنِين)

---

(١) رواه مسلمٌ (٤٣١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

في بَطْنِ أُمِّه، فيكونُ كما أرادُوهُ ذَكَرًا أو أُنْثَى! وبعضُهم يَبِيعُ الوَلَدَ الذَّكَرَ لطالبِهِ بثمنٍ مَعلومٍ وأُجرةٍ مَحدودةٍ، وأمّا الغَيْثُ ونُزُولُ المطر، فهُو أَسهلُ شيءٍ عندهُم وفي أيديهم، ومَتَى أرادُوا نُزُوله نزل، وإنّما يَمنعهُم مِن ذلك عدمُ رِضاهم عن العباد، لأنّهم قَصَّرُوا في خِدمة المشائِخ، وفسدت نِيَّاتُهم في آخر الزَّمان ...

هكذا يَقُولون ويَعتِقُدون، ويَزعُمون بعد ذلك أنّهُم مُسلمون، والعُلماء بين ظَهْرَانيهم وكُتُبُ الدِّين عندهُم، والنّاسُ في غفلةٍ عن كُلِّ ما يَزعُمون ويَدَّعُون.

وأنا أقولُ لهم: ما قالهُ اللهُ في كلامِهِ القديم لعِباده المُكَلَّفِين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان ٣٣-٣٤] صدق اللهُ العظيم(١)، وصَدَقَت عائشةُ فيما قَالَتْهُ لمَن سألها عن مِثلِ هذا: «**ذَاكَ فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ**»، وقَرَأَت الآية(٢)، وروى ابنُ عمر في الحديث الصّحيح

---

(١) قولُ القائِلِ: «صَدَقَ اللهُ العظيم» في نفسِهَا حَقٌّ، ولكن ذِكْرُها بعد نهايةِ قراءةِ القُرآن باستمرارٍ بدعةٌ؛ لأنّها لم تَحصُل مِن النَّبيِّ ﷺ، ولا مِن خُلفائه الرَّاشِدين فيما نعلم، مع كثرةِ قِراءتهم القُرآن، وقد ثبت عنهُ ﷺ أنَّهُ قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**». بهذا أفتت اللَّجنة الدّائمة للإفتاء (رقم الفتوى:٤٣١٠)، وانظر: «مُعجم المناهي اللّفظيّة» للشّيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ (ص٣٣٦-٣٣٧).

(٢) لعلَّهُ أَرادَ ما رواهُ البخاريّ (٧٣٨٠) ومسلمٌ (١٧٧) – واللّفظُ لهُ – عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: =

أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، وَتَلَا هَذِهِ الآيَةَ**»(١).

وقال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «**هَذِهِ الخَمْسَةُ لا يَعْلَمُهَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُصْطَفًى، مَنِ ادَّعَى أَنَّهُ يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ، فَإِنَّهُ كَفَرَ بِالقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ خَالَفَهُ**»(٢).

فَهَل مَشائخُكُم أَعلمُ وأَتقَى وأَجَلّ مِن هؤلاء السَّادة، أم أنتُم بأقوالِكُم هذه في الضَّلال تَعْمَهُون، وباعتِقَادِكُم لها وإِقْرارِها بينكُم تَكْفُرُون ومِن الإِسلام تَمْرُقُون؟؟؟..(٣).

٣٠ - يقولون: الحقيقةُ غيرُ الشَّريعة، وإنِّي قُلتُ ما قُلتُهُ، لأنِّي أَعلمُ عِلمَ الظَّاهِرِ فقط، ولو عَلِمْتُ عِلمَ الباطِنِ، وقرأتُ كُتُبَ (القوم)، لَعَلِمْتُ أنّ كُلّ ما يَقُولُونه ويَفعلُونه حَقٌّ لذاتِهِ، ولكنّه سِرٌّ مَكتُومٌ خُصّ به خواصُّ الخواصّ ...

فقلتُ لهم: لا طريقةَ ولا حقيقةَ ولا شريعةَ إِلَّا ما كان عليهِ مُحمّدٌ وأصحابُه الكِرام، فهُم خواصُّ الخواصّ، فسِيرُوا بسَيْرِهِم تَكُونُوا مِن الصّادقين، وإِلَّا فأنتُم والحالةُ هذه تَنْسِبُون إليهم النَّقْص، وتَحُطُّون مِن أَقْدَارِهم، وتَرَوْنَ أنفُسكم

=«**ثَلَاثٌ مَن تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ ... ومَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ، واللهُ يَقُولُ:** ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل ٦٥]» الحديث.

(١) البخاريّ (١٠٣٩).

(٢) ذكره الخازن في «تفسيره» (٣/ ٤٠١)، ط. دار الكتب العلميّة.

(٣) «الشّهاب»، السّنة الأولى، العدد (١٥)، الخميس ٥ شعبان ١٣٤٤هـ، ١٨ فيفري ١٩٢٦م، (ص٥) من الأصل، و(ص١٧-١٨) من مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ.

سَبَقْتُم إلى ما قَصَّرُوا هُم عنهُ، واهْتَدَيْتُم إلى ما لم يَهْتَدُوا إليهِ هُم، ونِلْتُمْ المقاماتِ العالية والمراتِب الجليلة الَّتِي ما نَالُوها هُم، ولا جاءَ مِن أقوالهم عند وُصُولِهِم إليها ما جَاءَنَا عن مَشائِخكُم وكلّ أقوالهم المأثورة المحفوظة لَدَيْكُم، والَّتِي تُقَدِّمُون الاِحتجاج بها على كُلِّ شيءٍ، فقد قُلْتُم غيرَ ما قَالُوه، وفَعَلْتُم خِلافَ ما فَعَلُوه، ومع ذلك تَدَّعُون السُّلُوك والوُصُول، وتزعُمُون أَنَّكُم مُحِقُّون، والنَّبيُّ ﷺ يقولُ لهم: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَى المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَضِلُّ مَنْ سَلَكَهَا**»(١)، فَهَلْ سَلَكَها الصَّحابةُ مِن بعدِه والتَّابِعُون، أم أنتُم وحدَكُم السَّالِكُون؟؟ وهل هُم أَهْدَى مِنكُم سبيلاً، أم أنتُم وحدَكُم الهَادُون المَهْدِيُّون؟...

فماذا عَسَى تَقُولُون بعد هذا المقال، وماذا بعدَ الحَقِّ إلَّا الضَّلال؟

٣١ - يقولون: إنّ فرنسا تَكرهُ وُجود العُلماء في «الجزائر»، لأنّها تخشى أن يُثِيرُوا عليها حَرْبًا، ولذلك تَجعلُ عليهِم الجَوَاسِيس والأَرْصَاد وتُكْثِرُ المُراقَبَةَ لهُم في كُلِّ حينٍ(٢) ...

---

(١) مِن ألفاظ حديث العِرباض بن سارية رضي الله عنه: «**لَقَدْ تَرَكْتُكُم عَلَى مِثْلِ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»، رواه ابنُ ماجه (٤٣) وغيرُهُ، وهُو صحيحٌ. انظر: «ظِلال الجنّة في تخريج السُّنّة» (رقم:٣٣و٤٨و٤٩) و«الصّحيحة» (٩٣٧) كلاهُما للألباني رحمه الله/ **تنبيهٌ**: لفظةُ: «**المَحَجَّة**»، لمْ تَرِد في الرِّواية!

(٢) وهذا حقٌّ ثابتٌ، والعُقبيُّ يَعلمُ ذلكَ! وهُو هُنا رحمه الله لا يملكُ إلّا أن يُدَاري، ومِن الشّواهد على ما نقولُ:

أنّ كلمات (المداراة) تلك الّتي كان يتدرَّع بها العُلماء، لم تُغيِّر شيئًا مِن خُطّتهم، وقد فطِنت لهذا =

=

فرنسا، وهي تشاهد تلك النَّهضة التي أَحْدَثَهَا العُلماء النَّاهِضون، وتلك التّغيّرات الَّتِي ظهرت في الأُمّة الجزائريَّة، فتصدّت لهم، ولم تلتفت إلى تلك العبارات؛ لأنّها يهمّها الواقع والحركات لا الكلمات.

وقد نشر الأُستاذ محمّد الطاهر فُضلاء رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «التّحريف والتّزييف» (صـ٤٢١)، «وثائق سِرّيّة مِن الإدارة الإستعمارية: عثر عليها في أحد مكاتب قصر الحُكومة، وهُو القصر الَّذِي كانت تشغلهُ مختلف المصالح الإداريّة التّابعة لديوان الوالي العام (ممثّل فرنسا) بالجزائر...قال: ليَعرف الحاضرون مِن شبابنا، كيف مرَّت هذه الفترة القاسية على هذا الوطن، ومدى مُعاناة أبنائه مِن الحُكم الِاستعماري الغاشم، لا سيّما رجال الإصلاح الدِّينيّ الَّذِين مهَّدُوا للنّهضة و كانوا رُوَّادها، وأعدُّوا للثّورة فكانوا وَقُودها»، أسوقُ منها:

«**الوثيقة الرّابعة**: الجزائر ٨ أوت ١٩٣٢ جمعّية العلماء المسلمين، المدارس القرآنية: الوالي العام على الجزائر/ إلى السّيّد عامل العمالة (شؤون الأهالي) قسنطينة/ في التاسع من شهر ماي المنصرم تحت رقم... كنت أشرتُ لكم بالمجهودات المبذولة مِن طرف جمعيّة العلماء المسلمين الّتي مقرّها المركزي بالعاصمة، مِن أجل افتتاح مدارس خاصّة، حيث يُعلمّ فيها فقط القرآن واللّغة العربيّة، فأنا ممنونٌ لكم سيدي الفاضل، لو تتفضّلون بالإجابة عن البلاغ المذكور سابقا. **فأَيًّا كانت حذرةً و مُعتدلةً -على الأقلّ في الشّكل- هذه الطُّرُق الّتي تغطِّي بها جمعية العلماء المسلمين حاليًّا نشاطاتها وتظاهراتها، فإنّه لا يخفى أنّ أهدافها الحقيقيّة تَظَلُّ غامضةً وأنّه يسمح باتّهامها – باتّجاهات ترمي في النّهاية، من خلال الحضارة الغربية- إلى النّيل وإصابة القضيّة الفرنسيّة .... فمن المؤكّد أنّه لا يخفى عليكم سيدي العامل، بأنّ هذه الحالة تستدعي كلَّ يقظتنا العاجلة واحتياطنا السّريع**،... عن الوالي العام الكاتب العام للولاية العامّة/ التّوقيع.....

الوثيقة الخامسة: قسنطينة في ٢٤ أوت ١٩٣٢ عن عامل العمالة/ الكاتب العامّ ... **مِن الجدير إذن، منذ الآن، مُحاربة كُلّ مُناوَرَات دُعاة جمعيّة العلماء المسلمين، مُحاربةً فعّالةً... يجبُ أن يكون قَبول المعلِّمين موضوع أشدّ تحقيق دقيق، وخاصّةً مِن ناحية خُلُقهم و آرائهم السِّياسية، ومواقفهم**

=

وأقولُ: إنّ الرّجل العالِم لا تَثْبُتُ له صفةُ العِلم، إلّا إذا كان عاقِلًا، والعَقل والعِلم مِن شأنهما أن يَعْصِما صاحبهما عن الخطأ والخَطَل، فالعاقِل مهما كان مُحِبًّا للجزائريِّين ومُبغِضًا لِفرنسا (مثلًا)، لا يُجِيزُ لهُ عقلُه وعِلمُه أن يَرمِيَ بأُمَّته[1] الضّعيفة الجاهِلة الفقيرة العَزْلَاء مِن كُلِّ قُوّةٍ وسِلاحٍ إلى الهلاك والبَلاء الَّذي لا يطُاق[2]، فلا أَظنُّ عالِمًا عاقِلًا في الدُّنيا يقولُ للجزائريِّين: حَارِبُوا فرنسا

=

مِن حيثُ وجهة نظرهم الوطنيّ...»إلخ.

(١) في« الشِّهاب»: بأمّة.

(٢) لا يُظنّ من هذا الكلام الّذي لا يخرج عن سابقاته من عبارات (المداراة) أنّ العلماء المصلحين لم يكونوا يعملون لِلاِستقلال واسترداد الحقّ المغصوب وطرد الكافر المحتلّ، فهذا الإمام ابن باديس يقول: « **إنّنا نعمل للاِستقلال بالطُّرُق النّاجعة والمفيدة وهي التَّعليم، أمّا الدّعوةُ إليه مع الجهل فإنّها تَخيب ولا تنجح؛ لأنّ السّلطة الفرنسيّة تجدُ مُبتغاها مع الجاهلين؛ إذْ يسهلُ عليها تفريقهم عند الدَّاعي**». من حديث خاص للشيخ عبد اللطيف سلطاني في ١٣ يناير ١٩٧٧ بواسطة: سعيد الأخضر سلام، «أثر جمعيّة العُلماء المسلمين الجزائريِّين في الحركة الأدبية في الجزائر»، (ص٥٦)، (رسالة ماجستير، جامعة عين شمس مصر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

وانظر عن الفِكر السِّياسيّ عند العُقبيّ فصل (الدَّعوة إلى تصفية الاِستعمار)، مِن كتاب «الفِكر الإصلاحيّ في الجزائر: الشّيخ الطّيِّب العُقبيّ بين الأصالة والتّجديد» للدّكتور كمال عجالي(ص١٠١-١٠٥)، وفيه يقول عن نظرة العُقبيّ للاستعمار بعد مراحل اقتضتها الظّروف: «في وضوحٍ وصراحةٍ دُون أدنى مُواربة وخاصّةً بعد أن انتشر الفِكر التَّحرُّريّ في العالم العربي وغيره، فقال -سنة ١٩٤٧م-: «**لا وِصاية اليوم، لا انْتِدَاب، لا حِمَاية، لا استعمار، ولا استثمار ولا امتلاك لشعبٍ أو أُمّةٍ إلّا برِضاها!...بل حُرّيّة تقرير المصير لكُلِّ شعبٍ واستقلال كُلّ أُمّة بنفسِها هُو المبدأُ الَّذِي يَسُود العالم اليوم، وهُو الحَقُّ المقدَّس في نظر كُلّ أُمّة.. **»... والرّأي نفسُه والفِكرة

=

=

ذاتها نجدُها عنده حينما سُئل عن رأيه في الاِتِّحاد فقال مُباشرة – سنة ١٩٥٣م -: «**الاِتِّحاد واجبٌ علينا مِن جهةٍ أُخرى بحُكم وضعيّتنا الشَّاذّة، إِذ الحالةُ تَستدعِي جمع الكلمة وتوحيد الجُهُود في سبيل تَحرير أُمّتِنا مِن الاِستعباد**» ».

ويقول الدّكتور عجالي في آخر كتابه (ص١١٠): «خُلاصة القول في هذه النُّقطة نقول: إنّ العُقبي لم يُفكّر يومًا مِن الأيّام أنّ الجزائر أصبحت مِن فرنسا، وإن اضطرّته الظّروف في مواقفه إلى المناورة والمداورة أمام بطشِ الاِستعمار وأذنابه، وليس هُناك دليلٌ أكثر وضوحًا على ما أزعم سِوى قوله في صراحةٍ ووُضوحٍ –سنة ١٩٤٧م-: «**لا غَرْوَ ولا عَجَب أن تكون هذه الأُمّة كغيرِها مِن الأُمم، بل في مُقدّمة الأُمَم، وهي جُزءٌ لا يتجزّأ مِن العالم الإسلاميّ كُلِّه، أَحَبَّ مَن أَحَبَّ وكَرِهَ مَن كَرِهَ**» »اهـ.

أقولُ: ما تقدَّمَ هو شاهدٌ من النِّهايات، وأذكر شاهدًا قويًّا من بدايات العلماء:

ففي سنة ١٩٢٨م تمَّ انعقاد اجتماع الرُّوَّاد برئاسة ابن باديس، وحضرهُ العُقبيُّ مِن «بسكرة» – ذكره الشّيخ محمّد خير الدّين وهو أحدُ أعضائه في «مذكّراته» (١/ ٨٢-٨٦)-و هو يدلّ بوضوحٍ على: النّظرة الحقيقيّة الّتي ينظر إليها العلماءُ –بزعامة الإمام ابن باديس- إلى الاِستعمار، وما كانوا ليَرْضَوا به وبتسلُّطِهِ، فهُم يعلمون حقًّا ما فعله بالشّعب الجزائريّ، ويعلمون أهدافه وغاياته، وأنّه (العدوّ الاِستعماريّ الصّليبيّ) وأنّه اغتصب أرضنا ... إلى آخر ما جاء في خطاب ابن باديس، وقد استعرض رَحِمَهُ اللهُ تلك القوانين الجائرة الَّتِي أصدرها هذا العدوّ، وكيف أعلن أنّ الجزائر جزءٌ مِن فرنسا وأنّها أرضٌ فرنسيّةٌ إلى غير ذلك من الاِعتداءات ، الّتي كان يتألّم لها ابنُ باديس وإخوانه ويُنكرونها بقلوبهم ويُواجهونها بأعمالهم، وما كان اجتماعهم هذا إلا إعلانًا للحرب ضدّ الاِستعمار، لكن بالطُّرُق الحكيمة المجدية، واستمِع إلى ابنِ باديس وهو يقول عن الخطّة التي يجب السَّير عليها، ومِن ضمنها: «**العمل على إِذْكَاء رُوح النِّضَال في أوساط الشّعب لتحرير البلاد مِن العُبوديّة، والحُكم الأجنبيّ، ولأنّ مَبدأنا الَّذِي يجبُ أن نَسِيرَ عليهِ هُو اتِّباع هَدْيِ رسول اللهِ ﷺ الّذي عَلَّمَ أصحابه أوّلًا العقيدة والإسلام، ثمّ سَلَّحهم بالسُّيُوف وأدوات القتال، فكِلاَ السِّلاحين لا يُغني أحدهما الآخر** »اهـ. فهذا يدلّ بوضوح على أن العلماء لم يكونوا لحظةً مِن لحظاتهم تاركين

=

وكُونُوا لها أعداءً، لأنَّهُ يَعلمُ أنَّهُم لو فعلوا ذلك يَمُوتُون جميعًا في أقربِ وقتٍ ولا يَنجحُون. هذا مِن الوِجهة العِلميّة العَقليّة، وأمّا مِن الوِجهة الدِّينيّة، فكُلّ عالِمٍ يقرأُ في كتابِ اللهِ قولَهُ ﷻ: ﴿ تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة ١٩٥]، ويَفهمُ معنى هذه الآية جيِّدًا. فكيف يُمكِنُ والحالُ ما ذُكر مِن الوِجهتين أن يَقول العالِم العاقِل لأُمَّتِه الَّتِي يُحِبُّها ما يُخالِف العَقل والدِّين؟؟..

ولكن الأَحَقّ بالمُراقبةِ عندي والتَّخوُّف مِن تَشويهاته في بعضِ الأحيان هُم جَهَلَةُ المُرَابِطِين، لأنّ الواحِد منهُم متى الْتَفَّ حولَهُ مِن أتباعِهِ المائة أو المائتان، سَوَّلَت لهُ نفسُه أنَّهُ مَلَكَ الدُّنيا بأجمعِها، ورُبّما حدّثَتْهُ بأنّه هُو «الإِمام المهدي» أو «عيسى ابن مريم»، ولو قال مِثل هذا القول لأتباعِهِ لَصَدَّقُوهُ، لأنّهُم يُؤمنون بكُلِّ ما يقولُ (ولو كان مُحَالًا)، ولو قال لهُم: نُعلِنُ الجِهاد الدِّينيّ والحَرب المقدَّسة، لقالوا لهُ: لبَّيك! لبَّيك! إِنّا لك مُطِيعون، ولِأَوامِرك سامِعُون، ذلك لأنّهم جاهِلون، وإلى العَواقب والنّتائج لا يَنظُرون، فمِثلُ هؤلاء الّذين يَجِبُ أن

=

للجهاد مُؤثرين للاِستسلام والخضوع لفرنسا، بل كانوا في جهادٍ مستمرٍّ دؤوبٍ: جهاد العلم والتّعليم، وقد أيقنوا: «أنّ العِلمَ عَدُوُّ الاِستعمارالألَدّ»، كما قال الإبراهيمي ﵀، وما كانوا ليُدخِلُوا الشّعبَ الجزائريَّ المسكين في مُواجهةٍ عسكريّةٍ مع الاِستعمار، وهو لا يزال غارقًا في الجهل والبُعد عن الدِّين الصّحيح ، تُسيطرُ على عقله الخرافات والأوهام، قد تسلَّطَ عليه أربابُ الضَّلالة –وبتعبير الإبراهيميّ: استعمارٌ رُوحانيٌّ–، والاِستعمار الفرنسي مُحْكِمٌ قبضته على البلاد والعباد في جميع المجالات (استعمارٌ مادّيٌّ)، فكانت خطّةُ العلماء هي: التّخلّص مِن الاِستعمارَين المتعاضدَين، وقد بدؤُوا بالاِستعمار الأوّل –الطّرق الصّوفيّة–، لأنّهُ أهونُ! ليتفرَّغُوا بعدُ للاِستعمار الصَّليبيّ.

تُبغضهم فرنسا وتَقطَعَ دَابِرَهُم أجمعين ...»[١].

٣٢ - يقولون: إنّ «دِيوان الصّالحين» هُو الّذي يَتولّى فَصْلَ القضايا والنّوازل بين الخُصُوم، وأنّ القُضاة ورُؤساء المحاكم العَدليّة وغيرها لا يَحكمُون إلّا بمُقتضى ما يُمْلِيهِ عليهم ذلك الدِّيوان، ورُبّما تَزَيَّا بعضُ أولئك الصّالحين بزِيِّ الحاكِم، فأَصْدَرَ الحُكم، والنّاسُ يَظنُّون غيرَه مِن الحاكِمين ...

وأقولُ: إنّ «دِيوان الصالحين» معي إذن، وهُم كُلُّهم لي أعوانٌ وأنصار، لأنّهم قد حَكَمُوا لي على خصمي بمجلسِ «التْرِيبُونَالْ»[٢] بِـ«باتنة»، وصَدَرَت «الجُوجْمَة»[٣] مِنهُم على حَسَبِ ما أُرِيد ...

٣٣ - يقولون: أَلْقَيْتُ عليهم السَّلام صباحًا أو مساءً: «صباح الخير»، أو «مساء الخير».

وأنا أقولُ عنهم: إِنّهُم تَرَكُوا تَحِيَّةَ شرعِنا، وتَمَسَّكُوا باللَّفظ مِن إِصباحٍ أو إِمْسَاءٍ، يا وَيْحَهُم! ضَلُّوا السَّبِيل، وخَالَفُوا نهجَ شريعةِ دِينِنا السَّمحة.

٣٤- يقولون-عندما أقولُ لهُم: علِّمُوا بناتِكم وأدِّبوهنّ على حَسَبِ ما

---

(١) «الشّهاب»، السّنة الأولى، العدد (١٦)، الخميس ١٢ شعبان ١٣٤٤هـ، ٢٥ فيفري ١٩٢٦م، (ص٥) من الأصل، و(ص١٨-١٩) من مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ.

(٢) كلمةٌ فرنسيَّة (Tribunal)، مُستعمَلة في اللُّغة العامّيّة، تعني: مجلِس القَضاء.

(٣) كلمةٌ فرنسيَّة (Jugement)، مُستعمَلة في اللُّغة العامّيّة، تعني: وَثِيقَة الحُكْم أو الحُكم القضائيّ.

تَقتضِيهِ الشَّريعةُ الإسلاميّة حتّى يُمكِن لأزواجهنّ أن يَعِيشُوا معهُنّ عِيشةً راضِيةً، ويَحْيَوا جميعًا حياةً طيِّبةً-: إنّ بقاءَهُنّ على هذه الحالةِ خيرٌ لنا ولهُنّ.

وأنا أقولُ لهم -وأعتقِدُ صِحّةَ ما أقولُ-:

مَـا حَيَـاةُ المَـرْءِ مَـعْ   زَوْجٍ لَـهُ لَيْسَـتْ أَدِيبَـة

غَيْـرُ سِـجْنٍ أَبَـدِيٍّ   عَظُمَـتْ فِيـهِ المُصِـيبَة[1]

٣٥ - يقولون عنّي -وقد اطّلَعُوا على مقالاتي النّثريّة وما كتبتُهُ أخيرًا في الصّحف-: إنِّي كاتبٌ ولستُ بشاعِرٍ.

وأنا أقولُ لهم:

لَـئِنْ ظَـنَّ قَـوْمٌ أَنَّنِـي لَسْـتُ شَـاعِرًا

فَمَـا ظَـنُّهُمْ إِلَّا سَـرَابٌ بِقِيعَـة

وَإِنْ هُـمْ قَـدْ اسْـتَاؤُوا لِنَثْـرٍ أَصُـوغُهُ

فَفِـي الشِّـعْرِ شَـيْطَانِي شَـدِيدُ الوَقِيعَـة

٣٦ - يقولون - بعد أنِ اطَّلَعُوا على البعضِ مِن قصائدي وشِعري-: إنّني شاعرٌ ولستُ بعالِمٍ ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

فقلتُ لهُم: ما لَكُم عَمِيتُم عن تَمامِ الآية؟ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ مُنقَلَبٍ

(١) نشر هذان البيتان في (مَجَانِي الأَدَب)، مِن جريدة «الإصلاح»، العدد (٨)، ٢٧ جمادى الثانية ١٣٤٨هـ - ٢٨ نفامبر ١٩٢٩م، (ص٤).

يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ [الشعراء: ٢٢٧][1].

٣٧ - يقولون: إنّي سَأَلْقَى الجزاءَ الصَّارِم مِن «دِيوان الصَّالحين»؛ لأنّي تَكلَّمتُ على سيدي عبد القادر الجِيلِيّ (رضي الله عنه، وأعاد عَلينا مِن بركاته، آمين).

وأقولُ: إنّي تكلَّمتُ حقيقةً، وذكرتُ أنّ سيدي عبد القادر وغيرَه مِن مَشاهيرِ الرِّجال الصّالحين نَقَلَ لنا التّاريخُ أعمالهم وسِيرَتَهُم السّنيّة، وإنّا نُحبُّهم ونَحترِمُهم جميعًا، ولكن لا يجوزُ لنا أن نَعْبُدَهُم (مِن دُونِ اللهِ أو مَعَ اللهِ)؛ لأنّهُم عبادٌ أمثالُنا، وما قال أحدٌ عنهُم: (إِنِّي إِلَهٌ)، ولم ينقل لنا عنهُم أنَّهُم كانوا يَفعلُون هذه المناكِر الَّتِي نُشاهِدُها بين جُمُوع المُنْتَمِين إليهم (بِنِسبةٍ غيرِ صحيحةٍ)، بل ما نقل لنا عنهُم إِلَّا أنَّهُم كانوا مِن أشدِّ النَّاسِ مُحافَظةً على السُّنَّة وتَمَسُّكًا بها، كما أنَّهُم كانُوا مِن أشدِّ النّاسِ بُغضًا للبِدعة والمبتدِعين أمثالِكم، ولذلك نُحِبُّهُم ويُحِبُّونَنَا حقيقةً. وأمّا أنتُم، فإنَّهُم مِنكُم ومِن أعمالِكُم بَرِيئُون .....

٣٨ - يقولون: إنّي لا أَحترِمُ «سيدي عُقبة»، ويَفْتَرُون عَلَيَّ الكذِب، ويَتَحَدَّثُون بأنّي عندما أَزُورُهُ أُحَيِّيهِ بقولي: «السّلامُ عليك يا سيدي عُقبة إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا».

وأنا أقولُ لهم: إنِّي أَعرَفُ مِنكُم بمَقام هذا السّيِّد الجليل ودرجتِه، واحترامِي

---

(١) «الشّهاب»، السّنة الأولى، العدد (١٧)، الخميس ١٩ شعبان ١٣٤٤هـ، ٤ مارس ١٩٢٦م، (ص) من الأصل، و(ص١٦-١٧) من مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ.

لهُ -فيما أَظُنُّ- أكثرُ مِن احترامِ كلِّ أحدٍ منكُم؛ لأنّي أَقْدِرُهُ قَدْرَهُ، وأَعرِفُ تاريخَ حياته وأعماله الخالدة، وأعلمُ فَضْلَهُ عليكُم وعلى أهلِ هذه البلاد أجمعين، وأعتقِدُ أنّهُ لولا هُو وأمثالُهُ لَمَا كُنتُم عرفتُم الإِسلامَ والمسلمين، ولكُنتُم جميعًا تَعبُدُون البقر، أو تَتبعُون ما شَرَعَهُ لكُم البَرَابِرَةُ الأَقدمُون ....

٣٩- يقولون - إِذا رَأَوا الإِفرنج مُقبلين ومُدبِرين لقضاءِ مآربهم والسَّعيِ في مصالحهم، ونساؤُهم كذلك في حُسنِهِنّ الفَتَّان وما يُبْدِينَهُ مِن زِينتهِنّ وبَهارِجِ مَدَنِيَّتِهِنّ-: إنّ الدُّنيا لهُم وليست لنا، وما جمالُهُم إلّا جمالٌ ظاهريّ، وأمّا مَحاسِنُهُم فليست بالمحاسِنِ في الحقيقة، ومِثلُ هذه الأُمُور كُلُّها حرامٌ لا يَجوز.

وأنا أقولُ: قال اللهُ ﷻ في كلامه القديم - ردًّا على مَن حاول أن يُحرِّم على نفسِهِ ما أَحَلَّ اللهُ لعبادِهِ المؤمنين -: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وأُجِيبُهُم عن الإِفرنج ومَا يُبْدِيهِ نِساؤُهم مِن زِينَتِهِنَّ بِإِزَائِنَا:

ذَهَبُوا بِلَذَّاتِ الحَيَاةِ جَمِيعِهَا

وَالمُسْلِمُونَ بِكُلِّ خِزْيٍ بَاءُوا..

حَازُوا المَحَاسِنَ وَالفَضَائِلَ كُلَّهَا

وَتَحَكَّمُوا فِينَا كَمَا قَدْ شَاءُوا...[1]

---

(١) «الشّهاب»، السّنة الأولى، العدد (١٧)، الخميس ١٩ شعبان ١٣٤٤هـ، ٤ مارس ١٩٢٦م، (ص١٦-١٧).

لَـــوْ آمَنُـــــوا بِالهَاشِـــمِيِّ (مُحَمَّــــدٍ)

مَــــا مَسَّــــهُمْ مِــــنْ بَعْــدِهَا ضَــرَّاءُ!

طُـــــوبَى لِـــــذَيَّاكَ النَّعِـــيمِ وَلَيْتَنَـــــا

مِتْنَــــا وَمَــــا عَــــمَّ الجَمِيـــعَ شَــقَاءُ(١)

---

(١) كتب الأُستاذ محمّد الطّاهر فضلاء رَحِمَهُ اللَّهُ تحت فصل (مُساجلة شِعريّة) مِن مقاله «**محمّد العيد: شاعر النّهضة الوطنيّة**»: «ففي منزل الشّاعر بمدينة «بسكرة»، وفي أواخر السّبعينيّات (١٩٧٨) كتبتُ عنه هذه المساجلة التّالية وهي ما تزالُ عندي في ورقتها على الوجهين، قال: كُنّا في مجلسنا في «جْنِينَة البَايْ» هُنا بمدينة بسكرة، ومعنا العلّامة الدّاعية الشّيخ الطّيّب العُقبيّ، فمَرَّ بنا موكبُ (شيخ البلديّة) وهُو مِن المعمّرين الفرنسيّين الأثرياء، ومعه زوجه وأبناؤه، وهُم يَرفلون في نِعم الرّفاهية والبَذَخ... فقال لي الشّيخ الطّيّب العُقبيّ: أجز يا محمّد العيد. فقلتُ: هات، فقال:

ذَهَبُـــوا بِلَـــذَّاتِ الحَيَـــاةِ جَمِيعِهَـــا

وَالمُسْـــلِمُونَ بِكُـــلِّ خِـــزْيٍ بَـــاءُوا

جَمَعُـــوا المَحَاسِـــنَ وَالفَضَـــائِلَ كُلَّهَـــا

وَتَحَكَّمُـــوا فِينَـــا كَمَـــا قَـــدْ شَـــاءُوا

فقلتُ للشّيخ: هذان البيتان هُما الصّالحان للإجازة، فهل تَسمحُ أن أضع لهما مقدّمتهما؟ فقال: نعم، وكرامة! فقلتُ على الفَور:

وَيْـــلَاهُ، عَــــمَّ عُيُونَنَـــا الإِغْضَـــاءُ

هُبُّـــوا فَقَـــدْ فَتَكَـــتْ بِنَـــا الأَرْزَاءُ

يَـــا مُسْـــلِمِي أَرْضِ الجَزَائِـــرِ مَـــالَكُمْ؟

لَا نَشْــــــرَةٌ تَهْـــــــدِي وَلَا آرَاءُ

=

٤٠- يقولون: إنَّكَ تَعِظُنا وتُذَكِّرُنا وتأمُرُنا وتنهانا، قُلْ: نحنُ وحدَنا المذنِبُون وأنتَ غيرُ مُذنِب؟

فقلتُ لهم: إنِّي ما ادَّعيتُ أنِّي مِن العِباد الّذين لا يَعصُون اللهَ ما أَمَرَهُم ويَفعلُون ما يُؤمَرُون، وأنا لا أُثبِتُ العِصمةَ إلَّا لمن ثَبَتَتْ لهُ شرعًا، وحيثُ سألتُموني عن حالي الخاصّة، فإنِّي أقولُ:

=

آنَ الأَوَانُ فَثَابِرُوا نَحْوَ العُلَا
أَنْتُمْ لإِدْرَاكِ العُلَا أَكْفَاءُ
أَيَسُرُّكُمْ أَنَّ الفِرَنْجَ أَعِزَّةٌ
وَالمُسْلِمِينَ أَذِلَّةٌ جُبَنَاءُ؟
أَيَسُرُّكُمْ أَنَّ الفِرَنْجَ بِأَرْضِنَا
أَمْسَوْا هُمُ الحُكَّامُ وَالأُمَرَاءُ؟

ثمّ يأتي البيتان فيُجِيزان القِطعة هكذا:

ذَهَبُوا بِلَذَّاتِ الحَيَاةِ جَمِيعِهَا
وَالمُسْلِمُونَ بِكُلِّ خِزْيٍ بَاءُوا
جَمَعُوا المَحَاسِنَ وَالفَضَائِلَ كُلَّهَا
وَتَحَكَّمُوا فِينَا كَمَا قَدْ شَاءُوا

وقد روى الشّاعر هذه القِصّة الأدبيّة الّتِي وقعت فِي السَّنوات الأُولى مِن العشريّة الثّانية مِن هذا القرن الّذي نحنُ فِي آخره، وقد طَوَت مِن الأيّام والأعوام أكثر مِن نصفِ قرن، وكأنّهُ يَصِفُ حادثًا أدبيًّا ووطنيًّا وقعَ بالأمسِ الدَّابر، ممّا يدلُّ على صفاءِ ذِهنه وقُوّة ذاكرته وحافظته...»اهـ. [جريدة «البصائر»، السّلسلة الثّالثة، العدد (١٦)، ٢٨ جمادى الأولى ١٤١٣هـ - ٢٣ نوفمبر ١٩٩٢م، (ص١٢-١٣)].

أَنَــــا وَاللهِ مُــــذْنِبٌ وَمُقَصِّــــرٌ
وَذُنُــــوبِي كَثِيــــرَةٌ لَــــيْسَ تُنْكَــــرْ
غَيْــــرَ أَنِّــــي أَرْجُــــو مِــــنَ اللهِ عَفْــــوًا
إِذْ عَطَايَــــاهُ جَمَّــــةٌ لَــــيْسَ تُحْصَــــرْ

٤١- يقولون: إنّ ما تأخذُهُ الحُكومةُ منهُم مِن المَغَارِم والضَّرائِب يُغنِيهِم عمَّا فَرَضَهُ اللهُ عليهم مِن إِخراج الزَّكاة في أموالهم وإِعطاءِ جُزءٍ يسيرٍ منها لإِخوانهم الفُقراء والمساكين، وإنّ بعض مشائِخِهم .... أَفْتَوْا لهُم بهذا، ولَوْ نظرُوا إلى حِكمةِ التَّشريع ومَفروضيّة الزّكاة لَعَلِمُوا الحقيقة.

وأقولُ لهم -كيفما كان الحال-:

يَــا مَــانِعِينَ الزَّكَــاة! هَــلْ تَمْنَعُــونَ المَمَــاتْ؟
آتَــاكُمْ فَاسْــتَعِدُّوا! سَــتَنْدَمُونَ وَلَاتْ[1].....[2]

٤٤[3] - يقولُون لي: ما بالُكَ لا تُكثِر مِن مُطالعة بعض الجرائد الآن، وقد كُنَّا

(١) نشر هذان البيتان في (مَجَانِي الأَدَب)، مِن جريدة «الإِصلاح»، العدد (١١)، ٢٣ شعبان ١٣٤٨هـ - ٢٣ جانفي ١٩٣٠م، (ص٤).

(٢) «البرق»، السّنة الأولى، العدد (١٧)، الإثنين ٥ محرم الحرام ١٣٤٦هـ، ٤ جويلية ١٩٢٧م، (ص٣).

(٣) هكذا التَّرقيم في «الشِّهاب»! وقد سَقطَت الفقرتان: (٤٢) و(٤٣)، فلم تُنشَرا؛ لَا في «البرق» ولا في «الشِّهاب».

نَرَاها قَبْلًا في يدِك أحيانًا.

فقلتُ لهم: إِنِّي متى وجدتُ الفُرصة سانِحةً طالعتُ كلّ جريدةٍ عربيّةٍ (لم يَمنع القانونُ دُخولها إلى هذه البلاد)، وبوُدِّي أنْ لو تصل بيدي، ولكنِّي ما اشتركتُ في جريدةٍ سافِلةٍ قطّ ولا اشتريتُها منذُ عرفتُ الصّحافة وأحسنتُ قِراءتها، غير أنّي أُطالِع البعض مِن هذا النّوع إذا وجدتُهُ بلا تَكَلُّفٍ له، وعندما أُحمل على مُطالعته وتَدعُوني الضّرورةُ إليه، ولهذه الجرائد السَّافِلة في نظري ما للمَيتة مِن الحُكم في نظر الفقهاء؛ تُؤكلُ عند الاِضطرار وتطُرَح في حال الاِختيار...

فحَسِّنُوا صحائِف أعمالِكم أيُّها السَّائِلُون!! ...

٤٥ – يقولون: إن كنتَ عالِمًا فَانْصَحْ لنا بالتَّآليف المُفِيدة لا بالكِتابة في الجرائد..

وأقولُ لهم: إنِّي مُنذُ زمانٍ وأنا بصَدَدِ التَّوحيد والتَّأليف، ولكنّكُم لا تَفقهُون...

٤٦ – يقولُون: آمَنَّا باللهِ وحده.

وأقولُ لهم: مَا آمَنَ باللهِ مَن استحلَّ مَحَارِمَهُ وعَبَدَ غَيْرَهُ ...

٤٧ – يقولون: المسلمُون كُلُّهُم على خيرٍ.

وأقولُ لهم: نعم! المسلمُون الحقيقيُّون كُلُّهم على خيرٍ، ولكنّكُم لو تعلمون ما أعلمُ لضَحِكْتُمْ قليلًا ولبَكَيْتُم كثيرًا، فتَدَبَّرُوا القولَ لعلَّكم تُفلِحون! ..

٤٨ – يقولون – بعد أن اطَّلَعُوا على قصيدتي «**إلى الدِّين الخالص...**»-: إنِّي

رافِضِيّ، خارِجِيّ، وَهَّابِيّ ... إلخ، ومنهُم مَن يقولُ: إنِّي مُجْتَهِدٌ لا أَتَقَيَّدُ بمذهبٍ خاصٍّ ..

وأقولُ لهم: لقد قرأتُم تلك القصيدة، وكُلُّ ما بها قلتُ لكُم عنهُ: إنَّهُ هُو مُعتَقَدِي الَّذي أَدِينُ اللهَ به، فانسِبُوني لأيِّ مَذهبٍ وأيِّ دِينٍ رأيتُم ذلك فيه، فإنّي أَرْضَى وفوقَ الرِّضَى .. ولكُم الشُّكرُ مِنِّي على ذلك:

وَعَيَّرَنِي الوَاشُونَ أَنِّي أُحِبُّهَا
وَتِلْكَ شَكَاةٌ[1] ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا[2]

٤٩ - يقولُون - وَيَتَلَطَّفُ البعضُ منهُم في القول، وهُم عُلماؤُهم-: إنَّنَا لا نَعبُدُ الأولياء والمشائخ، ولكنَّنا بما نَفْعَلُهُ معهُم وعند قُبُورِهم نَعْبُدُ اللهَ وحده، وإنَّما جعلناهُم وَسِيلةً وواسِطةً بيننا وبين الله، ليَشْفَعُوا لنا عندَ اللهِ ويُوصلُونا إليه، فنحنُ نسألُهُم، وهُم يَسألُون لنا اللهَ، ولا يَلِيقُ بنا ونحنُ مُلَوَّثُون بالذُّنُوب والمعاصي ومُقَصِّرُون في الأعمال أن نَدْعُوَ اللهَ رأسًا وبلا واسطة، وَإذا[3] دَعَوْنَاهُم ودَعَوا اللهَ لنا استجابَ دُعاءَهُم[4] لنا؛ لأنّهُم لا يُرَدُّ لهُم دُعاء، وسواءٌ علينا كان ذلك مِنَّا لهُم في حياتهم أو عند قُبُورِهم بعد مماتهم؛ لأنّهُم أحياءٌ في

(١) في مطبوعة «الشِّهاب»: أُقحِمت لفظةُ «في» في البيت، فجاء هكذا: شكاة في ظاهر ...!

(٢) البيتُ لأبي ذُؤَيب الهُذليّ.

(٣) في مطبوعة «الشّهاب»: إذا، والتّصحيح من الأصل.

(٤) في «الشّهاب»: دعاؤهم.

قُبُورِهم ولهُم التَّصرُّفُ على كُلِّ حالٍ.

وأنا أقولُ لهم: قالَ اللهُ لمحمّدٍ رسولِهِ(١) وأفضلِ أوليائِهِ وأحِبَّائِهِ على الإطلاق، مُرشِدًا لهُ ولأُمَّتِهِ ومُبيِّنًا لنا مَن الَّذِي يَجِبُ علينا أن نَدْعُوَهُ فيَسْتَجِيبَ لنا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر ٦٠]، ولم يَقُل: ادْعُو حَبِيبِي مُحمَّدًا ورسُولي، وهُو يَدعُوني، وقال أيضًا: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ ﴾ [البقرة ١٨٦].

فهل نَدْعُو بعد هذا النّصِّ الصّريح القريبَ الَّذِي هُو أقربُ إِلينا مِن حَبْلِ الوَرِيد، والَّذِي أَمَرَنا بدُعائِهِ، وانْتَدَبَنَا بنفسِهِ إلى عبادتِهِ، ووَعَدَنا بأنَّهُ يُجِيبُ دَعوةَ مَن دعاهُ، ومَا عَلَينا إلَّا أن نَستجِيبَ لَهُ ونُؤمِنَ بما قالَهُ (إِيمانًا بالقَلب واللِّسان، يُطابِقُ الواقِع والحَقَّ)، وفي ذلك السَّعادةُ الأبديَّة والسَّدَاد والرَّشَاد؟؟! ..

وهل يَجُوزُ لمُؤمنٍ (بعدَ هذا) -يَفهَمُ ما دَلَّت عليه الأوضاعُ العربيّةُ مِن لفظٍ غيرِ مُحتمِلٍ لمعنَيَيْنِ- أن يَدْعُوَ غيرَ هذا الرّبِّ الكامِل، ولا يَستجِيبَ لدُعائِهِ إِيَّاه ويَصْدِفَ عنهُ مُخالَفَةً لأَمْرِهِ؟؟

وقال عزّ مِن قائِلٍ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ﴾ [الإسراء ١١٠]، والآياتُ في ذلك كثيرةٌ، والقُرآنُ بين ظَهْرَانيكم فرَاجِعُوهُ واعملُوا على تَفَهُّمِ مَعانِيهِ تَهْتَدُوا، إِن لم يَكُن رَانَ على قُلُوبِكُم ما تَفعلون ..

---

(١) في مطبوعة «الشّهاب»: ورسوله، والتّصحيح من الأصل.

وقال ﷺ: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ**»[1]، فكُلُّ مَن ضَرَعَ إلى اللهِ ودَعَاهُ، فقد عَبَدَهُ بأفضلِ العِبادة، ومَن دَعَا غيرَ اللهِ لِمَا يُدْعَى لَهُ اللهُ وحدَهُ، فقد عَبَدَ ذلك الغَيرَ بأفضلِ العبادةِ أيضًا، فاختارُوا أيَّ المَدْعُوّين تَدْعُون ...

وبابُ التّوبةِ مَفتوحٌ، فادعُوا اللهَ مُذْنِبين أو غيرَ مُذْنِبين، واسأَلُوهُ كُلّ شيءٍ ولا تَسأَلُوا غيرَهُ، ودعوةُ الحقِّ للهِ وحدهُ ﴿ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر ٦٥]، وما زعمتُمُوهُ مِن دُعاءِ المذنِبِ غيرَ ربّه لا بُرهان لكُم عليهِ، ولا دليلَ مِن الشّرع يُرشِدُ إليهِ، فمِن أين لكُم هذا، ومَن أَمْلاهُ عليكُم؟؟.. ﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس ٥٩] ؟؟ ..

وأمّا اتّخاذُكُم للأولياء والمشائخ شُفعاءَ عندَ اللهِ ووَاسِطةً يُقرّبُونكُم إليهِ زُلْفَى، بهذا المعنى، فهُو عينُ الشِّركِ المنهيِّ عنهُ، والّذِي لا يَغفرُهُ اللهُ أبدًا، ويَغفِرُ ما دُون ذلك لمن يَشاء.

واعلموا أنَّهُ لا وَاسِطةَ بينَ اللهِ وعباده إلّا مَن عَلَّمَهُم كيفَ يَعبدُونه، وأَبْلَغَهُم أَوامِرَهُ ونَوَاهِيه، مِثل الرُّسل والأنبياء أو وَرَثَتِهِم مِن العُلماء العاملين، فهُم واسطةٌ في هِدايتِهم إلى اللهِ بإذنِهِ والدَّاعُون إليهِ بأمرِهِ، ولا يَجُوزُ أن يَتَقَوَّلَ عليهِ أحدٌ مِن دُعاةِ الحَقِّ بعضَ الأَقَاوِيل ...

---

(١) رواه التّرمذيّ (٣٣٧١) مِن حديثِ أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، وهُو ضعيفٌ بهذا اللَّفظ، والصَّحيحُ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»، رواهُ أبو داود (١٤٨١) والتّرمذيّ (٢٩٦٩) وابن ماجه (٣٨٢٨) مِن حديث النّعمان بن بشير رضي الله عنهما. انظر: «أحكام الجنائز» للألباني (ص١٩٤).

وأمّا اعتبارُكُم لهُم شُفعاء بالمعنى المراد لكُم ولِمَن قالُوا هذا القول مِن قبلكم، فلا يَجُوز، وهُو الَّذِي عَابَهُ اللهُ على المشركين الَّذِين قالُوا: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الزمر ٣]، وحَكَى اللهُ لنا في مَعرض الذّمّ والتَّندِيد بأُولئك الضّالّين المُغَفَّلِين ما كانُوا يَفعلون، فقالَ عزّ مِن قائِل: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس ١٨]، فهذا كَقَولِكُم أيُّها المؤمِنون!! ...

وأمَّا دَعْوَى إِثبات التَّصرُّف لهُم أَحياءً وأَمواتًا، فهَاتُوا بُرهانكُم عليهِ إِن كُنتُم صادقين، ولو رَاجَعْتُم سِيرةَ مُحمّدٍ وأصحابِه لاهْتَدَيْتُم .. وَأَنَّى تَهْتَدُون؟ ...[1].

٥٠ - يقولُون: إنّي أكتبُ ما أكتبُهُ في الجرائد بإِمضائي الصَّرِيح حُبًّا للظُّهُور والشُّهرة!!!.

وأقولُ: إنّي قد شَبِعتُ مِن هذه الشُّهرة قديمًا حيثُ أُحْمَدُ عليها ولها نتائجُ غير ما نُشاهدُهُ هُنا ... وعند مَن يُعْتَدُّ بشهادتِهِم لي وتَنفعُني الشُّهرةُ لديهم، وكَفَى بما كان لي عندَ مَن يَعرِفُني بالبلاد الشّرقيّة وما كنتُ أكتبُهُ بجرائد تلك البلاد (أيّام الحياة حياة والزَّمان مُساعِد) ومُحادثة كُتّابها الكِبار ورِجالها العِظام - فَخرًا وشَرَفًا حقيقيًّا في تاريخِ حياتي ...

وأمّا الشُّهرةُ بين أمواتٍ غيرِ أحياء، وعندَ مَن لا هَمَّ لهُم سِوى مُعاداةِ مَن

---

(١) «الشّهاب»، السّنة الثّالثة، العدد (١١٥)، الخميس ٢ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ، ٢٩ سبتمبر ١٩٢٧م، (ص١٦-١٩) من الأصل، و(ص١٧-١٩) من مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ.

خالفَهُم في عَوَائِدِهم الفاسدة الباطلة والسَّعي لمَضَرَّتِهِ وجَلْبِ المصائب على رأسه – فبِئْسَتِ الشُّهرةُ هِيَ، وبِئْسَ القومُ هؤُلاء!...

وماذا عسى أن يَنجم مِنها ويَنتُج لي عنها غير الضَّرر والأَذِيّة والشُهرةُ (بَيْنَ مَن ذَكَرتُ) بأنِّي عَدُوٌّ للأولياء والصّالحين في نظرِ مَن جاءت شُهرتي لديهم كشُهرةِ السَّارِقِ بسَرِقَتِهِ؟؟ وهل تَجِدُونَ سَارِقًا يَوَدُّ الشُّهرةَ بما لا يَرتَضِيهِ غيرُهُ؟؟!!

ولكن هي الجُرأَةُ الأدبيّة، والإِعلانُ بدِينِ اللهِ -رجاءَ ثوابه-، والصَّدع بالحقائق، ذلك الَّذِي حَمَلَنِي على ما فعلتُ، ودَعَانِي لأَن أَظهرَ بينكُم بذلك المظهر الَّذِي كرهتمُوهُ ولم يَرُقْ لديكُم، حيثُ تَوَفَّرَت الأسبابُ الدَّاعيةُ إليه، ووجدتُ الواسِطة الَّتِي بها يكونُ ذلك وتُعِينُني عليه، وهي الجرائد الحُرّة المُوافِقةُ لمَشْرَبِي ومَذهبي في الإِصلاح.

وأكبرُ دليلٍ أُقدِّمه على ذلك أنّي لَبِثتُ فيكُم نحو السّتّ سنوات، ما رأيتُم لي فيها مقالًا واحدًا في الجرائد، ولا أعلنتُ لكُم بواسطتها عن رأي، ومع هذا كُلِّه فإنِّي لا أزالُ أَعتبرُ نفسي كعابِرِ سبيلٍ، لأنِّي مُزْمِعٌ الرِّحلة عن هذه الدِّيار، يَعلمُ ذلك كُلُّ مَن عرفني وعرفتُهُ، وهل يَتصوَّرُ عقلُ لبيبٍ حازمٍ، أَنِّي أزرع زرعًا وأبذر بَذْرًا لشُهرةٍ في هذه البلاد، ثمّ أَدَعُهُ لغيرِي يَحصده ويَجني ثمرتهُ وحده، وأنا الَّذِي أَرجُو الاِستفادة والمتاجرة بأعمالي كُلِّها!!!

ثمّ يُقال عنِّي – وقد تركت الدّار تَنعى مَن بَنَاها-: إنِّي مُحِبٌّ للشُّهرة وعاملٌ عليها!!!..

وهل يَصبرُ مُحِبُّ الشُّهرة (وهُو قادرٌ على الكتابة) كُلّ هذه المدّة ولا يَعمل لتَشهيرِ نفسِهِ بين هذه الأُمّة المباركة اللَّطِيفة؟؟..

فاتَّقُوا اللهَ أيُّها المرجِفُون، وتُوبُوا إلى بارِئِكم، فإنّكُم أنتُم الخَرَّاصُون الَّذِين هُم في غَمْرَةٍ سَاهُون.

٥١- يقولون: إذن، فما هذه الكِتابة والصّبر على تَحمّل ما يَلحقُك مِن أذى في سبيلِ نشرِ الدّعوةِ إلى اللهِ والحقّ، كما تقُول؟؟

وأقولُ لهم: نعم! إنِّي لا أكتُمُكُم أيُّها السّادة! أنّي أَوَدّ مِن صميمِ الفُؤاد أَداءَ واجبٍ فَرَضَهُ اللهُ عليَّ في دِيني، عند توفُّر الأسباب ووُجُود الدَّاعِي إليه والمساعِد لي على ذلك، كما أنّي أَوَدُّ أن يَجعلَ اللهُ لي لِسانَ صِدْقٍ في الآخِرين، وأن أُذْكَرَ بعدَ ارتحالي بخيرٍ لا غير ...

وإنِّي لا أسألُكُم على ما أقولُهُ لكُم وأَكْتُبُه في الجرائد أَجْرًا ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [يونس ٧٢]، ومتى طلبتُ مِن أحدٍ مِنكُم أن يُعِينني بدينار أو درهم، أو التمستُ مِنهُ أن يَتوسّط لي في جلب «نِيشَان العِلم» أو «وِسَام الافتخار»، فَلْيَطْرُدْنِي مِن أمامه، ولْيَقُل: اخْسَأْ يا خائِنُ يا لَعِين!!. ويَا عامِلًا مُحتالًا للدُّنيا باسمِ الدِّين!!...

٥٢- يقولُون لي: إنّ النّاس يَتقوَّلُون عليك أقوالًا كثيرةً، ويَنسِبون إليك أُمُورًا غيرَ ما رأيناهُ وسمعناهُ منك.

وأقولُ لهم: أمّا عقيدتي فقد علمتمُوها، وأمَّا أنا، فقد رأيتُمُوني وما بَعْدَ العِيان والبَيَان بُرهان، وأمّا النّاس، فلا عَلَيَّ منهُم، فَلْيَقُولُوا ما شاؤُوا:

إِذَا عَلِمَ اللهُ الكَرِيمُ سَرِيرَتِي
فَلَسْتُ أُبَالِي مَنْ سِوَاهُ إِذَا سَخِطْ(١)

وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ العَالَمِينَ خَرَابُ(٢)(٣).

٥٣- يقولُ أهلُ كُلِّ طريق: إنّ طريقتهُم هي سفينةُ «نُوحٍ»، مَن رَكِبَهَا سَلِم ونَجا، ومَن لم يدخل في طريقتِهِم هَلَكَ وغَوَى!...

وأقولُ: إنِّي قد سألتُهُم فُرادى ومُجتمعين، فَأَلْفَيْتُهُم مع **شِدَّةِ تباعُدِ بعضِهم عن بعضٍ، وتَضْلِيلِ كُلِّ حزبٍ للآخر، وطَعْنِ الفريقِ هذا في الثّاني، وطعنِ الثّالث فيهما معًا، وحُكْمِ الكُلِّ منهُم على مَن لم يَكُنْ مِن شِيعَتِهِ بالكُفْرِ والمُرُوقِ مِن الدِّين-إن كان مُتَعَصِّبًا-، أو الزَّيْغِ والضّلال-إن كان مُعتدِلًا-، وقَلَّ أن يُوجدَ الاِعتدالُ فيهم**، سألتُهُم أفرادًا وجماعةً: ما قولُكُم في الأخذِ بطريقِ «مُحمّدٍ» ﷺ واتِّباعِ سُنَّتِهِ بلا زيادةٍ ولا نقصٍ؟ فقالوا كُلُّهُم: تلك هي خيرُ الطُّرُق، والآخِذُ بها على الوجه المذكور هُو الرَّابِحُ في تجارته والعامِلُ بواجبِ ما خُلِقَ لَهُ.

---

(١) البيت في ديوان ابن عربي الحاتميّ!

(٢) البيت لأبي فراس الحمدانيّ.

(٣) «الشّهاب»، السّنة الثّالثة، العدد (١١٦)، الخميس ٩ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ، ٦ أكتوبر ١٩٢٧م، (ص١٨-١٩) من الأصل، و(ص١٧-١٨) من مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ.

سألتُهُم: هل يَنْجُو سالِكُ هذه الطّرِيق، وهل هُو مِن الواصِلِين المُقَرَّبين عند الله، وهل اتِّباعُ هذه الطّريقة هُو المطلوبُ مِن المُكَلَّفِ عقلًا وشرعًا؟؟؟ فقالوا كُلُّهُم أجمعُون أَكْتَعُون أَبْتَعُون أَبْصَعُون: نعم! نعم! نعم!

فقلتُ لهم: إذن، أنا مُحَمَّدِيٌّ سُنّيٌّ في طريقتي ومَذهبي غيرُ بِدْعِيّ، ولستُ مِن طُرُقِكُم المخالِفة لعملِ «محمّدٍ» وما كان عليهِ السَّلَف الصّالح في شيءٍ....فهل الحَقُّ معي في رَفْضِ تلك الطُّرُق كلِّها - ما عدا الطّريقة المحمّديّة -، أم الحقُّ مع جماعة الطُّرقيِّين؟؟..

٥٤- يقولُ لي البعضُ منهُم - مُستفهِمًا استفهام إِنكارٍ واستبعاد -: ما هي طريقتُك؟

وأقولُ لهم: طريقتي هِي الَّتِي اتّفقتُم كُلُّكُم (يا جماعةَ الطُّرُق!) على أنّها حقٌّ، أمّا ما اختلفتُم فيه مِن الطُّرُق الأُخرى ولم تَتَّفِق كلمتُكُم عليه، فكُلُّه ليسَ لي بطريق ...

٥٥- يقولُون لي: ما هي عقيدتُك الخاصّة الَّتِي تَدِينُ اللهَ بها وترضاها لنفسك؟...

وأقولُ لهم:

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مُعْتَقَدِي
يَبْتَغِي مِنِّي مَا يَحْوِي الفُؤَادْ
إِنَّنِي لَسْتُ بِبِدْعِيٍّ وَلَا

خَـــارِجِيٌّ دَأْبُـــهُ طُـــولُ الفَسَـــادْ(١)

مَـــذْهَبِي شَـــرْعُ النَّبِـــيِّ المُصْـــطَفَى

وَاعْتِقَـــادِي سَـــلَفِيٌّ ذُو سَـــدَادْ

... إلخ ما ذكرتُهُ مِن عقيدتي في قصيدتي الَّتي نُشرت (بالعدد الثّامن) مِن جريدة «المنتقِد» تحت عنوان «**إِلى الدِّين الخالِص**»...(٢).

٥٦- يقولُون لي: إنّ عقائِدكَ هذه هي عقائدُ «الوهّابيّة».

فقلتُ لهم: إذن، «الوهّابيّة» هُمُ الموحِّدُون...

٥٧- يقولُون: لقد هَلَكْنَا إذا(٣) لم يَتَدارَكْنَا اللهُ برحمتِهِ.

وأقولُ لهم: إنّ للرّحمةِ أسبابًا، ومِن أسبابها توحيدُ الباري ﷻ وعدمُ الشِّرك بِهِ (في الذّات والصِّفات والأفعال)، فمَن لم يُشرِك به شيئًا مِن خَلْقِهِ، رَجَوْنَا لَهُ معكُم كُلّ خيرٍ، واللهُ أَرحمُ الرَّاحِمين ...

٥٨- يقولُون لي: إنّك تَكتُبُ بقلمٍ حارٍّ ولهجةٍ شديدة.

وأقولُ لهم: إنِّي بقلمي الشّديد ولَهجتي الحارّة -كما زعمتُم- لم أَستطِع أن أُؤَثِّر على قُلُوبكم القاسية -أو الميتة-، ولا قَدِرْتُ أَن أُحَرِّك مِن مجموعتكم

---

(١) وردَت في قصيدة «إِلى الدِّين الخالِص»: «طُول العِنَاد».

(٢) «الشّهاب»، السّنة الثّالثة، العدد (١١٨)، الخميس ٢٣ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ، ٢٠ أكتوبر ١٩٢٧م،(ص٢٠) من الأصل، و(ص١٨-١٩) من مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ.

(٣) في «الشّهاب»: إذ.

ساكنًا، فكيف لو كانت لَهْجَتِي ضعيفةً وقَلَمِي كأكثرِ خُصُومي بَارِدًا؟...

٥٩- يقولون: لقد كَثُرَ الحديثُ في شأنك، وكثيرٌ مِن مشائِخ الطُّرُق الكبار لا تُرْضِيهِم أقوالُك.

وأقولُ لهم: لقد أعلنتُ للعُمُوم «إعلانًا» في نفسِ الجريدة الَّتِي نَشَرَت لهُم أقوالي، وقلتُ لهُم في ذلك الإعلان: «كُلُّ مَن شاءَ الرّدَّ عليَّ، ووَدَّ المُناقشةَ معي، فإنِّي أَشكُرُه مَتَى كان رَدُّهُ عِلميًّا وغيرَ خارجٍ عن آدابِ المناظرة وطُرُق البحث والمُحَاجَّة...» إلخ ما ذكرتُه(١)، فما لهم لا يَفعلون، وللحَقِّ الَّذي في جانِبِهِم لا يُظْهِرُون؟...

٦٠- يقولُون لي: أنت عالمٌ بأساليبِ المنطق والكلام ومُقتَدِرٌ على الكتابة في الجرائد، وهُم جَهَلَةٌ بهذه الصِّناعة، وعن مُجَارَاةِ أربابِهَا عَاجِزُون.

فقلتُ لهم: الآن حَصْحَصَ الحَقُّ، وقامت الحُجَّةُ عليكم، أَمَا قرأتُم أو سمعتُم قولَهُ ﷻ: ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل ٤٣] ؟!...

٦١ - يقولُون: إنّ جماعةَ الطّريقة (الفُلانيّة) جعلُوا على قبرِ شيخِهم قَفَصًا «تَابُوتًا» كَلَّفَهُم عِدّةَ آلافٍ مِن الفِرَنْكَات، وذلك بعدما بَنَوْا قَبْرَهُ، وجَصَّصُوهُ، واتَّخَذُوهُ مَسجدًا للصّلاة! فما علينا إذا جعلنا نحنُ أيضًا لسيدي الشّيخ ... مِثلَ ذلك؟...

وأقولُ لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ

(١) أثبتُّ هذا «الإعلان» ضمنَ هذه المجموعة.

يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف ١٣٨-١٣٩]...

٦٢- يقولُون: إنّ زيارة القُبور -بالحالة الَّتِي هُم عليها اليوم والمعروفة لدى العُموم- للرِّجال والنِّساء، وإِلْقَاء بُسُط الحرير وطَرْحها عليها حتّى تَبْلَى، وبناء القِبب للصّلاة بها مِن فوقها، وإِيقَاد السُّرُج والمصابيح عليها، كُلُّ هذه قُربةٌ للهِ وطاعةٌ؛ لأنّهم لم يَقصدوا بها إلّا زيادةَ احترامِ الأولياء، والمُبالغة في تعظيمهم وإِكرامهم! ...

وأقولُ لهم: أَكْرِمُوا الأولياءَ واحترِمُوهُم وعَظِّمُوهم بما أَمَرَ بِهِ الشّرعُ ولم يَنْهَ عنهُ!!! وأمّا بمِثلِ هذه الأُمور، فلا!... فقد وَرَدَ في الحديث المتَّفق على صِحّته(١) أنّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ زَائِرَاتِ القُبُور وَالمُتَّخِذِينَ المَسَاجِدَ عَلَيْهَا وَالسُّرُجَ**»(٢)، ثمّ ماذا عسى أن تَنفع الميّتَ قُبّتُكُم الَّتِي تبنُون وحَرِيرُكم الّذي تلبسون، وسُرُجُكم الَّتِي تُوقِدُون؟... فإن يكُن في الجنّةِ، فرَوْحُها ورَيْحانُها ونُورُ إِيمانه فِيها يُغْنِيهِ عن كُلّ هذه الأشياء، ولا يَترُكُ لهُ أقلّ احتياجٍ إليها، وإن يَكُنْ في النّار (وبِئستِ القَرَارُ هِيَ)، فكُلُّ ما تَجعلونَهُ لهُ وتُقِيمُونه على قبره لا يُنقِذُهُ منها،

(١) ليسَ كما قال رَحِمَهُ اللهُ، كما سيأتي في التَّخريج.

(٢) رواه أبو داود (٣٢٣٨) والتّرمذيّ (٣٢٠) والنّسائيّ (٢٠٤٢) مِن حديثِ ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وهو ضعيفٌ، ورواه ابن ماجه (١٥٧٥) بلفظ: «**لَعَنَ رسولُ الله** ﷺ **زَوَّارات القُبُور**»، قال الألبانيّ رَحِمَهُ اللهُ في «تمام المنَّة» (ص٢٩٨): «نعم، الحديثُ صحيحٌ لغيره بلفظِ: «..**زَوَّارَات** ..» ؛ لأنّ لهُ شواهد، غير «**السُّرُج**»، فلم أجد لهُ شاهِدًا فيَبقى على ضَعفِهِ»اهـ. انظر: «الضّعيفة» (٢٢٥).

ولا يُغني عنهُ مِن اللهِ شيئًا: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور ٤٠]...

٦٣- يقولُون - عندما أَنهاهُم عن دُعاءِ غيرِ الله والاِسْتِصْرَاخ به -: إنّ مَن لَهُ فَرَسٌ يُرِيدُ الصُّعُود إلى ظهره، لا بُدَّ لهُ أوّلًا مِن أن يَضَعَ رِجلَهُ في (الرِّكَاب) ويَعتمِد عليه، حتّى يمُكنه أن يَعْلُوَ إلى المقصود الَّذي هُو (السَّرْج)، وقد يَحتجُّ الواصِلُون مِنهم في تَأيِيدِ دَعواهُم بقوله: إنّ سيدي (فُلان ...) قال لتلميذِهِ: إذا أردتَ أن تَمشي على الماء وتَتَولَّجَ البحر دُون أن يَلحقَك الغَرَق، فَادْعُنِي وحدِي عند إرادتِكَ الدُّخُول إليه، ولا تَدْعُ معي أَحَدًا! وإنّ هذا التّلميذ عمِلَ بوصيّةِ الشّيخِ، وكان كُلّما دخل البحرَ يَدْعُوهُ وحده فينْجُو، ولكنّه غَلِطَ مَرَّةً فدَعَا اللهَ رَبَّهُ فأَدْرَكَهُ الغَرَقُ ... فجاءَهُ الشّيخُ، وقال لهُ: ما هي درجتُك وما قَدْرُك حتَّى تَدْعُوَ اللهَ؟؟ ومتى وَصَلْتَ إليهِ حتّى تَدْعُوهُ؟... هَلَّا دَعَوْتَ شيخَكَ حَسَبَ عادتِك؟ ... ولولا أنّ الشّيخَ رَحِمَهُ لكَانَ مِن الهالِكِين! ...

وأقولُ لهم: قَاتَلَكُمُ اللهُ أنَّى تُؤْفَكُون، وإنّ لمثلِ هذه الحِكايات - الَّتِي هِي سُمُوم العُقول وأَصلُ الشِّرك - تَنْشُرُون، وبها تتَحَدَّثُون وتَحتجُّون وتُؤمِنُون! ... وسَاءَ مثلًا ضَربتُمُوه للهِ والشّيخ بالرِّكاب، رِكابِ الفَرَس والسَّرْج، وسَاءَ ما تَعتقدُون وما تَفعلُون، فقد كَذَبْتُم على الأشياخ، أو كَذَبَ عليهِم مَن ضَلَّ وأَضَلّ، حتّى أصبحتُم بمِثلِ هذه الحِكايات تؤمنون، ولها بينَ جُمُوعِكُم تُقِرُّون، وتُقَرِّرُون، وبِها تُغَرِّرُون، أَلَا سَاءَ ما تَزِرُون ... أَمَا قرأتُم أيُّها الجَهلَةُ الأَغرارُ قولَ العزيزِ الجبّار في مِثلِ هؤلاء الأشرار: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [إبراهيم ٣٠]؟! ...

٦٤- يقولُون: إنّ الجرائد الطُّرقيّة أخذت تَعْتَدِلُ في سَيْرِهَا وتُعَدِّلُ مِن خُطَّتها، وتُكْثِرُ مِن ذِكْرِ الإِصلاح والمصلحين، لِكَي تَحْشُرَ نفسَها في زُمرةِ الدَّاعِين إلى اللهِ على بصيرةٍ، والنَّاقِمين على أهلِ تِلكَ البدع والضَّلالات الكثيرة ...

وأقولُ: الحمدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا وهَدَى غيرَنا لهذا، وما كُنَّا لنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَن هَدَانَا اللهُ رَبُّ العالمين، فجَزَى اللهُ جريدةَ «المنتقِد» بكُلِّ خيرٍ، وأَكْثَرَ مِن رجالِ النَّقْدِ النَّزِيهِ والعِلْمِ الصَّحِيحِ في حِزبِ المصلِحين! ...

٦٥- يقولُون: لو توَجَّهتَ بوَجهِكَ إلى جِهةِ القِبلة، ودَعَوْتَ سيدي فُلان ثلاثَ مَرّات، لَجَاءَكَ المَدَدُ والغَوْثُ، وقُضِيَت لكَ حاجتُكَ سَرِيعًا! ..

وأقولُ: ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ... وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام ٧٩]...[١].

٦٦- يقولُون: نحنُ وأموالُنا وحركاتُنا وسكناتُنا وحياتُنا ومماتُنا وكلُّ شيءٍ مِنّا للشّيخ ... ومتى رَضِيَ عنَّا فنحنُ السُّعداءُ الَّذِين لا نَشقى أبدًا !! ...

وأقولُ لهم: ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا ... لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام ١٦٢-١٦٣]...

٦٧ - يقولُون لي: سَلِّم لِـ«رِجالِ البلاد»، وادْعُهُم لكُلِّ ضُرٍّ مَسَّك ولكُلِّ

(١) «الشّهاب»، السّنة الثّالثة، العدد (١١٩)، الخميس ٣٠ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ، ٢٧ أكتوبر ١٩٢٧م، (ص١٤-١٦) من الأصل، و(ص١٤-١٦) من مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ.

حادِثٍ نَزَلَ بك، تَنفرج عنكَ الأَزِمَّة، ويَزُولُ عنك كُلُّ هَمٍّ وغَمٍّ، وتَنكشِف بجَاهِهِم وشفاعَتِهِم جميعُ المِحَن والكُرُوب... إلخ ...

وأقولُ لهم: ﴿إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام ٥٦]! ..

٦٨- يقولُون: إنَّك لَشَدِيدُ العَداوةِ للأولياء الصّالحين، ولو لا بُغْضُكَ لهُم لما كُنتَ تُعْرِضُ عن نِدَائِهِم والاِستغاثة بهم، حتّى عندما يَمسُّك البَأْسُ ويَنْزِلُ بِكَ الضّرّ! ..

وأقولُ لهم: إنِّي لستُ مُبغِضًا للأولياء ولَا عَدُوًّا لهُم، ولكن أَدْعُو اللهَ وحده إذا مَسَّنِي الضّرّ والبَأس، لاعتقادِي بصِحّةِ قولِهِ ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام ١٧]، وهكذا كان يَفعلُ الأولياءُ والصّالِحون! ...

أمَّا مَن يَدْعُو غيرَهُ ويَطلُبُ كشفَ ضُرٍّ مَسَّهُ عندَ سِواهُ، فقد قال في حَقِّهِم: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام ٤٣] ...

٦٩- يقولُون: إنّ «رجال البلاد» يَجتمعون في البلاد القديمة بـ«بسكرة» السُّفلى، وقد بَنَوْا لهُم بُنيانًا صغيرًا على شكل قُبَّةٍ لا تَسَعُ أكثرَ مِن شخصٍ واحدٍ لو تَجَشَّمَ الدُّخولَ إليها! وسَمَّوا هذا «القِبِيبَة» بِـ«الجامِع الكبير»، زعمًا مِنهُم أنّها مَحَلُّ جامِعِ «بسكرة» الّتي خربت قديمًا، وهي اليومَ خاوِيةٌ على عُرُوشها، وهذا مِن تلبيسِ إِبليس على العامّة ومَن على شاكِلتهِم مِن أَعْشَارِ الفُقهاء أو أَنْصَافِهم

على رأيٍ غير ...

وكم زَارُوا هذا البِناء وعَظَّمُوهُ، وقصدُوهُ لقضاءِ الحوائج وقَدَّسُوهُ، وجعلوا لَـهُ أو بِهِ «الزَّرْدَة»، وأَوْقَدُوا الشُّمُوعَ عندَهُ وبَخَّرُوهُ، وكَم وكَمْ وكَمْ؟؟؟ حتّى فُتِنَت بِـهِ العامّةُ والنِّساءُ والجَهَلَةُ الَّذِين لا يَعقلون فُتُونًا، وقد كَادُوا يُجَنُّونَ بهؤُلاء (الرِّجال المتوَهَّمِين) جُنُونًا ...

وأقولُ لهم – وقد شاهدتُ مِن فِتنةِ الرِّجال والنِّساء وضِعاف العُقول بهذا الحَقير العَذِر العَارِي عن كُلِّ مِيزةٍ (ولو في حُسنِ الشّكلِ الهندسيّ وطهارةِ الطِّين الَّذِي بُنِيَ به) –: إنّ هذا النّصب الّذي أقامهُ الجُهّال بينكُم، وأَقَرَّكُم على الشِّركِ بِهِ المُدَاهِنُون مِن أَنصافِ الفُقهاء وأَشْبَاهِ العُلماء، ولم يُنكِرُوهُ هُم عليكُم، ولا أَنْكَرَتْهُ قُلوبكُم، بل تَوَاطَأْتُم على تسميته بـ«الجامع الكبير» تضليلًا للأفكار وإقرارًا للشِّرك بهذه الدِّيار – هُو الَّذِي يَحِقُّ أن يُسمِّيه عُلماء الدِّين العُقلاءُ باسمِ «هُبَل»، ذلك الصَّنَم الكبير الَّذِي كان لقُريشٍ بمكّة، وإنّ ذلك أجملُ مِن هذا؛ مِن(١) حيثُ إنَّهُ حجرٌ مَنحوتٌ، تَظهر به آثارُ العِنايةِ وجَودةُ الصَّنعة (في الجُملة)، ولو عَقلتُم أيُّها الضَّالُّون المُمَارُون فِيما لا تَعلمون لهَدَمْتُمُوهُ، وأنكرتُمُوهُ، ومَنعتُم كُلَّ جاهِلٍ مِن التّضرُّع بين يديه والعُكُوف عليه، وبذلك تُقَرِّبُون إلى اللهِ لَا إلى «رِجال البلاد» قُربانًا ... ثمّ إذا كانت لكُم شُبهةٌ في عبادة القُبور وتَقديسها (بحُجّةِ صَلَاحِ مَن بها ووَلَايَتِهِم وتَصرُّفهم في الكون كما تَقُولُون)، فما هي شُبهةُ ضلالكم في عبادة هذا

---

(١) سقطت «مِن» في مطبوعة «الشّهاب»، واستدركتُها مِن الأصل.

الصَّنَم (الطِّينيّ) والنّصب المبنيّ مُنذُ عهدٍ قريبٍ ومُدّةٍ يسيرة بذلك (الطُّوب) والطِّين القَذِر؟! ...

بماذا -وهذه أعمالُكُم- أنتُم مُسلمون؟ وهل تَنفعُكُم مَعذِرَةٌ أو تَقُومُ لكُم عند اللهِ حُجّةٌ إذا قُلتُم رَجْمًا للغَيب(١) وافتراءً للكَذِب: إنّ هذه البُقعة مِن الأرض هِي مَجْمَعُ الصَّالِحين؟ ... وهل ضاقت على الصَّالِحين الأرضُ بما رَحُبَت، ولم يَجِدُوا فيها مَكانًا يَسَعُهُم غير هذه البنية الطَّاهِرة النَّقيَّة ...الَّتِي لا يَزيدُ قُطْرُها عن مِساحةِ ذراعٍ ونصف طُولًا وعَرضًا؟ فسَاءَ عملًا الجاهِلُون، وسَاءَ ما تُحْدِثُون وما أنتُم لهُ مُعتقِدُون وبِهِ تَتَحَدَّثُون! ...

٧٠- يقولُون: يجبُ على كُلِّ مُسلمٍ أن يَتّخِذَ لَهُ «سُبْحَةً»، ولا بأسَ بجَعْلِهَا في عُنُقه، أو حَمْلِهَا في يَدِه، كيفما كان، وفي كُلّ محلّ ومكان، لا فَرْقَ في ذلك بين السُّوق والجامِع...لأنّ مُجرّد حَمْلِهَا يُذَكِّرُهُ الشّيخَ والطَّرِيق، ومَتَى ذَكَرَ الشّيخَ ذَكَرَ اللهَ...

وأقولُ لهم: راجِعُوا ما كتبهُ الشّيخ «عثمان بن المكّي الزّبيدي»(٢)، وتَأَمَّلُوا بإنصافٍ ما نقلهُ عن المشائخ والعُلماء الكبار في مبحثِ «السُّبْحَة» مِن رسالته «المِرآة»(٣)، عَسَاكُم تَعترِفُون معنا بأنَّ حَمْلَكُم لها على هذه الكيفيّة مِن أشنعِ البِدع

---

(١) في مطبوعة «الشّهاب»: للمغيب، والتّصحيح من الأصل.

(٢) انظر مقالي: «**الشّيخ عثمان بن المكّي التّوزريّ ورسالتُهُ: «المرآة لإظهار الضّلالات»** »، نُشِر في مجلّة «الإصلاح»، العدد (١١)، (ص٦٩-٨١).

(٣) انظر: «**المِرآة لإظهار الضَّلالات**»(ص٢١-٢٤)، ط. دار الوطن.

وأكبرِ الحَدَثِ في دينِ الإسلام، حيثُ إنّها في نفسِها رُومانيّة الأصل، لا صِلةَ لها بالإسلام، لا في الشّكل، ولا فيما تكونُ به الإشارةُ منها؛ لأنّها تدلُّ على التَّثْليث (لَا على التَّوحيد)، وشَكْلُها الصَّليبيّ -كما قال العُلماء الّذين لا تَقْتَدُون بهم...- يُقَرِّرُ ذلك ويَشْهَدُ به، وحَمْلُ القُسُوس[١] والرُّهبان والمُتَرَهِّبَات «لِسُورَاتْ»[٢] لها إلى اليوم أوّلُ دليلٍ على صِحّةِ ما قالهُ العُلماءُ الأعلام، وقالهُ صاحبُ تلك الرِّسالة الهُمَام، فرَاجِعُوها وأَمْعِنُوا النَّظرَ فيها لعلّكُم تَهتدُون، وإِن كُنتُم بما جاء بها وبغيرِها لِعُلماءِ الظّاهرِ لا تُؤمنُون؟

٧١- يقولُون: إنّ حَمْلَ الجنازة بِـ«البُرْدَة» على الكيفيّة والحالة المعروفة اليوم مَطلوبٌ مُرَغَّبٌ فيهِ شرعًا، ورُبّما يكونُ في حقِّ بعضِ الأشخاص الَّذِين هُم مِن الأعيان وذَوِي الوجاهة واجبًا مَفروضًا! لأنّ حَمْلَهُم بدُونها وإبقاء جنازتهم هكذا باردة... مِمّا يَحُطُّ مِن شَرَفِهِم ويَنزِلُ بأقدارهم، وقد (بَالغُوا)[٣] في الفتوى بهذا التّوجيه والاستنباط العجيب والقول المعتمَد عندهم، ولِكَي[٤] لا تبقى للعَامّةِ شُبهةٌ في صِحّةِ فتواهم ذَكَرُوا لهم أنّ «سيدي مِصباح الظّلام»[٥] اعتمدَ هذا القول

---

(١) القُسُوس: جَمعُ قَسٍّ، وهوُ رئيسُ النَّصارى في الدِّين والعِلم. انظر: «تاج العروس».

(٢) كلمةٌ مُحرَّفةٌ عن الكلمة الفرنسيَّة: (Les soeurs)، مُستعمَلة في اللُّغة العامّيّة، تعني: الرَّاهِبَات.

(٣) غيرُ واضحةٍ في أصل «الشّهاب»! وأُثبتت في مطبوعة «الشّهاب»: بالغوا!

(٤) في «الشّهاب»: ولكن.

(٥) «مِصباح الظَّلام»، سمَّى بِهِ جمعٌ مِن المُؤلِّفين المُتأخِّرين كُتُبَهُم، منها: «مِصباح الظَّلَام في =

وحَقَّقَهُ ...

وأقولُ لهم: إنّ حَمْلَ الجنائز بمِثلِ هذه التُّرَّهات بدعةٌ شنيعةٌ ومُنكرٌ يَجِبُ على أُولِي الأَمْرِ إزالتُهُ، وهُو مُخالِفٌ لآداب الإسلام وما سَنَّهُ لنا نبيُّنا خيرُ الأنام، ولم يَكُن عليهِ عَمَلُهُ وعَمَلُ السَّلَفِ الصَّالِح، وكُلُّ ما كان كذلك فهُو مِن الإحداثِ في الدِّين، وكُلُّ حَدَثٍ في الدِّين فهُو ردٌّ (عَلَى مُحدِثِهِ)، وشرٌّ لا خير، ولا حسن فيه، وكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكُلُّ ضلالةٍ في النّار ...

فاتَّقُوا اللهَ، أيّها المُتَمَشْدِقُون بما لا تَعلمون، والعالِمُون (بِما)[1] لا تُحَقِّقُون ولا تَعقِلُون، ومَن أنتُم بالذِّكرِ والقُرآن والمدائح مُتَأَكِّلُون ومُرْتَزِقُون، وللعَامَّةِ بِمِثلِ هذه التَّلبيسات تَنْصِبُون وتخدعون، اتَّقُوا اللهَ إن كُنتُم كما تَدَّعُون مِن المسلمين!!

واعلمُوا أنّهُ لا «مِصباح الظّلام» ولا «ظلام المصباح» يَستطيعُ أن يُثبِت في دينِ اللهِ ما ليس مِنهُ وما هُو مِنهُ بريءٌ! فَدَعُوا الافتراءَ وقولَ الزُّور، وكُونُوا مع الصَّادِقين!!

٧٢- يقولُون: هذا زمانٌ تكاثرت فيهِ البدع، وظَهرت فيهِ الأَحْدَاثُ والفِتن، فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون.

وأقولُ لهم: يجبُ على مُحْدِثِ البدعةِ الإقلاعُ عنها ومُحَارَبَتُها بما استطاع،

= المُسْتَغِيثِين بخيرِ الأَنَام في اليَقظة والمنام» لأبي الرّبيع الكلاعي الأندلسيّ، و«مِصباح الظَّلَام في المُسْتَغِيثِين بخيرِ الأَنَام»، لابن أسعد اليافعيّ اليمنيّ، وأيضًا لابن موسى بن النّعمان المراكشيّ التّلمسانيّ، و«مِصباح الظَّلام بالصّلاة والسَّلام على خيرِ الأنام»، لابن الشّوني الأحمديّ. انظر: «كشف الظُّنُون» (٢/ ١٧٠٦-١٧٠٧) و«مُعجم المطبوعات العربيّة» لسركيس (٢/ ١٩٥٢).

(١) غيرُ واضحةٍ في أصل «الشّهاب»، وفي مطبوعة «الشّهاب»: لما!

كما يجبُ على مُثِيرِ الفِتنةِ المُبَادَرَةُ بالتَّوبةِ والرُّجُوعِ إلى الله، فإن لم يَفعل المُحْدِثُون والفَتَّانُون ما بِهِ يُؤْمَرُون، وقد فَعَلُوا ما عنهُ يُنْهَون، فإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجِعُون.

٧٣- يقولُون: ما العمل؟ وكيف النَّجاةُ مِن هذه الوَرْطَة؟!

وأقولُ لهم: العِلمَ! العِلمَ! تَعَلَّمُوا وعَلِّمُوا أولادكُم أيُّها المُسلِمون، ثمّ ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران ٢٠٠]...

٧٤- يقولُ كُلُّ مَن أسألُهُ مِنهُم -سواءٌ كان عالِمًا أو جاهلًا، مُوَحِّدًا أو مُشرِكًا-: إنِّي مُسلمٌ، كأنَّهُ يَفهمُ أنّ الإسلام عبارةٌ عن حَبْسٍ مَوقُوفٍ عليه (لَا يُغَيَّر ولَا يُبَدَّل)، وتُرَاثٌ ثَابِتٌ خَلَّفَهُ لهُ آباؤُه وأجدادُه الأقدمون، أو هُو عبارةٌ عن جِنسيّةٍ (لا غير)، فتكْفِي مُجرَّدُ النِّسبةِ إليه ...

وأقولُ لهم: إنّ الإِسلامَ أقوالٌ وأفعالٌ تُطابِق الاِعتقادَ الصّحيح ... فافهمُوا معنى الإِسلام جيِّدًا قبل كُلِّ شيءٍ، حتّى تكونَ نِسبتُكُم إليه حقيقةً، فتَلْحَقُوا بفريقِ السَّابِقِين مِن إِخوانكم المسلمين، وعندها يَصْلُحُ لكُلِّ واحدٍ منكُم أن يقول: إنِّي مُسلمٌ، ويَفتخر بالإِسلاميّة مع المفتخِرِين! ..

٧٥- يقولُون: «لا إله إلّا الله وحده لا شريك له»، «إنّا لله وإنّا إليه راجعون»، «لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم»، «الله أكبر»، ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢]، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وغيرُ هذا مِن كُلِّ الألفاظِ الَّتِي أَوْدَعَ اللهُ لنا فيها سِرَّ التّوحيد وإِفرادَهُ بالعِبادةِ دُون

غيره، وهِي عقيدةُ كُلِّ المسلمين المُوَحِّدِين، ولكن ويا للأسف! نجدُ الكثير مِمَّن يَنطقُ بهذه الجُمَل العَالِية[1] والكَلِم الطّيّب، الّذي كان مِن واجبهِم أن لا يَعملوا إلّا بمُقْتَضَاه، وأن لا يُخالِفُوه (بالفِعل) إلى ما سِواه: نَجِدُهُم يَدْعُونَ غيرَ اللهِ لِمَا لَا يُدْعَى لَهُ إلّا الله[2]، ويَلجؤُون خاشِعين ضَارِعِين إلى سِواه، ويَصْمُدُون لمن لا يَستطيعُ كشفَ الضُّرِّ عنهُم ولا تَحْوِيلًا، ويَستعِينون بالأموات وحتّى الجمادات والأشجار والنّباتات والكُهُوف والمَغَارات ... وقد يَنسِبُون الحَوْلَ والطَّوْلَ والضّرَّ والنّفعَ والإعطاءَ والمنعَ لهذه الأشياء أو لأشياخهم أو للجِنّ ... فيُعَظِّمُون ويُكَبِّرُون غيرَ الله، حتّى إنّهم يَحْلِفُون باللهِ ألف مرّةٍ كاذبين، ولا يَحْلِفُون بذلك الغَير هَيبةً لَهُ وخَوْفًا مِنهُ، ويقولون بعد هذا كُلِّهِ: إنّا[3] مُسلمون، إنّا مُؤمنون، اعتمادًا على تلك الألفاظ الّتِي هُم بها يَنطقون، وإن كانُوا بالفِعل بل والقولِ لِمَعْنَاهَا ومُقْتَضَيَاتِهَا يُخَالِفُون، وعَنْهَا يَنْأَوْن، ولِمَنْ خَالَفَهُم في صَنِيعِهِم يَنْهَون ...

وأقولُ لهم -بكُلِّ تُؤَدَةٍ وسُكُونٍ-: إن كانت عقائدُكُم وأفعالُكُم تُطابِقُ ما جاء به محمّدٌ ﷺ ونَطَقَ بِهِ القُرآن ويَفهمُهُ كُلُّ عربيٍّ مِن تلك الألفاظ الكريمة والجُمَل

---

(١) كُرِّرَ نَشْرُ هذه الفقرة مرّتين في «الشِّهاب» في عددين مُتتالِيَين، وفي مطبوعة «الشِّهاب» وَرَدَت في المَرَّة الأُولى كلمة: «الغالية»، وفي الثّانية: «العالية»، وهي «العالية» في الموضِعين في «الشّهاب» الأصل.

(٢) «الشّهاب»، السّنة الثّالثة، العدد (١٢٣)، الخميس ٢٩ جمادى الأولى ١٣٤٦هـ، ٢٤ نفامبر ١٩٢٧م، (ص١٧-٢٠) من الأصل، و(ص١٦-٢٠) من مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ.

(٣) في مطبوعة «الشّهاب»: إنّنا، والتّصحيح من الأصل.

الَّتِي أنتُم بها ناطِقُون، فإنّكُم بلا شكٍّ ولا ريبٍ مُسلمون، فطَابِقُوا بين ما تَنطِقُون بِهِ مِن كُلِّ ألفاظِ التّوحيد وإخلاصِ العبادة وبينَ ما تَعملُون وتَفعلُون، لعلَّكُم إلى الحقِّ والحُكْمِ الصَّحيحِ تَهْتَدُون!! ..

«بسكرة» «**الطّيّب العُقبيّ**»[1].

(١) «الشّهاب»، السّنة الثّالثة، العدد (١٢٤)، الخميس ٦ جمادى الثانية ١٣٤٦هـ، ١دسامبر ١٩٢٧م، (ص١٩-٢٠) من الأصل، و(ص١٨-١٩) من مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ.

مُلاحظَة: هذا آخر ما نُشرَ مِن هذا المقال الطّويل، وقد وردَ في آخره: «**يتبع**»، لكِن لم نَجِد لهُ تابِعًا!

مَاذَا يَنْتَقِدُونَ عَلَيَّ...؟
وبِمَ أُجِيبُ؟..

يُوجَدُ في هذه البلاد كغيرِها مِن بلاد الإِسلام (طبعًا) أُناسٌ نَسَجَت على أفكارهم عَنَاكِبُ الجهلِ والغَباوة، يَزعُمون أنّهُم مِن الطِّراز القديم، ويَحشُرُون أنفسهم في زُمرة هُداة الأُمّة السَّالِكِين وعُلماء الإِسلام المُرشِدين، ولهؤلاء السَّادةِ أَذنابٌ، ولتِلك الأَذنابِ ذُيُولٌ، ولهذه الذُّيول أتباعٌ كثيرون... وكثيرًا ما نَراهُم يُوجِّهُون انتِقادَهُم لكُلِّ مَن خالف ذَوْقُهُ أذواقَهُم، وأَبَتْ لَهُ فِطرةُ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عليها أن يَتمَذْهَبَ بمذاهبِهِم، فهُم عليهِ إِلْبٌ ولَهُ أعداءٌ وحَرْبٌ ..وقد كُنتُ لسُوءِ الحظِّ في هذه الدِّيار ممّن يُخالِفهم كثيرًا ولا يَتَّفِقُ مذهبُهُ ومذاهبُهُم إلّا قليلًا، لذلك أَجِدُ انتِقادَاتِهِم المُرَّة تَنصَبُّ على رأسي مِن كُلِّ ناحيةٍ وصَوبٍ، وأسمعُها حتّى مِن ذُيُولِ أذنابِهِم المرَّةَ بعد المرّة، وما يُدريك أنّهُم في انتِقادِهِم عليّ مِن المُحِقِّين؟ وإنّا أو إِيَّاهُم لعَلى هُدًى أو في ضلالٍ مُبين ....لهذا جِئتُ أُبْدِي انتِقَادَاتِهم عليَّ وجوابي لهُم أمام محكمةِ ذَوِي النَّظرِ السّديد والعُقُول الرّاجحة مِن كُلِّ مَن يُعتدُّ بأقوالهم مِن أهلِ العِلم الصّحيح، لعلِّي آتِيهم مِن نارِ الحقيقةِ بقَبَسٍ أو أجدُ على النَّارِ هُدًى لعلَّهُم يَصْطَلُون ...!! فَمَاذَا يَنْتَقِدُونَ عَلَيَّ وَمَاذَا يَقُولُون؟؟...

يَنْتَقِدُونَ عَلَيَّ قبلَ كُلِّ شيءٍ قراءتي للجرائد، ويقولُون: إِنّ قراءَتها حرامٌ، ومَن

يَقرأُ الجرائد (في الإِثم والمُؤاخذة) كمَن يَلعبُ «الدِّيمِينُو» القِمَار!.. والفُقهاءُ البارِعون مِنهُم يَستشهدُون على تحريمِ الجرائد بقوله ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [لقمان: ٦]، وأعظمُ حُجّةٍ لديهِم في ذلك، أو أكبرُ شُبهةٍ تَتحَكَّمُ في عُقولهم – هُو أنّ الجرائد لم تكُن موجودةً على عهد النَّبيِّ ﷺ، وقال سيّدٌ كبيرٌ مِنهُم: إنّهُ يَحفظُ بعض حكاياتٍ تدلُّ على أنّ أحد الصّحابةِ رضي الله عنهم استأذنَ مِن النَّبيِّ [ﷺ] في إِصدار جريدةٍ، فلم يَأذن لهُ في ذلك، أو بعبارتِنا المعروفة اليوم لم يُعْطِهِ رُخصةَ الجريدة «الاِمتياز»، فنَتَجَ مِن تلك المقدِّمات كُلِّها، أنّ قراءةَ الجرائد حرامٌ والمشتغل بها آثِم.

وإنّي أنا على الخُصوص مَلُومٌ على قِراءتها ومُطالعتها والاِشتغال بها (بَلْهَ إصدارها والتّحرير فيها)، فهُو حرامُ الحرام، أو الكُفرُ عندهُم... ويَشتدُّ اللَّومُ عليَّ ويَعْظُمُ النَّقدُ إذا أفتيتُ أنا للنّاسِ بجوازِ قراءتها وحَرَّضتُهُم على إِعانتها والعملِ على تكثيرِها وتكثيرِ سَوَادِ قَارِئيها، ولا أَكونُ إذًا في نظرِ هؤُلاء السَّادة مِن عُلماء الإِسلام ..هكذا قالوا، وأكثر مِن هذا يقولُون ...!

وأنا أُجِيبُهُم وأقولُ: سُبحانك اللّهُمّ هذا بُهتانٌ عظيمٌ.. هل الجرائد إلّا صحائفُ عِلمٍ وتاريخٌ حاضِرٌ ومُراسلاتٌ عامّةٌ بين طبقةِ المُتَنَوّرِين مِن أفراد الأُمّة اليوم؟... وما سمِعنا أحدًا مِن أهلِ العِلم الصّحيح والنَّظرِ الرَّاجِح قالَ بحرمةِ مثلِ هذه الأُمور، ولو قال قائلٌ بِهِ لضحِك منهُ العِلم والعَقل وعُدَّ خارجًا عن تعاليمِ الدِّين. وإِنّنا والحمدُ لله لا نَزالُ عُقلاء مُكلَّفِين (وكُلُّ تَكليفٍ بشرطِ العَقل)، لهذا

لا نَقْبَلُ كُلَّ ما قِيلَ أو يُقَال، إلَّا بحُجَّةٍ ودليل ....

نعم، الجرائدُ لم تكُن موجودةً بهذه الصِّفةِ على عهدِ النَّبيِّ ﷺ، وليسَ كُلّ شيءٍ لم يكُن موجودًا في ذلك الوقت، ثمّ وُجِد بعدُ يكون مُحرَّمًا وإلَّا لكان وُجودُنا نحنُ أنفُسنا حرامًا، لأنّنا لم نكُن في زمنِ النَّبيِّ ﷺ، وهُنالك أُمورٌ كثيرةٌ وُجدت بعد النَّبيِّ ﷺ، هِي مِن ضروريّات هذا العصر ولوازِم الحياة الَّتِي لا غِنًى لأُمّةٍ مِن الأُمم عنها، والبعضُ منها واجبٌ، والبعضُ إن لم يكُن مُستحبًّا ومُرَغَّبًا فيه، فليس هُو بحرامٍ، كما أنّ هُنالِك أُمورًا حَدَثَت في عقائد النّاسِ وأعمالهم هِي ولا إشكال مِن نوعِ الحرام، عَلِمْنَا وُجوبَ الواجِبِ مِنها وحرمةَ الحرام مِن أُصُولها في الدِّينِ وقواعِدِهِ الكُلّيّة الَّتِي تُرَدُّ إليها، والقِياسُ الصَّحيحُ أصلٌ مِن أُصول الدِّين، يُرجَعُ إليه في كُلِّ أمرٍ لم يكُن مَوجودًا على عهدِ صاحب الشَّريعة. هذا إذا كان المُحْدَثُ مِن الأُمور الدِّينيّة الَّتِي يَتَعَبَّدُنا اللهُ بها، ولم تكُن مِن مَشمُولاتِ نصّ الشّريعة، ولا هِي مِن أفراد جُزئيّات الأحكام الكُلّيّة، أمّا إذا وُجِدت والنّصُّ يَشملُها لدُخولها تحت أحكامه واندِرَاجِها تحت نظائرها وأشباهها، فلها مِن الحُكْمِ ما سَبَقَ لمُمَاثِلِها، وإِن كان ما حَدَثَ مِن غَيرِ مسائل الدِّينِ الَّتِي هِي تَشريعٌ يَتَعَبَّدُنا اللهُ بهِ، فنحنُ في سَعَةٍ مِن الأمر، والشّرعُ لم يُحَرِّم علينا قَطُّ ما هُو مِن هذا القَبِيل، وأقلّ ما يُقالُ فيه: إنَّهُ مِن قِسمِ المُبَاح، أمّا إذا اقتضَتْهُ مَصلحةٌ عامّةٌ ودَعَت إليهِ ضرورةٌ ووُجِد لهُ أصلٌ في الدِّين يُقَاسُ عليه، فلا شكّ أنّهُ حِينئذٍ يكُون مِن قِسمِ الواجب لا المباح فقط. والجرائد اليوم أقصى ما يُقال فيها: إنّها رسائلُ علميّةٌ وصُحفٌ إخباريّةٌ، وهذا قد عُلِمَ مِن الشّرع إباحتُهُ أو

نَدْبُهُ، ورُبّما يكُون في بعض الأحيان واجبًا، ولم نَجِد نصًّا على تحريم الجرائد ولا أصلًا صحيحًا يُقاسُ عليه تحريمُها، فرَجعنا إلى القولِ بالإباحة فيها أو الاِستحباب أو الوُجوب إن اقتضى مُقتَضٍ(١) لذلك.

وما ذكرتُمُوه مِن أنّ أحد الصّحابةِ استأذنَ النَّبيَّ [ﷺ] في إِصدارِ جريدةٍ فمَنَعَهُ مِن ذلك، حديثٌ مَكذوبٌ وزَعمٌ مُفترى، ما سمعنا بِهِ في آبائنا الأَوَّلِين، ولا قَالَهُ مُحَدِّثٌ غيرُكم .... ولا دليل لكُم في مِثلِ هذا على فَرَضِ تصحيحِ كذبِكُم، وإِنّنا مع ذلك نُطالبُكُم بإِثبات هذا الحديث وبيانِ مَن خَرَّجَهُ ومَن حَدَّثَ به ومَن هُو الصّحابيُّ الَّذِي طلب الرُّخصةَ في إِصدار تلك الجريدة؟ ولَيْتَ شِعْرِي تحتَ أيِّ اسمٍ طَلَبَ لها الاِمتياز!؟..

وأمّا الاِستشهادُ بالآية، ففِي غيرِ مَحَلِّه، وهُو تحريفٌ للكَلِمِ عن مَواضعه، والقِصّةُ في نُزُول الآية ومَن نزلت فيه مَعلومةٌ لدى أهل العلم، فراجِعُوا المسألة في مَظانِّها لعلّكم تَهْتَدُون!...

ونظري الخاصّ في الجرائد أنّها مِن الضّروريّات في هذا الوقت، وهِي مِن الأُمور الَّتِي أَدْعُوا إليها وأُرَغِّبُ النَّاسَ في قِراءتها، وأَرْجُو مِن اللهِ على ذلك أَجْرًا وثَوَابًا، إذ ما هِي إلّا عِلمٌ يُنبِّهُ الغافِل ويُرشِد الضّالّ، ولكن لا أُوجِبُ مُطالَعَتَها على كُلِّ أحدٍ، ولا أَرَى مِن الضّروريّ أيضًا لأمثالِكُم معشرَ الجامِدين مُطالعَتُها، لأنّكُم مصادِرُ لا تَتَصَرَّف، ومَادّةٌ جامِدةٌ (أي: كذا خُلِقَت)، فاشتغالُكُم بغيرِها

---

(١) وردت الكلمة في الجريدة هكذا: «مقض».

رُبّما يكُون لكُم أَوْلَى، ولكن في الأُمّةِ أفرادٌ يجبُ ويتأكّدُ عليهِم مُطالعتُها، لأنّهُم بالضّدِّ لكُم على خطٍّ مُستقيمٍ...

وكلمتي الأخيرة في الجرائد ومُطالعتها: أنّها كلامٌ، ولها حُكمُ الحَسَنِ أو القبيحِ مِن الكلام، فحَسَنُها حَسَنٌ وقَبِيحُهَا قَبِيحٌ.

هذا انتقادُهُم عَلَيَّ في هذا الخُصوص، وهذا جوابي لهُم، فمَنِ المُحِقُّ مِنَّا والمُصِيبُ يا تُرَى؟..

ويَنْتَقِدُونَ عَلَيَّ ثانِيًا: الكتابة في الجرائد، ويَرَوْنَ ذلك مِن الكبائر الَّتِي لا تُغْتَفَر، وبهذين الذَّنْبَيْنِ العَظِيمين- قراءة الجرائد والكتابة فيها- تَأَكَّدَ لديهِم ولدى أذنابهم أنِّي لستُ مِن العُلماء، وقالوا: إِنَّهُ يَعْلَمُ عِلمَ (الجُرْنَال)[1]، لا غير ...

أمّا أنا فأقولُ وأُجِيبُهُم: إِنَّهُ يَجُوزُ لي أو بالأَحْرَى يُسْتَحَبُّ، إن لم أَقُل: يَجِبُ عَلَيَّ الكتابةُ في الجرائد لصالِحِ الأُمّة، وحُجَّتِي في ذلك واضحةُ البُرهان، وأنا لا أَحتاجُ لتَقْيِيدِ اسمي في دفترِ عُلمائهم بالمعنى الَّذِي يَفهمون، وكوني عالمًا بعِلْمِ «الجُرْنَالْ» فقط يُحْسِبُنِي ويَكْفِينِي: «**وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا**»، ومتى رَضِيَ عنِّي العُلماءُ الَّذِين يَعلمون عِلْمَ «الجُرْنَالْ» ويُحْسِنُون الكتابةَ فيه، فإِنَّهُ لا يَضُرُّنِي أبدًا غضبُ هؤُلاء الأَسياد ...

إِذَا رَضِيَتْ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي

فَلَا زَالَ غَضْبَانًا عَلَيَّ لِئَامُهَا[2]

---

(١) كلمةٌ فرنسيَّة (Journal)، مُستعمَلةٌ في اللُّغة العامّيّة، تعني: الجَريدة.

(٢) البيت لأبي العيناء؛ محمّد بن القاسم الضَّرير.

أمّا رأيي في الجرائد، فيُعلَمُ ممّا كتبتُهُ وأكتبُهُ فيها وعنها، سيَّما وهِي مِهنتي الَّتِي أَتَشَرَّفُ بالقِيام بها اليومَ وقبلَ اليوم.... هذا هُو رأيي، وهذه هِي عقيدتي فيها، فمَن شاء فَلْيُؤْمِنْ ومَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ.

ولو كان هؤُلاء القومُ يَشعُرُون بواجبات الحياة لعَرَفُوا أنَّ الجرائد اليوم إن لم تكُن العامِلَ القوِيَّ في نهضة الأُمَم وحياتها، فهِي مَبدأُ الرُّقيّ ودليلُ الحياة فيها، ولكن أَنَّى لهُم؟ ومِن أين لأَمثالهِم أن يَفهموا مِثل ذلك، وهُم الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِين لا يَعقلون...

وإنَّنِي لآسَفُ كثيرًا ويُحزِنُني وُجودُ مِثلِ هؤُلاء النّاس في الأُمّة الإسلاميّة، ويُؤْلِمُني ويُحْزِنُنِي أكثر أن تَعْتَدَّ الأُمَّةُ بأمثالهم، فتَعْتَمِدَ على أقوالهم وفتاوِيهم الباطلة، وما هُم إلّا مِن الَّذِين يُخرِبُون بُيوتهُم بأيديهم وأيدي الكافِرين، وإِنَّنِي أَراهُم هُم وحدهُم (حَجَر العِثَارِ) في طريقِ كُلِّ تَقدُّمٍ وكُلِّ إِصلاحٍ يَهُمُّ بِهِ بُغاةُ الخير لهذه الأُمّة المنكُودة الحَظِّ المنكُوبة بوجودِ هؤُلاء فيها، والَّتِي جَنَى عليها رُؤساؤُها والمتزعِّمُون فيها بأكثرَ ممَّا جَناهُ عليها أعداؤُها الحقيقيُّون وخُصومُها الظَّاهِرُون، وأشهدُ باللهِ أنّ ضَرَرَ هؤُلاء (الرُّؤَساء الرُّوحيِّين) أشدُّ عليها مِن كُلِّ ضَرَرٍ سِواه؛ إذ إنّهم يَعملُون مِن أعمال التَّدميرِ والتَّخريبِ فيها باسمِ الدِّينِ ما لا يَقدِرُ غيرُهُم -مهما اشتدَّت عداوتُه- عليه، وقد يُفسِدُون مِن أمرِ المجتمعِ في ساعةٍ واحدةٍ ما يَعجزُ عنه الشّيطانُ في ألفِ عامٍ، فهُم إذًا شياطينُ الإِنس، وبلاءُ هذه الأُمّة، نعوذُ باللهِ مِنهُم ومِن كُلِّ شيطانٍ رجيمٍ، وجَبَّارٍ أَثِيمٍ...

وما كُنَّا - لو أنْصَفَنا الدَّهرُ - لِنَتَكلَّمَ معهُم أو نَتحدَّثَ عنهُم، وما تَنازَلْنَا لمُخَاطَبَتِهِم والسَّيْرِ معهُم في طريق البحثِ والجِدال ونَقْلِ ما يَتَفوَّهُون بهِ مِن مِثلِ هذه الأقوال - إلَّا مِن بابِ تَنازُلِ العاقِلِ مِن بني الإنسان لمُخاطبةِ الأعجمِ مِن الحيوان، والضّرورةُ (الزّمانيّة والمكانيّة) هِي الَّتي أَلْجَأَتْنَا لمُخَاطَبَتِهِم والتَّنازُلِ لمُصَاحَبَتِهِم أيضًا:

صَـــحِبْنَاهُمْ لَمَّـــا اضْـــطَرَرْنَا إِلَـــيْهِم

كَمَـا اضْـطرَّ صَـيَّادٌ إِلَـى صُـحْبَةِ الكَلْـبِ

يقولُون: العالِمُ الحقيقيُّ هُو الَّذي يَلْزَمُ «الخَلْوَةَ» و«السُّبْحَة»، ويَشتغِلُ بالعبادةِ حتَّى يموت، ولا ينبغي له أن يَشتغِل بالجرائد الَّتي هِي مِن عِلْمِ الدُّنيا...

فقلتُ لهم: حقًّا إنَّنا ما خُلِقنا إلَّا للعِبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولكنّ العِبادة لا تَنحصِر في كُلِّ ما ذكرتُم، بل هِي أبوابٌ شَتّى وضُروبٌ كثيرةٌ، تَرجع كُلُّها إلى طاعةِ اللهِ وعملِ الصَّالحات، وسِيرةُ نبيِّنا ﷺ وسَلَفِنَا الصَّالِح تَشرحُ لنا ذلك وتُفَسِّرُهُ، وهل اقتصرَ (مُحمّدٌ) ﷺ وصَحْبُهُ الكِرام على مِثلِ ما ذكرتُم مِن أنواعِ العبادة؟ أم كان وكانُوا يُجاهِدُون بألسنتِهِم كما يُجاهِدُون بسُيُوفِهِم وأنفُسِهِم، ويَعملُون لدُنياهم كما يَعملُون لأُخراهم؟ وهل العملُ لصلاحِ المَعَاش وإِصلاح الأُمّةِ خارجٌ عن أنواع العبادة؟

ولو كان الَّذين جاؤُوا بدِينِ الإسلام سَلكُوا مَسْلَكَكُم أيُّها القوم، وفهِمُوا منهُ ما فهِمْتُمُوهُ أنتُم، لما كان وَصَلَ إلينا اليومَ مِن أَمرِ الإسلام شيءٌ، ولما عُرِفَ الإِسلامُ ولو بمعناه الَّذِي تَفهمُونهُ في هذه البلاد ...هكذا يقولُون ويَتَقوَّلُون،

ويَتَلَقَّونَ بألسنتهِم الكذب وهُم لا يَعلمُون أو يَعلمُون ... ويَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا وهُوَ عندَ اللهِ عظيمٌ.

وهكذا أُجِيبُ وأُدافِعُ عن مَذهبي وخُطَّتِي، وبوُدِّي أن لو تُفصلَ القضيّةُ بيني وبينهُم لدى محكمةِ أهلِ النَّظَرِ الرَّاجِحِ والعملِ الصّحيحِ كما قُلنا، وإنّما يَصلحُ للفصل في مِثلِ هذه القضيّة العُقلاء الرُّشَدَاء ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨].

هذا فصلٌ مِن فُصولِ انتِقادَاتِهِم الكثيرة عَلَيَّ، وهذا جوابي، وسأُوَالِي الكتابةَ في جُملةٍ مِن الفُصول الَّتي يَنْتَقِدُونَهَا، وبعد إِتمامها مَصحوبةً بالجواب عنها، أَكِرُّ عليهِم كَرَّةً ثانيةً، أُبيِّنُ فيها ما أَنْتَقِدُهُ أنا عليهِم بعُنوان: «**مَاذَا أَنْتَقِدُ عَلَيْهِمْ؟ وَبِمَ يُجِيبُونَ؟**»، وإنِّي جاعلٌ الحُكْمَ فيما بيني وبينهُم للهِ ورسولِهِ، لا لأئمّةِ الكُفْرِ ورُؤساءِ الضَّلال، واللهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لحُكْمِهِ، وهُو شَدِيدُ المِحَال.

«**الطَّيِّب العُقبيّ**»[1].

(١) «الإصلاح»، السّنة الثّالثة، العدد (٧)، الخميس ٦ جمادى الثانية ١٣٤٨هـ، الموافق: ٧ نفامبر ١٩٢٩م، (ص١).

العدد الثّاني في السَّنَة الثَّالثة!..

مَنْ لاَ مَصَائِبَ في تَارِيخِهِ لاَ تَارِيخَ لَهُ

في شهر ربيع الأوّل «يوم المولد النَّبويّ»[1] مِن سنة ١٣٤٦ برز العددُ الأوّل مِن جريدتنا الأُسبوعيّة، وكُنّا في ذلك الحين نَنْوِي التَّقدُّم بها إلى نِصفِ أُسبوعيّةٍ أو أكثرَ مِن ذلك، ولكِن أَبَت المقاديرُ[2] (على مذهبِنا) أو الظُّرُوف وسِياسةُ خُصُومِنا الأَلِدَّاء وأعدائِنا الأقوياء الضُّعفاء (على مذهبِ غيرِنا) إلّا سَيْرَهَا (سَنَوِيَّتَيْنِ)، أي: لا أُسبوعيّة، ولا شهريّة، ولا سَنَوِيَّة فقط، بل سَنَوِيَّتَيْنِ: (عددٌ واحدٌ في سَنَتَين)، وإِنَّ عددًا مِن «الإِصلاح» في عامين اثنين لكثيرٌ وكثيرٌ جِدًّا على أُمَّةٍ يُوجَدُ بها أمثالُ هؤُلاء الخُصوم الأقوياء الضُّعفاء!... لا سيَّما ونحنُ في هذا الزَّمان وهذا المكان، وبين مَن نَرَاهُ ويَرَانَا مِن السُّكّان، فَفِي سبيلِ اللهِ مَا أَضَعْنَا مِن الوقت وما قَضَيْنَا مِن المُرَاجَعَات الطَّوِيلة العَرِيضة، وما صَرَفْنَا مِن التَّلَطُّف بلا جَدْوَى، وفي سبيلِ اللهِ

---

(١) درجَ جماعةُ المصلحين الجزائريِّين -كعامَّةِ مَن نادَى بالإصلاحِ في عصرِهِم مِن المُتأثِّرين بمدرسةِ «المَنَار»- على الاحتفال بيومِ المولِدِ النَّبويّ، لأنَّهم يعُدُّونهُ مِن قبيلِ البدعةِ اللُّغويَّة لا الشَّرعيَّة، وهُو مذهبٌ مرجوحٌ عندَ التَّحقيق.

(٢) هذه العبارة غير سليمةٍ، بل يُقالُ: شَاءَ اللهُ، وأَبَى اللهُ، ولا يُقالُ: شاءت الأقدار، ولا أَبَت المَقَادِير، فيُضافُ الفِعلُ إلى اللهِ تعالى الموصوفِ بأنَّهُ يَشَاءُ ويَأبَى، لا إلى الصِّفَات. يُنظر: «مُعجم المناهي اللّفظيَّة» للشّيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ (ص٣١٣)، و«مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (رقم: ٤٩٨) (٣/ ١٣١-١٣٢).

ما خَسِرْنَا مِن دراهِمَ مَعدُوداتٍ وغيرِ مَعدُودات، وفي سبيلِ اللهِ ما ابْتُلِينَا في أموالِنا وأنفُسِنا، وما سمِعنا وما عَايَنَّا، فكُلُّ ذلك تاريخٌ (في حياةِ «الإِصلاح»)، ومَنْ لَا مَصَائِبَ في تَارِيخِهِ لَا تَارِيخَ لَهُ ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾ [محمد ٣١]، وإِنَّ لنا في أحسنِ القَصَصِ مِن كلامِ ربِّنا ﷻ ما يُهوِّنُ علينا كُلَّ مُصابٍ ويُسَلِّينا ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ [البقرة ٢١٤]، وفي قوله ﷻ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ [آل عمران ١٤٢] ما يُسَدِّدُ السَّواعِد ويُقَوِّي العَزائِم مِن كُلِّ مُؤمِنٍ مُوقِنٍ، كيف وقد فَتَنَ الَّذين مِن قبلِنا ليَمِيزَ اللهُ الخَبيثَ مِن الطَّيِّب، وكانت الهدايةُ ومَعُونَةُ اللهِ الخاصّة للمُجاهدين في سبيلِهِ والمُحْسِنين ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت: ١-٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩]. هذا ما يَجْعلُنا - والحمدُ لله - صابرِين مُحْتَسِبين، غيرَ هَلُوعِين ولا جَزُوعِين، اللَّهُمّ لَوْلَا أنتَ ما اهْتَدَيْنَا، ولا تَصدَّقْنَا ولا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً علينا، وثَبِّت الأَقدامَ إن لَاقَيْنَا، إِنَّ الأَعَادِي قد بَغَوْا علينا، وبالصُّراخِ عَوَّلُوا علينا، إِذا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا، أَبَيْنَا، أَبَيْنَا ...

النّاسُ على عِلمٍ بما وقع لهذه الجريدة، وكثيرٌ مِنهُم لا يَجهلُ ما أُقِيم في طريقها مِن العراقيل، وقد قَرَأُوا ما نَشَرَتْهُ الجرائد العربيّة وغيرُها عَن حادثِ عرقلةِ «الإِصلاح»، وما حَالَ بيننا وبين طبعِهِ بِـ«تونس»، ولقد كان «الإِصلاح» أوّلَ جريدةٍ جزائريّة مَنعت حُكومةُ «تونس» طبعَها هُناك، وكان ذلك مِنها قبلَ أن تَعرِف خُطَّةَ هذه الجريدة، وقبلَ أن تَطَّلِع ولو على العدد الأوّل منها، فحَرَمَت المطابع التُّونسيّة مِن الاتِّجار بطبعِ الجرائد الجزائريّة، وقَطَعَت بصنيعها هذا صِلَةً عِلميّةً أدبيّةً كانت بين الجزائر وجارتِها، بل أُختها وشقيقتها الَّتِي تَفُوقُها عِلْمًا وعَمَلًا، وخُصوصًا في صِناعة الطِّباعة، وعَبَثًا حاول وكيلُنا الشّرعيّ ونائِبنا الرّسميّ إِفهامَ «مُحافظة تونس»، أنّ عملَها هذا مُخالِفٌ لمبدإِ حُرّيّة الاتِّجار، جارٍ على خلافِ العُرْفِ والقَانُون، كما أنَّها لم تُصْغِ لصوتِ أيِّ صحيفةٍ كَتبَت في الموضوع، واحْتَجَّت على عملٍ كهَذَا غيرِ مَشرُوع.

وهل أَوْجَبَت مُعاملَتَنا بهذا كُلِّهِ جِنايةٌ ارتكَبْنَاها أو مُخَالَفةٌ قانُونيّةٌ اقْتَرَفْنَاهَا؟ كَلَّا! بل لا مُوجِبَ لما وقع سِوى أنّ الجريدةَ اسمُها: «الإِصلاح»، وهي لهذا المخلوق المُسَمَّى «**الطّيّب العُقبيّ**»، وفي النّاس مَن لا يُحِبُّ سماعَ اسمه: مُركّبة حُرُوفه أو مُفردة! ولماذا؟ لأنّ الأولياء الصّالحين وأَغْوَاث هذه الأُمّة المُتَألِّهِين وَشَوْا بِهِ كثيرًا إلى إداراتٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ، وصوَّرُوهُ لها في آلةِ تصويرٍ مُكبّرة جدًّا، هُم اخترعُوها مع الرّهبانيّةِ الَّتِي ابتدعوها، وبهذا أثَّروا على «رِجال الغيب» الأبرار والأتقياء الأخيار (أهل القُلُوب السَّلِيمة والنِّيّة...)، واستطاعُوا إِيقافَ سَيْرِ «الإِصلاح» (بمثلِ هذه الوسائل والوسائط!...)، ووَقَفُوا في طريقِهِ -لأَنَّهم أهل

الطّرُق الموصلة- كُلَّ هذه المدّة، وقالوا لمن يُؤمِنُ بكراماتِهم : «الشّايْ لله بِالمْرَابْطِينْ»...

أمّا نحنُ فسَعَيْنَا بإِزاءِ عملهم هذا كُلَّ سعيٍ مَشروع، وعَمِلنا كُلَّ ما في استطاعةِ مِثلِنا -مِن رجال الظّاهر- أن يَعملَه، وحاولنا بالأسباب المعقولة الحُصولَ على نتيجة، والاِطّلاع على المُوجِب الَّذِي مِن أجلِهِ قالت حُكومة «تونس»: «لا تُطبع الجرائد الجزائريّة -وهي تعني «الإِصلاح» قبل كُلّ جريدة- هُناك، إلّا بإذنٍ خُصوصيّ سِرّيّ مِن حُكومة الجزائر»، وذلك غير الإِذن الَّذِي هُو امتيازُ الجريدة المنصوصُ فيه على التّرخيص لنا بطبعِ الجريدة بالمطبعة التُّونسيّة، بنهج سُوق البلاط عدد (٥٧) بتونس، حاولنا ذلك فلم نَجِد مِن سبب، حتَّى ولو كان أَوْهَى مِن حَبْلِ العنكبوت، أمّا الحُكومة الجزائريّة، فكُلّما راجعناها وطلبنا منها هذا الإِذن السّرّيّ تَأْبَى إِسعافنا به، وتَرَاهُ بعد إِعطائنا الرُّخصة القانونيّة ضَرْبًا مِن المُحَال وتكليفًا بما لا يُمكن وقوعه، إذ كُلُّ طلبٍ يُخالِف القانون هُو عند رجال الحُكومة مِن المُحَال، وقد كتب إلينا مَن تَوَسَّط لنا عند حُكومة الجزائر في مُحاولة الحُصول على هذا الإِذن السّرّيّ بما كان جوابًا لهُ مِن المتوسَّط عنده: «إنّ حُكومة الجزائر لم تَتعرّض لطبعِ الجريدة بتونس، وإنّما الحُكومة التُّونسيّة هِي الَّتِي تَعرَّضت لذلك، ولا طاقة للوالي العامّ أن يَتعرّض للأوامر الَّتِي يأمر بها القيِّم العامّ بقُطر المملكة التُّونسيّة»، ومِن ذلك الوقت أخذنا نُفَتِّش على وسيلةٍ لطبعِ «الإِصلاح» بالجزائر، فلم نَرَ وسيلةً أنجحَ وأضمن لسَيْرِ الجريدة مِن تأسيسِ

مطبعةٍ حيثُ هي بـ«بسكرة»، فاسْتَنْهَضْنَا هِمَّةَ مُحِبِّي «الإِصلاح» لهذا المشروع الَّذِي هُو مَحْضُ خيرٍ وخيرٌ محضٌ لبلادهم، فَأَصْغَت لهذه الدّعوةِ أُذنٌ وَاعِية، وما كان مِن فريقِ المصلحين بِـ«بسكرة» إلّا أن استجابُوا لِمَا يُحْيِيهِم، وفِعلًا أَسَّسُوا وهُم الفئةُ القليلة «المطبعة العِلميّة»، وها نحنُ الآن نُصدِر العدد الثَّاني مِن «الإِصلاح» في أَوَّل سنتِهِ الثّالثة بهذه المطبعة، شاكِرين لأصحابها عملَهُم المبرُور وصنِيعَهُم المشكُور، رَاجِين مِن اللهِ ﷻ الإِعانة والتَّوفيق لسُلُوك الخُطَّة الَّتِي رسمناها وفي العدد الأوّل مِن هذه الجريدة بَيَّنَّاهَا، فهُو حَسْبُنَا، نِعْمَ المولى ونِعْمَ النَّصِير. «**الطَّيّب العُقبيّ**»(١).

---

(١) «الإصلاح»، السّنة الثالثة، العدد (٢)، الخميس ٢ ربيع الثاني ١٣٤٨هـ، الموافق: ٥ سبتمبر ١٩٢٩م، (ص١).

«الإِصْلاَح» فِي سَنَتِهِ الرَّابِعَة

نفتتح بهذا العدد سنةَ جريدتنا الرَّابِعة، مُعتمِدِين على اللهِ وحدهُ ورَاجِينَ منهُ الإِعانةَ والتَّوفيق، غيرَ مُكْتَرِثِينَ بما انْتَابَنَا مِن الكوارِث، ولا مُبَالِين بما اعترضَنا في طريقِ سَيْرِنَا مِن العراقيل الَّتِي تكاثَرَت حتَّى أَلِفْنَاهَا ....

مَضت السّنةُ الأُولى والثّانية لهذه الجريدة ولم يَبرُز مِنها غيرُ عددٍ واحدٍ، وذلك للأسباب الَّتِي علِمها القُرّاءُ في حينها، وفي الشّهر قبل هذا مِن السَّنة الماضية أصدرنا العدد الثّاني في السَّنة الثّالثة!.. (آمِلين)[1] الصُّعود إلى درجةٍ تَلِيق وتَتّفِق مع سُمعة المصلحين، وما كُنّا تَوَسَّمناهُ فِيهِم مِن الرّغبة في دوامِ «الإِصلاح» وانتِظامِ سَيْرِهِ، ولكن لم يَشَأ اللهُ لنا أن نَظفرَ ببُلوغ المُراد ونَيل الأُمنية، إِذ لقينا مِن المُثبِّطات وفَقَدنا مِن البواعث والدَّوَاعِي ما كِدْنَا نَيْأَسُ معهُ مِن مُداومة العمل ومُواصلة السَّير، وبالرَّغم مِن أنّ حَظَّنا مِن الاِبتلاء كان في هذه المَرَّة أيضًا مَوفُورًا وغيرَ مَنقُوصٍ، فإِنَّنا لم نَسْتَسْلِم للعوامِل الَّتِي تَضعُفُ لمثلِها العزائم وتَخُورُ القوى، بل بقينا نُسَائِرُ الظُّروف ونَقْدِرُ للصُّعُوبات قَدْرَهَا، فصَبَرْنَا وصَابَرْنَا ورَابَطْنَا وعمِلنا للإِصلاحِ ما استطعنا، فما قَدِرْنَا أن نُصْدِرَ في صَدْرِ السَّنة أكثرَ مِن اثني عشر عددًا! أمّا النِّصف الأخير منها، فقد تَوَقَّفنا فيه عن العمل بالمَرَّة، وذلك

(١) كلمةٌ غير واضحةٍ في الجريدة، هكذا قرأتُها.

لحادثِ انكسارٍ وَقَعَ للآلةِ الطَّابِعة، ولم يَتيَسَّر إِصلاحُها إلَّا بعد أشهُرٍ، ثمّ عقب ذلك سَفَرُ المُصَفِّفِ ورُجوعُه إلى بلده «تُونس»، وتبع ذلك فُقدانُ بعضِ العَمَلَة في أُمورٍ لا يَنبغي التَّصريح بها لضِيقِ ظَرْفِ الزَّمان وظَرْفِ المكان عنها، لهذا مضى علينا نِصفُ السَّنة الأخير ونحنُ في انتظارِ إِصلاحِ ما فَسَد، ورَأْبِ ما تَصَدَّع، وإتمامِ ما نَقَص...

كان المسلمون أيّامَ ارتفاعِ رايتِهِم وعُلُوّ كلمةِ الحقِّ عندهم أسرعَ النَّاسِ للخير، وأَحْرَصَهُم عليه، وأَطْوَعَهُم إجابةً لكُلِّ دَاعٍ يدعُوهُم لما يُحْيِيهِم ويُرَغِّبُهُم فيه، يُفَرِّقُون بين الحقِّ والباطل، ويُمَيِّزُون بين الخبيث والطَّيِّب، فلم يكُن دُعاةُ الهداية بينهم ورُوَّامُ الإِصلاح في مجموعتهم يُلاقُون قليلًا فضلًا عن كثيرٍ مِمَّا يُلاقِيهِ الدَّاعِي إلى الإِصلاح والمُهَيْعِل بهم إلى الصَّلاح في هذا الحين، وما ذلك إلّا لِمَا وَقَرَ في قلُوبهم وثَبَتَ في نفُوسهِم مِن حبِّ الحقِّ والتَّفاني فيه، وتَطَلُّب الخير والتَّهالُك عليه، والآن وبالخصوصِ في هذا المكان ويا للأسف، حَالَت دُون تَروِيج كُلِّ خيرٍ دَوَاعِي الشُّرُور المتكاثرة وبَوَاعِث الفساد والإِفساد بين العِباد، فصُمَّت الآذانُ إلّا عن دَاعِيه، وعَمِيَت الأبصارُ إلّا عمَّن يأتِيه، فدَاعِي سبيلِ الغَيِّ وطُرُقِ الهَلَكَة يَجِدُ أَلْفَ مُؤَازِرٍ ومُنَاصِرٍ، وأَلْفَ ألف شيطانٍ رجيمٍ مِن وراءِ أولئك، يُساعِدُ ويُظَاهِر، أمّا الآخر، فلَن يَرَى إلّا مُنافِقًا يُدارِيه ويُخَاتِلُه، أو كذّابًا يُبَاهِتُه ويُجَادِلُه، وإن ظفر مِن بينِ الألفِ أو المائة ألفٍ بمُؤمنٍ خالصِ الإِيمان، فتِلك إحدى نوادرِ الزَّمان، ثمّ ماذا يَعملُ المصلِح، وقد قَلَّ عَدَدُه وعَزَّ نَصِيرُه، وأصبح ما يَدْعُو إليهِ مِن خيرٍ هُو الشّرّ عند أكثرِ سامِعِيه، وما يَرْمِي إليهِ مِن

الإِصلاح هُو عينُ الإِفساد عند مُنَاوِئِيهِ، غريبٌ بغُربةِ الدِّين، وقليلٌ بين أبناءِ جِنسِهِ الكثيرين؟!

فلا غَرْوَ إذن فِيمَا لَقِينا في سبيلِ دعوتِنا وسُلُوك خُطَّتِنا مِن كُلِّ تلك المصائب والنَّوَائِب، فإِنَّ مِثل ذلك ممّا يُتَّخَذُ خيرَ حُجَّةٍ وأقوى دليلٍ على صِدْقِ دَعْوَتِنَا وَشَرَفِ غايتِنا، وما كُنَّا لنيْأَسَ قطُّ مِن أنّ العاقِبةَ للمُتَّقِين، وأنّ جُنْدَ اللهِ هُم الغالِبُون المنصُورُون ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ﴾ [الحج: ٤٠]، وما وَقَعَ لنا مِن الاِبتلاءِ هُو سُنَّةُ اللهِ في الّذين خَلَوْا مِن قبلُ، وكانُوا بآياتِ اللهِ يُؤمِنُون.

والآن وقد تَهَيَّأَت الأسباب، ويَسَّرَ اللهُ لنا الحُصول على ما كُنّا فقدناه، وصلح ما فسد، واجتمع ما افترق، نُبادِرُ بِإِصدار هذا العدد الَّذِي به نَفْتَتِحُ سنةَ جريدتنا الرَّابِعة، وتُسْتَفْتَحُ بالَّذِي هُو خير، فإِن نِلْنَا ما نَبْغِي ونَتَمَنَّى فذاك، وإن تكُن الأُخرى، فاللهُ أعلمُ بما هُناك، وما نحنُ بأَقْدَرَ وأَقْوَى مِن رسولٍ أَيَّدَهُ اللهُ بالحُجّة والبُرهان، وأَقَرَّهُ على قوله: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ﴾ [هود: ٨٨]... ومع هذا وذاك، فإِنَّ لنا في اللهِ جَمِيل الظَّنِّ بأن يُسَدِّدَ خُطَانَا ويَهْدِيَنَا لِلَّتِي هِي أَقْوَمُ والَّتِي هِي أَرْشَد، فإِنَّهُ هُو مَولانا، وهُو وَلِيُّ الهدايةِ والتَّوفيق(١).

(١) «الإصلاح»، السّنة الرّابعة، العدد (١٤)، الخميس ٢ جمادى الأولى ١٣٤٩هـ، الموافق: ٢٥ سبتمبر ١٩٣٠م، (ص١).

أَلاَ فَلْيَعِشْ المُصلِحُون! وَلْيَخْسأ المُبْطِلُون!..

يَتوَعَّدُ حِزبُ المُبْطِلِين الخاسر حِزْبَ اللِه المُفْلِح الفائز، ويَتَهَدَّدُهُ بأنّهُ سيَقِفُ في طريقِ إِصلاحه – الآمِر بالمعروف، النَّاهِي عن المُنكر الدَّاعِي إلى اللهِ وحده، العامِلِ في حال التَّنازُع معهُم بقولِ اللهِ ﷻ: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] والمتكلِّم مع كُلِّ خصمٍ بالحُجَّةِ والبُرهان لا بالسَّيفِ والسِّنَان...

فهل كان هذا شأن المُحِقِّ الَّذِي يَعبُدُ اللهَ على يقين، وهُو في دينه – دين الحقِّ – على بَيِّنَةٍ مِن أمرِه؟ وهل دينُهُم الَّذِي هُم عليه وعقائدُهُم – الَّتِي قالوا عنها: إِنَّها مَبعثُ الصَّلاح والسَّداد وداعيةُ الهُدى والرَّشاد– هي الَّتِي تُجِيزُ لهُم استعمال كُلِّ وسيلة، ولو كانت وسيلةَ تَزْوِيرٍ وكَذِبٍ ورَمْيٍ بإفكٍ وبُهتانٍ في مُحاربةِ الإِصلاح وحزبِ المصلحين، فيَتَقَوَّلُون علينا أَنَّنا لا نُحِبُّ الأَولياء والصَّالحين، وأَنَّنا نُنْكِرُ الكرامة، وأَنَّنا لا نَحترِمُ الرَّسُول، وأَنَّنا نُسَمِّيهِ مُوَزِّع بريدٍ: «فَكْتُور»[١]، ومِنهم مَن يقول عنَّا: إِنَّنا لا نُؤمنُ إلّا بنِصفِ كلمةِ الشَّهادة، فنقول: «لا إله إلّا الله» فقط، ونمنعُ مَن يكونُ على مذهبنا مِن أن يقول: «محمّدٌ رسولُ الله»، كُلُّ هذا وأكثرُ منهُ يَتَقَوَّلُونَهُ علينا، وتَلُوكُهُ ألسنتُهُم إذا غِبْنَا عن مجالسِهِم، وهُم يَعلمون ويُقِرُّون بأنّ

(١) كلمةٌ فرنسيَّة (Facteur)، مُستعمَلةٌ في اللُّغة العامّيّة، تعني: سَاعِي البريد.

الكاذِب مَلْعُونٌ، ومع هذا يَدَّعُون أَنَّهُم عُقلاء عُلماء أولياء... إلخ، وهل أَجازَ العِلمُ يومًا ما أو العقلُ أو الدِّينُ مُحاربةَ النَّاسِ في أشخاصهم أو أعراضهم أو أبدانهم، لا لِشَيءٍ سِوى عقيدة اقْتَنَعُوا ببُرهانِ أَحَقِّيَّتِها، فاعتَقَدُوها ودَعَوا النَّاسَ إليها، دُون أن يُحَارِبُوا أحدًا في عِرضٍ أو بدنٍ أو مال، وبدُون أن يَكُونُوا مِن الكَذَّابين ولا المُزَوِّرين؟ اللَّهُمّ إنّ الدِّين والعِلم والعَقل ثلاثٌ تَعْصِمُ المرءَ مِن مِثلِ هذا الخَطَل والخَطَأ، ولا تُجِيزُ ذلك بوجهٍ مِن الوجوه، وهذا كتابُ اللهِ النَّاطِقُ بالصِّدق يَقُولُ في واجبِ الدّعوةِ إلى دِينِ الحقِّ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

يَجِدُ القومُ علينا في أنفسهم حَزازَةً لا يَجِدُونها على مُخَالِفِهِم مِن أهل أيِّ دينٍ كانُوا، ويُضْمِرُون لنا عداوةً لا مُوجِبَ لها سِوى دعوتِنا الإِصلاحيّة، الَّتي نُحاوِلُ بها تحرير الأُمَّة مِن رِقِّ الخُرافات والأَوهام، وإِعدادَها لِأَن تكُونَ كما قال اللهُ: ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، لا شَرَّ أُمَّةٍ تكُون كَلًّا على كَاهِلِ الغير، تَجهلُ ولا تعلَم، وتكسَلُ ولا تَعمَل، وتتَأَخَّر عَقلِيَّتُها في هذا الزَّمن الَّذِي تَقدَّمَ فيهِ كُلُّ شيءٍ إلّا نحنُ معشرَ المسلمين، هذا ما جعلهُم يَترَبَّصُون بنا الدَّوائِر -عَلَيْهِم دَائِرَةُ السَّوْءِ- ويُبْغِضُونَنَا كُلَّ هذا البُغض، كأَنَّنَا وَتِرْنَاهُم أَعَزَّ شيءٍ لديهِم وسَلَبْنَاهُم كُلَّ ما بين أيديهِم، ونحنُ لم نُنافِسهُم في مالٍ ولا جاهٍ ولا شرف، وإِنّما هَمُّنَا تنويرُ العُقول بنُور العِلم الصَّحيح وتأييد الحَقّ بواضحِ مَحَجَّتِه وتَزْيِيف

الباطل بالبُرهان القاطع والدَّليل السَّاطِع، فلماذا نُعادَى ونُبْغَض ونُقَاوَم مِن هؤُلاء القوم؟ وهل كان هذا مِنهُم بداعِي الغَيْرَةِ الدِّينيّة ومَحبَّة المصلحة العُموميّة؟ كَلَّا وربِّك! فلا القومُ على الدِّينِ يَغارُون، ولا هُم مِن سَبِّهِ وشَتْمِهِ يَتأَثَّرُون، ولا لِمَن خالفَهُم فيهِ يُعادُون، ولكن حَمَلَهُم على مُناصَبَتِنا العِدَاء (دُونَ غيرِنا)، ومُعامَلَتِنا بكُلِّ واسطةٍ يَرَوْنَها تُؤَدِّي إلى القضاءِ علينا وعلى مشروعنا- حُبُّهُم لأنفسهِم فقط وأَنَانِيَّتُهُم ومَصلحتُهُم الدُّنيويّة الخاصّة لا غير، فقد رأوا أنّ سِيادتهُم على الأُمّة لا تكُون إلّا بتَجْهِيلِها وإِعطائها مِن عقائد الباطل وأعمال الضَّلال ما يُمِيتُ شُعُورها ويَسْلِبُ مِنها كُلّ قُوّةٍ استقلاليّةٍ (في الرَّأي) أو استدلاليّةٍ (في الفِكر)، وبذلك تَبْقَى مُنَوَّمَةً خامِلَةً مُخَدَّرَةَ الأَعصاب مَسْلُوبَةَ القُوَى المعنويّة، فتَدُومُ لهُم السِّيادةُ عليها، ويَتِمُّ لهُم استعبادُها دائمًا، واستعمالُها فيما يُحِبُّون ويَشتهون، إِذ هِيَ مَوْرِدُ ثروتِهِم الخاصّ، ومَنبعُ كُلّ ما هُم فيهِ مِن إِنسانيّةٍ وأُبَّهَةٍ ومظاهرَ فَخْفَخَةٍ وعَظَمَةٍ وعِزَّةٍ وشَرَفٍ، ولَوْلَا أعمالهُم هذه في أغنامِهِم تلك، لَمَا تَسَنَّى لهُم استغلالُ هذا الجُمهور العظيم الَّذِين أصبحوا بامتلاكِهِ كمُلُوكٍ على الأَسِرَّة، تَخْشَاهُم حتَّى الحُكومات والمُلُوك، وتُدَارِيهِم وتُصَانِعُهُم وتُجَارِيهِم، لِئَلَّا يَنْفَضُّوا عنها فَتَنْفَضَّ بالتَّبَع لهُم عَبِيدُهُم المُطِيعة، الَّتِي أَجَازُوا هُم وأجاز لهُم مَن شَارَكهُم في باطلهم مِن غيرهم امتِلاكَها، حتَّى في عصرِ المدنيَّة والنُّور، الَّذِي حَرَّمَ فيهِ العِلمُ اسْتِرْقَاقَ وامْتِلَاكَ البَشَرِ للبشر...

هذا هُو الأمرُ الَّذِي مِن أجلهِ عُودِينَا وبِسَبِبِه أُوذِينَا.

(مُرّ)[1] أيُّها العاقِل الرَّشيد -مِن أيِّ ناحيةٍ في أيِّ بلدةٍ أو قريةٍ كنتَ- بفريقٍ مِن هذه الأُمّةِ المُباركة الطّيّبة العامِلة بأوامرِ القوم ونَوَاهِيهِم، فإنَّك تسمعُ سَبَّ الدِّين جِهارًا وشَتْمَ النَّبيِّ ﷺ وذِكْرَ جبريل وعزرائيل، وهَلُمَّ جَرًّا، بما يُغْضِبُ اللهَ ورسُولَهُ والمؤمنين، ولكِن هل عوُدِيَ أو أُوذِيَ فَاعِلُو هذه المناكر وقَائِلُوها كما عُودِينَا نحنُ؟ وهل جاءَهُم مِن مُتَوَعِّدٍ أو مُهَدِّدٍ كما جاءَنا نحنُ؟ وهل حاول فردٌ واحدٌ مِن هذا الحِزب الخاسر الضَّربَ على يدِ واحدٍ مِمَّن يَسُبُّ الدِّينَ واللهَ والرَّسُولَ والملائكة؟ لَا، لَا، لَا، ما كان ذلك، وما وَقَع، ولكن نحنُ وحدَنا الَّذِين نُؤْذَى ونُعَادَى ونُهَدَّد وتُسْتَبَاحُ عندَ القومِ أعراضُنا وأموالُنا والاِعتداء حتَّى على أشخاصنا، ويُحْكَم علينا بالكُفر والزَّندقة والإِلحاد، وتُقَدَّم بنا الوِشايات الكاذِبة والتَّزْوِيرَات المُختَرَعة إلى بعض الدَّوَائِر الَّتِي تَسمعُ لهؤُلاء الأولياء الصّالحين وتَتَلَقَّى أقوالَهُم ووِشاياتِهِم بالقَبُول والتَّسلِيم.. وما حُجّة القوم في كُلِّ هذا؟ حُجَّتُهُم الدَّاحِضة عند الله وعباده المؤمنين، هي قولُهُم علينا: إِنَّنَا أعداءُ الدِّين! كأَنَّهُ لم يَبْقَ مِن عَدُوٍّ للدِّين في بلادهم هُو الأَحَقّ بصَبِّ كُلِّ عُقُوبةٍ على رأسِهِ والأَوْلَى بالاِنتقامِ مِنهُ غيرنا نحنُ معشرَ المصلِحين! عَلِمْتَ وعَرَفْتَ.

ولَيْتَ شِعْرِي أَيَبْلُغُ القومُ فِينا مُتَمَنَّيَاتِهِم ويَنَالُونَنَا بسُوءٍ كما هُم قائِلون، أم دُون ذلك خَرْطُ القَتَاد وقَطْعُ أَغْوَارٍ وأَنْجَاد؟؟ نحنُ نعتقدُ أنّ كُلَّ سِلاحٍ يَستعملُهُ هؤُلاء الأشرار ضِدَّنا هُو سِلاحٌ مَفْلُولٌ، وكُلُّ تدبيرٍ يَكِيدُوننا به فإِنَّما يَكِيدُون به أنفُسهُم،

(١) كلمةٌ غير واضحةٌ في جريدتَي «الإصلاح» و«السُّنَّة»، هكذا قرأتُها.

وسيُرْجِعُهُ اللهُ في نُحُورهِم ولو بعدَ حين، ونَعلمُ أنّهُ ليس لهُم مِن قُوَّةٍ يَعتمِدُون عليها فِيمَا يُوعِدُونَنَا بِهِ مُبْرِقِين ومُرْعِدِين وبين بِطَانَتِهِم الخاصّة مُجَاهِرِين سِوى قُوّة واحدة: هِي الزُّورُ والبُهتان الَّذِي يَرْمُونَنَا بِهِ عند الحُكومة، وهُم وإِن وَجَدُوا اليوم وفي بعض الدَّوَائِر مَن يَستجِيبُ لهُم ويُنَفِّذُ أغراضهُم، فإِنَّهُم لا يَجِدُون غدًا أو بعد غدٍ مَن يَسمعُ لقولِهِم أو يَستجِيبُ لدعوتِهِم؛ لأنّ الحقائق تُظْهِرُ نفسَها بنفسِها (طال الزَّمَانُ أو قَصُر)، وسوف تَعلمُ الحُكومة -وهِي الَّتِي تَغَارُ على الإِنسانيّة، وتُشفِقُ على المستعبَدِين، وتُحاوِلُ إِخراجهم مِن رِقِّهِم إِلى فَسِيحِ مُستوى الحُرِّيّة والعدالة- إِذ نحنُ أنصارُها وأَعوانُها والعامِلُون بحَقٍّ على تأكيدِ هذا المبدأ الحَقِّ، ونشرِ مذهبِ الفضيلةِ الإِنسانيّة والحُرِّيَّة بين عباد الله، ومَحَبَّةِ الجميعِ مِن بَنِي الإِنسان(١)، شفقةً ورحمةً بالإِنسان، واحتِرامًا وتقديرًا لشَرَفِ هذا النّوعِ مِن المخلوقات، كما تعلمُ أنّ هؤُلاء الخُصوم هُم أعداء لها وللأُمّة ولكُلِّ فضيلة، أحبابٌ لأنفسهِم وشخصيّاتهِم ومَنافعهِم الخاصّة، لا يهمّهم مصلحةُ الأُمّة ولا الحُكومة ولا مصلحةُ أيٍّ كان، وإنّما هَمُّهُم الوحيد أن يَملأَ الرَّجُلُ

---

(١) لا مَحبَّة ولا مُوادَّة إِلَّا بينَ المؤمنين دُونَ الكافرين، كما لا أُخُوَّةَ إِلَّا أُخُوَّة الدِّين ولا رابِطَةَ إِلَّا رابِطَة الإِسلام، وسِوَى ذلك فهُوَ مُنقَطِع ولا اعتِبَارَ لهُ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ...﴾ [المجادلة ٢٢] الآية.

وقد انخدعَ كثيرٌ مِن العُلماء لِدِعاياتِ: الأُخُوّة الإِنسانيَّة، والتَّسامُح الدِّينيّ، والتَّقريب بين الأديان، واتّحَادِهَا، وغيرِها ممَّا بثَّتْهُ المَاسُونيَّة وَلِيدَة الصّهيونيَّة العالَمِيَّة! انظر: «**مَنهج المدرسة العقليّة الحديثة في التّفسير**» للدكتور فهد الرّومي (ص١٣٦-١٤١).

منهُم بطنَهُ وجُيُوبَهُ، ويَجمع الدّراهِم بأيِّ واسطةٍ وعلى أيِّ حالٍ وبأيِّ كيفيّةٍ تكون، هذا هُو مبدأُ القوم، وهذه هي غايتُهم لا أقلّ ولا أكثر، ومَن كانت الدُّنيا أكبرَ هَمِّهِ فإنَّنا لا نُبالِيهِ بَالَةً ولا نَعبأُ بتهدِيدِه، ولا نكْتَرِثُ بوَعِيده، ونعتقدُ أنّ اللهَ معنا وناصرُنا عليه، ما دُمنا على الحَقِّ وهُو على الباطل، وسيَمْكُثُ في الأرضِ ما يَنفعُ النَّاسَ، وأمَّا الزَّبَدُ فيَذْهَبُ جُفَاءً، وهُنَالِك ينُادَى في عَرْضِ البِلادِ وطُولِهَا: أَلَا فَلْيَعِشْ المُصْلِحُون! وَلْيَخْسَأ المُبْطِلُون![1].

---

(١) «الإصلاح»، السّنة الثالثة، العدد (٣)، الخميس ١٦ ربيع الثاني ١٣٤٨هـ، الموافق: ١٩ سبتمبر ١٩٢٩م، (ص١).

تنبيهٌ: أعادَ الشّيخُ العُقبيُّ نشرَ هذا المقال في جريدة «السُّنّة النّبويَّة المحمّديّة»[عدد (٦)، الإثنين ٢٠ محرم الحرام١٣٥٢هـ، الموافق: ١٥ ماي ١٩٣٣م، (ص٢-٣)]، وقدَّم له بهذه الكلمات: «كنتُ نشرتُ تحت هذا العُنوان نفسِهِ في العدد الثّالث مِن «الإصلاح» مقالًا قبل أربعِ سنوات، وبما أنّ الحوادث تَتجدَّد فيتَجَدَّدُ معها الكلام (والتَّارِيخُ يُعِيدُ نَفْسَهُ)، ونحنُ في دورنا الحاضر مع خُصومنا (غيرِ الشُّرَفَاء) في حاجةٍ إلى الكلامِ معهُم بمثلِ ما كُنَّا تَكلَّمنا بهِ مِن قبل أن يَرمُونا بما كانوا يَتَوَعَّدُونَنا بهِ، ولكي تكُون الأُمّةُ على بيِّنةٍ مِن أمرِ هذا الحزب - نُعِيدُ نشرَ ذلك المقال في جريدتنا «السُّنّة النّبويّة المحمّديّة»، إذ هُو بموضوعِ اليوم أولى وبخطابِ القوم أَلْيَق، عساهُم عن غيِّهِم يَرجعون فيَهتدُون، ولعلَّهُم إذا ذُكِّرُوا يَتَذَكَّرُون، وها هُو المقالُ بنصِّهِ: ...».

أَنَا بِخَيْرٍ وَعَافِيَةٍ

نَشَرَ نائبُنا في تحريرِ الجريدة في «محلّيّات» العدد السَّابق نبأَ مَرَضِي[1]، فأَثَّرَ ذلك على مُحِبِّي الإِصلاح والمصلِحين كثيرًا، كما سَرَّ مَن يَتربَّصُون بنا الدَّوَائر، ويَرَوْنَ أنَّ كُلَّ ما أصابنا أو يُصِيبنا هُو بإرادتهم وأَثَرٌ لتَصرُّفِهِم في هذا الكون ... وأنا –والمِنَّةُ للهِ وحده– أُبَشِّرُ أَحِبَّائِي بأنِّي بخيرٍ وعافيةٍ، وأنّ المرض الَّذِي اعْتَرَانِي زَالَ أَثَرُهُ تمامًا، وذلك بلُطْفِ اللهِ أوّلًا، ثمّ بما بَذَلَهُ صديقُنا الوَدُود «الدّكتور سعدان» مِن الأسباب الظَّاهرة، فقد كان يَتَرَدَّدُ عليَّ صباحًا ومساءً، ويَستعمِلُ قُصَارَى جُهْدِهِ ليُبَاعِد بينِي وبينَ تأثيرِ هذا العارِض الثَّقِيل، حتَّى مَنَّ عَلَيَّ اللهُ –الَّذِي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي– بالشِّفَاءِ والبُرْءِ العاجِل على يدِ هذا الطَّبِيب، فللهِ الحمدُ، وللحكيم «سعدان» الَّذِي يُحْسِنُ (التَّصرُّف) في (طُرُقِ)

(١) نَشَرَ مُحرِّرُ «الإِصلاح» [العدد (٥)، ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ الموافق: ١٧ أكتوبر ١٩٢٩م، (ص٢)] تحتَ عنوان: «**الأُستاذ العُقبيّ**» الخبرَ الآتي: « قد انحرف مِزاج الأستاذ العُقبي في هذه الأيّام، واعْتَرَاهُ أَلمٌ أَلزمَهُ تَرْكَ العمل ومُلازمةَ الفِراش، وسببُ ذلك فيما يَظهر هُو النَّصب الشَّدِيد الَّذِي حصل للأُستاذ مِن مُباشرةِ الأعمال المتعلِّقة بإدارة هذه الجريدة، كما نُخبرُ القُرَّاء والأصدقاء بهذا الخبر آسِفِين، نُعلِمهم بمَزِيد السُّرور أنّ مَرَضَ الشَّيخ خفيفٌ، بحيثُ لا تُخْشَى عاقبَتُه، وإنّنا مُنتظِرون – (...) وثقةٍ تامّة – إِبْلَالَهُ ورُجُوعَهُ إلى إدارته في القريب العاجل ـ نسألُ اللهَ أن يُحَقِّقَ هذا الأَمل، وأن يَرُدَّ لشيخِنا صِحَّتَهُ وقُوَّته الَّتِي بذل جُلَّهَا، ولا هَمَّ لهُ سِوى بذلَ كُلِّها في سبيلِ الدِّين والوطن».

العِلاج مَزِيدُ الاِمْتِنَان والشُّكر. «**الطّيِّب العُقبيّ**»[١].

(١) «الإصلاح»، السّنة الثالثة، العدد (٦)، الخميس ٢٢ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ، الموافق: ٢٤ أكتوبر ١٩٢٩م، (ص٤).

لَغْوُ الفُضُولِيّ وحَدِيثُ بَرَاقِشْ... [(١)]

(١) كتب مُحرِّر «المنتقِد» [عدد (١٣)، الخميس ٥ربيع الأول ١٣٤٤هـ - ٢٤سبتمبر ١٩٢٥م، (ص٣)] تحت عنوان: «**عند مَنْ ..؟ عند الرَّشِيد ..! أو صَاحِب بَرَاقِش ....**»: «في عدد ٢٢٥ مِن «النّجاح» الأغرّ مقالةٌ تحت عنوان «بَرَاقِشْ» بإمضاء «الرّشيد»، شرح فيها كاتبُها قِصَّة بَرَاقِش الكلبة، ولو اقتصر على هذا لقُلنا: الحديثُ كلْبِيٌّ، وما لنا وللكلاب، ثمّ تعرّض لبعض الكُتّاب وشبَّههم بهاته الكلبة، ورَمَاهُم بالصَّخب والمُمَارَاة والحِطَّة وسُوء العمل الاِجتماعيّ....»إلخ، وأشار المحرِّر إلى تعريض «الرَّشيد» بكُتّاب «المنتقِد» على وجه الخصوص، قال: «لأَنَّهُم هُم الَّذِين أعلنُوا مباديهم الإِصلاحيّة بكُلّ حرّيّة وصراحةٍ وجراءةٍ وإخلاص، مُؤيّدة بالأدلّة والبراهين، مُبرَّأً مِن كلّ قدحٍ في الشّخصيّات، لقد كان الأحقّ بهذا السَّبَب الرَّشيد أن يُخاطب الكُتَّاب بلِسان العِلم والاِستدلال، لا بهذا الطّعن البارد الَّذِي لا قِيمة له عند العارفين، و«المنتقِد» لا يَعتب على «رشيد»، وإِنّما يعتب على رصيفتنا الكريمة «النّجاح»، في تنازلها لنشرِ مثلِ هذا الطّعن الصّريح في الكُتَّاب العديدين تنازلًا بما يُفيد رِضاها به. قد علم النّاسُ حدّة [شدّة] كُتّاب «المنتقِد» في نصرِ مَباديهم الحقَّة وحُسنَ مُجادلتهم لمخالفيهم....أمّا اليوم وقد استُغْضِبُوا، فإِنّهُم غَضِبُوا، وأَخَذت مقالاتُهم تَرِدُ علينا في تقريعِ «الرّشيد»، وقد كُنّا في باديءِ الأمر عازِمين على عدم النَّشر، لكن ما وَسِعَنا معهُم بعد إلحاحهم إلّا النَّشر، فسننشُرُ في العدد القادم واحدةً مُقتصِرين عليها حامِلِين مَسؤوليّتها على رصيفتنا الكريمة جريدة «النّجاح»، الَّتِي بدأت بنشرِ تلك الأفكار المؤنّثة، الَّتِي لا يَقدِرُ أصحابها على المُناظرة بالبرهان، فيَعدِلُون إلى الشّتم بالبُهتان، فاضطُررنا إلى إِرضاء كُتَّابنا بنشرِ مقالٍ واحدٍ منهُم، والظّالمُ هُو البادئ» اهـ.

أمّا الكاتب الّذي كان يُمضي مقالاته باسم «الرّشيد»، فهو: صاحبُ جريدة «النّجاح» نفسُهُ: الشّيخ عبد الحفيظ بن الهاشميّ، كما قال الأستاذ فوزي مصمودي في: «تاريخ الصّحافة والصّحفيّين في بسكرة وإقليمها» (ص٨٠): «وقد كان الشّيخ ابن الهاشميّ يُوَقِّع مقالاته وكتاباته المختلِفة بعِدّة =

عجيبٌ!! بل وغريبٌ أيضًا، عجيبٌ؟ أَعْمَى يَقُودُ بَصِيرًا، وجَاهِلٌ يُرْشِدُ عالِمًا، وحِمَارٌ يُهاجِمُ أَسَدًا، وأعجبُ منهُ كلابٌ تَنْبَحُ القَمَرَ وتُطَاوِلُ السَّمَاءَ

=

ألقابٍ مُستعَارةٍ، منها: رشيد، زيد، صهيب.. إِضافةً إلى توقيعه الأصليّ الَّذِي غَلَبَ على مقالاته..»اهـ.

قلتُ: ورُبّما كان هُو مُحرِّر الجريدة «مامي اسماعيل»، قال الشّيخ أحمد حماني عن الشّيخ ابن الهاشميّ: «وكان يُجالس الشّيخ عبد الحميد بن باديس ولا يُؤمن بالخُرافات، ولكنّه كان في «النَّجاح» مَغلوبًا على أمره، لأنّ الإدارة الفرنسيّة سخّرته ووجدت في [مامي] اسماعيل طلبتَها». انظر: «صراع بين السُّنّة والبدعة» (١/ ١٢٦).

وقال عن «النَّجاح»: «ولم تكُن نُصرتها للزَّوايا والخُرافات والمشائخ إِيمانًا بهم، واحترامًا لهم، ولكنَّها قاومت بذلك بوادِر النّهضة الوطنيّة، والإِصلاح الدِّينيّ إِرضاءً للإِدارة الاستعماريّة وخُضوعًا للتَّعليمات العُليا، وبلغت في تورّطها إلى حَدِّ الإِسفاف وسدرت في غوايتها إلى النِّهاية، ولم يمنعها مِن ذلك خُلق الحياء، ولا الرَّوابط الَّتِي كانت لبعض أصحابها مع المصلِحين، فقد كانت زوجة اسماعيل مامي باديسيَّةً، وهُو نفسُه كان تلميذًا للشّيخ ابن باديس، وعليهِ تَعلَّم إِنشاء المقالة.. وقد قال الشّيخ ابن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ في صاحبِ «النّجاح» وخطّة جريدته ودوافعها ما نصُّه: «لصاحب « النَّجاح» المحترم حَظُّه مِن العِلم والفضل وجميل الأخلاق ولَطِيف المُعاشرة وكرم الأصل، ومِن حَقِّه أن نَذْكُرَ لهُ هذا، وما كُنَّا لنَبْخَسَ أحدًا حقًّا، ولكن لم تكُن صحيفتُه -مع الأسف الشَّديد- مُتَجَلِّى لهذه الصِّفات، وعِلّةُ ذلك -ولا نقولُ هذا وحدنا- استسلامُهُ لأُنَاسٍ لا يُساوُونَهُ في المنزلة، ولا يُشاركونَهُ في المسؤوليّة، وضَعفُهُ أمام رغباتٍ.. ومُؤثّرات.. »إلخ، ثمّ كانت آخرةُ «مامي اسماعيل» خيرًا لهُ مِن أوّله، ولعلّه أحسّ بالنَّدم على ما فعلَهُ. انظر: «الشِّهاب»، عدد (٩٢)، و«صراع بين السُّنَّة والبدعة» (١/ ١٢٩-١٣١).

فُضُولا!!!...

لَغَا لَاغٍ لَغْوَ طَرَبٍ على صوتِ أَتَانٍ لَهُ، أَوْلَدَهَا جَحْشًا، فجاءَ أَشْبَهَ النَّاسِ بأَبِيهِ خَلْقًا وخُلُقًا، ولم يكُن بَشَرًا سَوِيًّا!!.

صعد على مِنبر الخَطابة بين جُمُوعٍ هي أَطْوَعُ مِن نَعْلِهِ وأَلْزَمُ لهُ مِن ظِلِّه، يُفِيدُنا حديثَ بَرَاقِش الأُولى، ويَقُصُّ لنا مِن أنبائها وما كان لها عن الأقدمين، وحيثُ وقع الخِلافُ بين عُلماء العربيّة والمُعتنِين بجمعِ الأمثال، هل هي كلبةٌ سوداء أو امرأةٌ وَرْهَاء... إلخ الحديث الصّحيح، نَاسَبَ أن نقول، وإن كان هذا اللَّغوُ مِن الفُضُول: الإِعراضُ عن الجاهِلين مِن صِفات العُقلاء، والسِّبَابُ والشَّتمُ والتَّمثيلُ بالكِلاب بدُونِ مُوجِبٍ هُو شأنُ السُّفهاء... لا الرُّشَدَاء...

ما كُلُّ كلامٍ يَسْتَوْجِبُ الرّدّ، ولا كُلُّ بَارِقَةِ سَحَابٍ يَعْقُبُهَا رَعْدٌ، مَن عرف آداب المُناظَرة وجَادَلَ بالَّتِي هِيَ أحسن في طُرُق المُعَاشَرة، فذلِك الَّذي يكونُ جوابُهُ بنتائِج العِلم الرَّاجِعة إلى أصلِ مُقَدِّماتِهِ الصَّحِيحة، والكلامُ مع العُقلاء الرُّشَداء حقيقةً كمالٌ في نفسِهِ، وأمَّا السَّفِيهُ الَّذي يُقَوِّلُ غيرَهُ ما لم يَقُلْهُ، ويَخْتَلِقُ ما شاءَ لهُ افتراؤُهُ مِن الكَذِب، ثمّ يَرْمِي بِهِ بَرِيئًا، فأَحْسَنُ جوابٍ لهُ، هُو قولُ الشَّاعر:

وَإِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ ... فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ[1]

ذلِك هُو السَّفِيهُ الَّذِي يُسَمِّي نفسَهُ بـ «الرَّشِيد»، في الحين الَّذِي حَكَمَت عليهِ مَحكمةُ التَّحقيقِ بالسَّفَهِ الظَّاهرةِ لِكُلِّ ذِي عينَين آثارُهُ.

---

(١) البيت مَنسوبٌ للإمام الشّافعيّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولكن، لكي يَعلمَ مَن أَغْرَاهُ وأَشْلَاهُ أَنَّ وراءَ الحَقِّ ألف طالبٍ، وأنَّ بَنِي العَمِّ فيهِم رِمَاح، نُرسِلُ إليهِ - دُون أن نَتَعَقَّبَ جُمَلَهُ الباردةَ بالرّدِّ لما ذكرناهُ آنفًا- بشِهَابٍ ثَاقِبٍ، إِذ ما جُعِلت النُّجُومُ رُجُومًا إِلَّا للشَّياطينِ أمثالِهِ، ثمّ:

إِنْ عَـادَتْ العَقْـرَبُ عُـدْنَا لَهَـا   وَكَانَـتْ النَّعْـلُ لَهَـا حَاضِـرَة[1]

وإليهِ .... وكُلِّ مَن هُو على شاكِلَتِهِ هذا الشِّهاب:

قُـلْ لِلسَّـفِيهِ الَّـذِي أَضْـحَى يُعَـرِّضُ بِـي

وَهَـبَّ يَطْعَـنُ فِـي عِلْمِـي وَفِـي أَدَبِـي

بَـرَاقِشُ .... الوَرْهَـاءُ مَـا فَتِئَـتْ

تَـدْعُوكَ لِلغَـيِّ حَتَّـى جِئْـتَ فِـي طَلَبِـي

حَكَمْـتَ حُكْمًـا وَلَـمْ تَعْلَـمْ نَتَائِجَـهُ

وَقُمْـتَ تَنْـبَحُ مِثْـلَ الأَجْـرَبِ الكَلِـبِ

«مَـا أَنْـتَ بِـالْحَكَمِ التُّرْضَـى حُكُومَتُـهُ»

أَعِـدْ لِـذَا نَظَـرًا فِـي قَوْلَـةِ العَـرَبِ ...

تِلْـكَ ..... كَـمْ سُـقْتُمْ لَهَـا قَـذَرًا

كَـمْ غَمَطْـتُمْ بِهَـا حَقًّـا لِـذِي حَسَـبِ

جَـازَيْتُمُ مُرْشِـدًا أَسْـدَى لَكُـمْ حِكَمًـا

---

(١) البيت للفضل بن عبّاس بن عتبة بن أبي لهب.

عَنْ نُصْحِهِ بِقَبِيحٍ دُونَمَا سَبَبِ

سَتُقْتَلُونَ إِذَا لَجَّتْ عِمَايَتُكُمْ

بِكُمْ دَوَامًا بِضَرْبِ النَّعْلِ لَا الخَشَبِ

فَحَاذِرُوا مِنْ سِهَامٍ لَا مَنَاصَ لَكُمْ

مِنْ وَقْعِهَا فِي زَوَايَا جُحْرِهَا الخَرِبِ

وَإِنْ رَجَعْتُمْ إِلَى الحُسْنَى تَرَكْتُكُمْ

وَكَمْ عَفَوْتُ عَنِ الجَانِينَ مُذْ حِقَبِ

لَا تَحْسَبُوا الجَمْرَ تَمْرًا سَاءَ فَالُكُمْ

فَقَدْ دَعَانِي مَا قُلْتُمْ إِلَى العَجَبِ

«بسكرة» «**العُقبيّ**»[1].

---

(١) «المنتقِد»، العدد (١٤)، الخميس ١٢ ربيع الأول ١٣٤٤هـ - ١ أكتوبر ١٩٢٥م، (ص٣).

قال مُحرِّر «المنتقِد» في (ص٣) تحت عنوان: «**مُلاحظاتي**»: «نعتذر إلى كُتّاب الصُّحف في هاته الأيّام، الّذين زَرَى عليهِم «الرّشيد» وجعلهُم «عَبْدَ القَفَا» – في الاِقتصار على هذه الرِّسالة وعدم نشر غيرها».

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا ...![1]

١- اللُّؤْمُ ضِدُّ الكَرَم، والكَرَمُ ضِدُّ اللُّؤْمِ أيضًا ... والتّصريف بكِلَا اللّفظين اليومَ وقبلَهُ – ولا أقولُ: وبعدَهُ- مِن بابِ «السَّمَاءُ فَوْقَنَا والأرضُ تَحْتَنَا»، ولكن يُدْرَكُ سِرُّ اللّفظِ في الأوّل منهُما في قولِ مَن قولُهُ الحَقُّ الّذِي لا يُعاب -مُشِيرًا إلى مِثْلِ نفسِ ذلك اللّئيمِ ومُنَبِّهًا عليها-: «**أَبَتِ النَّفْسُ اللَّئِيمَةُ أَنْ لا تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تُسِيءَ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا**»[2].

ونحنُ نسألُ كُلَّ مَن يَدَّعِي الرُّشد لنفسِهِ ويَحشُرُها في زُمرة الكُتَّاب الَّذِين يَفهمُون الخِطاب ويُحْسِنُون ردَّ الجواب .... هل المُحْسِنُ إلى الغيرِ هُو اللّئيم؟ .. أم المُنْكِرُ لنَعْمَاءِ أساتذتِهِ عليهِ وأولياءِ نِعمتِهِ مِن قبلُ؟ في حينِ يُباجِحُهُم فيهِ

(١) اللَّحْنُ: التَّعْرِيضُ والإيماءُ، يُقَالُ: لَحَنَ لَهُ لَحْنًا، أي: قالَ لَهُ قَوْلًا يَفْهَمُهُ عنهُ ويَخفى على غيرِهِ ؛ لأنَّهُ يُمِيلُهُ بالتَّوْرِيَةِ عن الواضِحِ المَفْهومِ، ومنهُ قَوْلُ القَتَّال الكِلابيِّ:

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْهَمُوا ... وَوَحَيْتُ وَحْيًا لَيْسَ بالمُرْتَابِ

انظر «تاج العروس».

(٢) عبارةُ العُقبيّ يُفهَمُ منها أنَّهُ ساقَ هذا القولَ حديثًا نبويًّا، ولم نجد مَن ذَكَرَهُ حديثًا مرفوعًا، مُسْنَدًا أو غيرَ مُسنَدٍ! بل وردَ في بعض كتب التَّواريخ إمَّا في جملةِ أقوالِ الحُكماء أو الأمثالِ السَّائِرة، وبعضُهم يَنسِبُهُ إلى عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولفظُهُ: «**حَرَامٌ عَلَى النَّفْسِ الخَبِيثَةِ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تُسِيءَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا**».

بقَوَارِصِ الكَلِم، ويَنْبِزُهُم بما يَعلَمُ (الله) [1] والخَالُون عن الغَرَض - أَنَّهُم هُم وأتباعُهُم بُرَءاءُ منهُ ومِن كُلِّ ما رَمَاهُم بِهِ ذلِك الكُوَيْتِب الزَّنِيم والـ... القَدِيم ... فهل فَهِمَ ما قصدناهُ مِن لَحْنِ الخِطَاب؟[2]

أم لا يَزالُ جَنابُ الشّيخِ غَبِيًّا، ولو فَهِمَ لقالَ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٣].

---

(١) في «الشّهاب»: إليه!

(٢) قدَّمتُ قَبلُ أنّ «الرَّشيد» يكونُ على المرجَّحَ: مامي إسماعيل، كتبَت «الشِّهاب» باسمِ «النُّخبَة»[العدد (٢)، (ص١١-١٣)]: «**نحنُ و«النَّجاح» أمام الرّأي العامّ والشّرف الصَّحافيّ**»، فمِمَّا قالَتهُ: «كم مرّة تأتينا الأنباءُ عن الشّخص الّذي يُسَمِّي نفسَهُ مُديرًا ثانيًا ومُحرِّرًا أوّلًا ويُسمِّيه المدير الأوّل مُستخدَمًا في الإدارة - بسعيه المتواصل في عرقلَةِ مشروعِنا، كُنّا نحسن الظّنّ وندفع الأخبار ونقول: كلَّا ثمّ كلَّا، وما زال ذلك دَأبنا حتَّى تجلَّت الحقيقةُ للعيان وصَارَحَت حضرتُهُ بعضَنا بأنّه عدوٌّ لمشروعنا!! ...».

وكتبَ والد الأستاذ عبد الحميد (محمّد المصطفى ابن باديس) عن إذايات (مامي إسماعيل) لأستاذه عبد الحميد ونُكرانه لنعمائهِ عليهِ، فذَكَر حقائقَ تحت عنوان «عُودْ نَحْيِيتْ، بِهْ نَكْوِيتْ (مَثَلٌ عامّيّ)... »[«الشِّهاب»، العدد (٩)، (ص١١-١٣)]، منها فَضلُ ابن باديس على جريدة «النَّجاح» الّذي كانَ مِن مُؤسِّسيهَا، بل كانت لهُ اليدُ الطُّولَى في ارتفاعِهَا وتحمّل المشاقّ في سبيلِهَا، قال: «...أسَّسَ -أي: ابن باديس- مطبعةَ «النَّجاح» بدراهم أبيهِ، وبها أطلَعَهَا من قاعِ الشّارع إلى القصبة، واكترَى لها الإدارة بضمانه مِن عند السّيّد عبد المجيد ابن معطي الّذي يعتبره ضامنًا إلى اليوم، إلى غير ذلك ممَّا يعلمُ السّيّد مامي ومديرُهُ، ومع هذا كلّه لم يربح معهُم فلسًا واحدًا، ولا ذكرَ عملَهُ لشخصٍ واحدٍ، وما ذكرتُهُ أنا اليومَ إلّا للضّرورة لما تجاهر السّيّد مامي والجريدة المنسوب إليها بالإذاية والنُّكران...».

٢- اليَدُ العَاتِيَةِ الأجنبيَّة مِنك – يجبُ أن لا تكُون مِن جسدِك وهِيَ شَلَّاء، وبذلك يَصِحُّ وصفُهَا بما يُوصَفُ به الأَغْيَار، سيَّما إذا كان مُدِيرُها أَنْبَهَ مِنكَ شَأنًا وأَثْبَتَ جَنَانًا.

أمَّا إذا كُنتَ قبلًا وبَعْدًا في قبضتِهِ، (أو بالأَحْرَى في قبضةِ مَن هُو في قبضتِهِ)، فبأيِّ وجهٍ تلقاهُ أنتَ ويَلقاهُ زعيمُك يا تُرَى؟؟.. وسيَفِرُّ في الهَيْجَاءِ الجَبَانُ إذا الْتَقَى الجَمْعَان، ويُنَادَى عليكُما معًا: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٣]؟

وهل – بعدَ كُلِّ ما قِيلَ ويُقَال- تَرَاهُ يَأْبَهُ بِكَ ويَحْفِلُ (بجِسمِك)[1]، حتَّى يصير إليك عِصابة الدِّعاية، ويَعمل على نقضِ مجموعةٍ هي مِن جمهرةِ حُثَالَتِهِ، ومِمَّا كانت قد جَمَعَتْهُ تِلك الأيدي مِن بَنِي مُفترق الآحَاد والأَزواج؟؟ ...

٣- الاِختراع والإِبداع في كُلِّ ما لم يسْبق لهُ مِثال – مُعجِبٌ (بلا شكٍّ)، يَرُوقُ كُلَّ ذِي ذوقٍ سليمٍ وطَبْعٍ غيرِ لَئِيمٍ ... وقد يَقتضي المقامُ الاِختراع حتَّى في تربية الحيوان الأَعجم .. فيُعْجِبُ النَّاسَ ما جاءت به مِهنةُ الإِبداع وما جَادت به قَرِيحَةُ ذلك المُرَبِّي ... ولكُلِّ مُبتدع مفعولُهُ عند ما يقتضيه الحال، كما أنَّ لكُلِّ مَقامٍ مَقال، ولكُلِّ شِيعةٍ رِجال، ولكن حُبُّكَ لِمَا أنتَ عليهِ هُو الَّذِي أَعْمَى وأَصَمّ، «وَقَدْ يُحِبُّ الجُعَلُ الخَبَائِثَ»، ومُبغِضُ دُعاة الحَقِّ والإِصلاح سيَبْقَى دائمًا مَقطُوع الرَّأس مَقْصُوص الجَنَاح، فما أَحَقَّهُ بالحَنْوِ على صِنْوِهِ وأُنثاه، وما أَجْدَرَهُ

(١) غيرُ واضحةٍ في أصل «الشِّهاب»، وهكذا أُثبتت في مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ!

أيضًا بأن يُصْفَعَ على قَفَاه!!

ولَوْلَا خشيةُ الإطالة فيما لا طائل وراءَهُ وخوفُ أن يُوَلِّينا دُبُرَه، لطَارَحْنَاهُ حديثَ الفُضُولِيّ .. ولقُلنا لهُ: قد أَزِفَتِ الآزِفَة، ودَارَت الدَّائرةُ عليكم، فهل عَلِمتَ مِن أين تُؤكَلُ الكَتِف، وقد احْتَوَشَتْكَ صَنَادِيدُ العَرَب، ولا مَلْجَأَ لَكَ غير جُحْرِكَ الخَرِب؟ ... فالبِدَارَ البِدَار!!

وهذا غَيْضٌ مِن فَيْضٍ يُنبِئُك أنَّ الإِحْجَام في مذهبِنا حرام، وإِن لم تَثُبْ بعدَها إِلى رُشْدِك، فمَوعِدُك مع إِخوانك في غيرِ دارِ السَّلام:

سِـــرْ فِــي ذُرَى ذَاكَ الحِمَـــى يَــا رَاعِــي!
مَـــا أَنْـــتَ إِلَّا صَـــاحِبُ الأَطْمَـــاعِ
مَهْمَـــا بَـــدَتْ صَـــفْرَاءُ سَـــرَّكَ لَوْنُهَـــا
لَكِـــنْ بَعْـــضُ الصُّـــفْرِ فِـــي الأَفَـــاعِي!!
خُـــورُ القُلُـــوبِ إِذَا نَظَـــرَتْ هَزِيمَـــةً
تَـــذَرُ الــرَّئِيسَ كَسَــائِرِ الأَتْبَــاعِ
لَـــوْ تَعْلَمُـــونَ لَـــدَى الحَـــدِيثِ شُـــجُونَهُ
قُـــذِيَتْ عُيُـــونُكُمْ بِيَـــوْمِ نِـــزَاعِ
مَهْـــلًا رُوَيْـــدًا لِمُجْـــرِمِينَ فَإِنَّمَـــا
هِـــيَ جَوْلَـــةٌ عِنْـــدَ اللِّقَـــا بِيَرَاعِـــي
ضَـــاعَتْ حُلُـــومُكُمُ وَضَـــلَّ رَشَـــادُكُمْ

فَــــإِلَى النُّهَـــى التَّحْكِـــيمُ بِالإِجْمَـــاعِ

(مَارَسْـــتُمُ)[١] شَــــهْمَ الجَنَـــانِ فَحَـــاذِرُوا

سَــــهْمَ الــــرَّدَى مِـــنْ مِقْـــوَلٍ لَــــذَّاعِ

أَوَ مَــــا عَلِمْــــتُمْ أَنَّ مَــــنْ عَــــادَيْتُمُ

سَــــبَّاقُ غَايَــــاتٍ طَوِيــــلُ البَــــاعِ؟

مَــــا سَــــامَهُ لَــــدَدُ المُعَانِــــدِ ذِلَّــــةً

كَــــلَّا! وَرَبِّ السَّــــيِّدِ النَّفَّــــاعِ..

هَــــذَا الحَــــدِيثُ إِلَــــيْكُمُ وَعَلَــــيْكُمُ

وَلَقَــــدْ لَحَنْــــتُ لَكُــــمْ فَهَــــلْ مِــــنْ وَاعِــــي؟

«بسكرة» «الطّيّب العُقبيّ»[٢].

---

(١) في أصل «الشّهاب»: مارستمُوا، وفي مطبوعة «الشِّهاب»: مارستمُو.

(٢) «الشّهاب»، العدد (١٠)، الخميس ٢٩ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ- ١٤ جانفي ١٩٢٦م، (ص٣) من الأصل، و(ص١٠-١١) من مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ.

مُتَمَنَّيَاتِي اليَوْمَ! ..

-١-

أَتَمَنَّى أن لَو يَبلُغَ صَدَى صوتي إلى سائرِ أنحاءِ العالم؛ كَي يَعلمَ النّاسُ كُلُّهم فِكري ومَذهبي، لأنِّي لا أَخْشَى مِن وراءِ ذلك إلّا الله وحدهُ ...

-٢-

وأَتَمَنَّى أن لَو يَحْصُلَ التَّفاهُمُ بينِي وبينَ كُلِّ مَن يَنْتَقِدُ عَلَيَّ فِيما أقولُ وأكتبُهُ مُعلِنًا به بينَ النَّاس بمِثلِ الطّريقةِ الَّتِي أَسلُكُها وأَنا بمَرأى ومَسمعٍ مِن العُموم.

ويَسُرُّنِي انتقادُ أهلِ العِلم الصّحيح ورَدُّهُم عَلَى بِضاعتِي المُزْجَاة بأدلَّةِ الشَّرعِ الشَّريف وحُجَجِ المنطِقِ المقبولةِ عَقلًا، ولكِن يَسُوؤُني جِدًّا أن يكُون في الأُمَّة مَن يُحَاوِلُ رَدَّ الدِّين الخالِص والحَسَنِ مِن القول بمُجَرَّدِ التَّهَتُّر[1] والتَّهَوُّر، ويُحْزِنُنِي كثيرًا إذا كان ذلك المُحَاوِلُ سَفِيهًا غيرَ رَشِيد.

-٣-

أَتَمَنَّى أن لَو يُوَحِّدَ ذَوُو العِلم الصّحيح صُفُوفهُم ويَجمعُوا شَتَاتَهُم، حتَّى يُكَوِّنُوا مِن مَجموعِهِم جبهةَ دفاعٍ قويّةٍ، تَقِفُ في وجهِ ذَوِي العَقائد الزَّائغة، لِتَرُدَّ إِفْكَ الأَفَّاكِين، وتَدْحَضَ حُجَجَ الدَّجَّالِين المُضِلِّين، ولأَنَّهُم مَتَى كانُوا كذلك، لا

---

(١) التَّهَتُّر: الحُمْقُ والجَهْل. انظر «تاج العروس».

تكَادُ تَسْطُو عليهِم أفاعِي المُرَاوِغِين ولَا تَلْدَغُهُم عَقَارِيبُ المُنَافِقِين ..[١]

- ٤ -

أَتَمَنَّى أن لو يَكْتُبَ كُلُّ عالِمٍ مُصلِحٍ على صفحات الجرائد مُبْدِيًا للأُمَّةِ رَأْيَهُ وفِكْرَهُ، مُصَرِّحًا لنا باسمِهِ واسمِ البلاد الَّتِي هُو بها، حتَّى يُمْكِنَ للمُطَّلِع الاِعتمادُ على أقوالِهِ والتَّعْوِيلُ على فَتْوَاهُ، ولَا يَتَطَرَّقَ لِخُصُومِهِ أيُّ احتمالٍ أو رَيْبٍ في مَقصدِهِ مِن اختفائِهِ وتكَلُّمِهِ معنا مِن وراءِ حِجاب، كما يُنَزِّهُ بذلك جَنَابَهُ عن رَمْيِهِ بوَصْفِ الجُبْنِ ووَصْمَةِ الضَّعْفِ في العَقِيدة[٢].

- ٥ -

أَتَمَنَّى أن لو يَرْفُضَ بعضُ المُنْتَسِبين للعِلم صِفَةَ المُدَاهَنَة والمُدَاجَاة، ويُصَرِّحُوا بالحَقِّ مُعلِنِين، عملًا بقولِهِ ﷻ لنَبِيِّهِ الأكرم وحَبِيبِهِ الأعظم ﷺ: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر: ٩٤].

---

(١) أعادَ الشّيخُ ابنُ باديسٍ رَحِمَهُ اللهُ نَشْرَ هذه الفقرة خاصَّةً، وعَنونَ لهَا بِـ: «**أُمنيّة تَحقَّقَت**» [«الشِّهاب»، م١١، (ص١١٧)، ج٢، صفر ١٣٥٤هـ- ٥ ماي ١٩٣٥م].

كانَ هذا بعد سنواتٍ، حيثُ تأسَّسَت «جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين» سنة ١٩٣١م، وأَظهرَ العُلماءُ العامِلُون جِدًّا وحَزْمًا وعزْمًا.

(٢) كتبَ مُحرِّر «المنتقِد»، (ص٣) تحتَ عنوان: «**مُلاحظاتي**» ما يلي: «يتمنّى العلاّمة الشّيخ الطّيّب أن يُصرِّح الكُتّاب بأسمائهم، فهل يظنُّ حضرتُه أنّ النّاس كلَّهم أُوتوا ما أُوتيَ مِن الشّجاعة الأدبيّة والإِقدام العلميّ؟».

-٦-

أَتَمَنَّى أن لو يُنَادَى في بلادِ اللهِ؛ طُولِهَا والعَرْض: أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى المُبْتَدِعِين والضَّالِّين المُضِلِّين ...(١).

-٧-

أَتَمَنَّى أن تَكُونَ بين الأُدباء مُواصلاتٌ عِلميّة ومُكاتَبَاتٌ وِدَادِيّة، يَعرِفُ بها بعضُهُم بعضًا، وتَتَقَوَّى بها رَوَابِطُ العِلم بينهم، لكي يَتَسَنَّى لهُم بعد اليوم أن يَعِيشُوا إِخوانًا على سُرُرٍ مُتَقَابِلِين، ويَتَمَكَّنَ لهُم أن يَرْمُوا بالأغراضِ الفاسِدة جانِبًا، ويَقْضُوا على وِشَايَاتِ المُفْسِدِين ونَمَائِمِ المُغْرِضِين.

-٨-

أَتَمَنَّى أن لو ذَهَبْتُ إلى حيثُ أَعِيشُ حُرًّا طَلِيقًا غيرَ مَكْتُوفِ اليَدَين، أَعملُ بينَ أفرادِ شعبٍ يَشعُرُون بواجباتِ الحياة، ويَقْدِرُونَ قَدْرَ الرِّجالِ العامِلِين(٢).

-٩-

أَتَمَنَّى أن تَكُونَ جريدةُ «المنتقِد» يوميّةً -ولن يَتَسَنَّى لها ذلك إلّا بمُعَاضَدةِ أفرادِ الشّعب وأنصارِ الحَقِّ- حَتَّى يَتَيَسَّرَ لي ولكُلِّ كاتبٍ نَشْرُ أفكارِهِ فيها تِبَاعًا، ويَتَّسِعَ حجمُها لمقالاتِ الأُدباء والعُلماء ...

-١٠-

أَتَمَنَّى أن لو تَنْشُرَ جريدةُ «المنتقِد» المقالات الَّتِي تَفُوتُ بفَوَاتِ وقتِها في

---

(١) «المنتقِد»، العدد (١٥)، الخميس ١٩ ربيع الأول ١٣٤٤هـ- ٨ أكتوبر ١٩٢٥م، (ص٣).

(٢) «المنتقِد»، العدد (١٦)، الخميس ٢٦ ربيع الأول ١٣٤٤هـ- ١٥أكتوبر ١٩٢٥م، (ص٢).

حينِها، إذ واجبُ صِناعةِ الصّحافة وتَرْقِيَة المشروع يَقْضِي عليها بذلك(١).

-١١-

وأَتَمَنَّى أيضًا - أن تَنْشُرَ جريدةُ «النَّجاح» كُلَّ ما ورد ويَرِدُ عليها مِن المقالات الرَّشِيدة في الرّدِّ عَلَيَّ، كي لا يَبْقَى حضرةُ مُدِيرِها يُصرِّح لأحبَّائِي وأحِبَّائِهِ الخُصُوصيِّين بأَنَّهُ بعدمِ نشرِها قد أَسْدَى إِلَيَّ مَعرُوفًا، وأَنَّهُ يَتَّخِذُ ذلك كصنيعةٍ لَدَيَّ ونِعمَةً يَمُنُّهَا عَلَيَّ ولو بعدَ حينٍ، ذلك لأَنِّي ضعيفُ الكاهِلِ عن تَحَمُّلِ مِثلِ هذه الأيادي الَّتِي لا أُطِيقُ احتمالها، ولأَنِّي أُحِبُّ الحُرِّيَّة والصَّراحةَ لنفسِي ولغيرِي، وبوُدِّي أن أَطَّلِعَ على مَقالِ خُصُومي وأعدائي - على رأيِ الرَّاوِي ... - كما اطَّلَعُوا هُم على كلامي، ولأنِّي زيادةً على ذلك قد أَعددتُ لكُلِّ مقالٍ جوابَهُ المُلاَئِم، فالمُحِقُّ نَشْكُرُهُ، ونَتَنَازَلُ عن رَأْيِنا لرَأْيِهِ (إِن شاء اللهُ تعالى)، والمُبْطِلُ نُناقِشُهُ الحِساب، إِذا رأينا كَلاَمَهُ مُستحِقًّا لذلِك ...

-١٢-

أَتَمَنَّى أن يُحَوِّلَ البعضُ مِن أربابِ الزَّوايا ورُؤسائِها هذه الأماكن الدِّينيّة إلى مَلاَجِئ خيريّة ومَدارس أخلاقيّة، يكُونُ الغَرَضُ الوحيد مِنها نفع العُموم، لا نفعهم هُم خاصّة، وبذلك يَكُونُون قد سَلَكُوا طريقَ مَشائخِهِم وآبائهم الأقدمين، فهل لهُم أن يَجْمَعُوا بين الفَضِيلتين، ويُحْرِزُوا على مَزِيَّةِ الشَّرَفين، ومَتَى فعلُوا

(١) «المنتقِد»، العدد (١٧)، الخميس ٣ ربيع الثاني ١٣٤٤هـ- ٢٢ أكتوبر ١٩٢٥م، (ص٣).

ذلك، عَلِمنا أنَّهُم في دعواهُم مِن الصَّادِقِين؟! ..[1].

-١٣-

أَتَمَنَّى أن لا يَتَقَاعَسَ الأغنياءُ عن إِخراج ما أَوجبهُ اللهُ عليهِم مِن الزّكاة في أموالهم، وأن تُنْفَقَ تلك الزّكاةُ في وِجهتها الشّرعيّة، سَدًّا لثُلْمَةِ احتياجِ الفُقراء والمساكين، وإِصلاحًا لحالهِم بين إخوانهم وبني جِنسهِم مِن المُتَمَوِّلِين – ذلِك أَزْكَى لَهُم وأَطْهَر–، واللهُ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِين.

-١٤-

أَتَمَنَّى أن لو تَنْهَضَ الجزائرُ نهضةً عِلميّةً أدبيّةً، تَرُدُّ بها قولَ مَن قالَ: إنّ بلاد الجزائر قد مَاتَت مَوْتًا اجتماعيًّا لا حياةَ لها بعدهُ، إِذ هي اليومَ في مُنتهَى أدوارِ الاِنحطاطِ وآخرِ درجاتِ السُّقُوط.

-١٥-

وبالخِتام، أَتَمَنَّى أن لا يَيْأَسَ العامِلُون مِن الرُّجوع بالأُمّة إلى سَالِفِ المجد، وأن لا يَقِفُوا في سَيْرِهِم وتَطَلُّبِهِم الفضائلَ عندَ حَدٍّ، فإنّ الكمال لا تتَنَاهَى درجاتُهُ، وما مِن كمالٍ إلّا وعند اللهِ أَكْمَلُ منهُ.

«بسكرة» «**الطّيّب العُقبيّ**»[2].

---

(١) «الشّهاب»، العدد (١)، ٢٥ ربيع الثاني ١٣٤٤هـ- ١٢ نفامبر ١٩٢٥م، (ص٥) في الأصل، (ص١٨) في مطبوعة دار الغرب الإسلامي.

(٢) «الشّهاب»، العدد (٢)، ٢ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ- ١٩ نفامبر ١٩٢٥م، (ص١٤) من مطبوعة دار الغرب الإسلاميّ.

إِعْلَانٌ ...

كُلُّ مَن شاءَ الرَّدَّ على كلامي ووَدَّ المُناقشةَ معي، فإنِّي أشكُرُه متَى كان رَدُّهُ عِلميًّا وغيرَ خارجٍ عن آدابِ المُناظرة وطُرُقِ المُحَاجَجَة، أمَّا مَن يَرْمِي الكلام على عَوَاهِنِهِ ويُلْقِي بهِ جُزَافًا، دُون تَعيينِ الغَرضِ المُراد مِنهُ ولا شرح الجُمَل الَّتِي لم تَرُقْ لَدَيْهِ فحَاوَلَ الرَّدَّ عليها، فإنِّي أَهْزَأُ بما يقولُهُ دائمًا، وأَعُدُّ ما تَفَوَّهَ بهِ مِن بابِ فُضُولِ الكلام ولَغْوِ الحديث، ومَهما زَعَمَ صاحبُهُ الرُّشد وادَّعَى لنفسِهِ الفَهْمَ وحَصَافَةَ الرَّأي في العِلم، فإنَّهُ في نظري سَفِيهٌ مَعْتُوهٌ، يُرِيدُ بما يَهْرِفُ بِهِ التَّشَفِّي مِن غيرِ عَدُوٍّ، ويُجَادِلُ بالباطلِ ليُدْحِضَ بِهِ الحَقَّ، فهَاتُوا أَيُّها المعترِضُون مَا لَدَيْكُم مِن حُجَّةٍ ودليل، وإلَّا فإنِّي لا تَضُمُّنِي معكُم طريقٌ ولا يَجْمَعُنِي بكُم سَبِيلٌ.

«بسكرة» «**الطَّيِّب العُقبيّ**»[1].

(١) «المنتقِد»، العدد (١٧)، الخميس ٣ ربيع الثاني ١٣٤٤هـ- ٢٢ أكتوبر ١٩٢٥م، (ص٢).

الفهرس

المقدّمة: ٥

عملي في هذا المجموع: ٧

الشّيخ الطّيِّب العُقْبِيّ خَطِيبُ السَّلَفِيِّين وشاعِرُهُم وكاتِبُهُم: ١١

المولد والنَّشأة: ١٢

الاِنتقال إلى الحجاز: ١٢

استقرار عائلته بالمدينة: ١٣

كفالتُهُ وتربيتُهُ: ١٣

تعلّمُهُ وقراءتُهُ القرآن: ١٣

كيف أُبْعِدَ من المدينة: ١٤

رجوعه إلى الجزائر: ١٥

ابتداءُ الحَرب على حُكُومة القُطْب: ١٧

قصيدةُ العُقبيّ وتأثيرها في الأمّة: ١٧

مُباهلة «العُقبيّ» للطّرقيِّين: ١٩

تأييد ابن باديس والميليّ والزّواويّ: ٢٠

«العُقبيُّ» وجريدتُه «الإصلاح»: ٢١

ابنُ باديس يُقرّظ «الإصلاح» في عددها الثّاني: ٢٤

«الإصلاحُ» يُخاطبُ قُرَّاءَهُ: ٢٤

جهاد «العُقبيّ»: ٢٥

فصاحةُ «العقبيّ»: ٢٧
الاِنتقال إلى عاصمة الجزائر: ٢٨
إِدَارَةُ جريدة «البصائر»: ٣٠
جُموعٌ حاشدةٌ لأنصارِ العُقبيّ في «نادي التّرقّي»: ٣٠
مِحْنَةُ «العُقبيِّ»: ٣١
مرضُهُ ووَفَاتُهُ: ٣٢
بين يدي مقالةِ: «يقولون... وأقول!!»: ٣٧
نَصِيرٌ لا يُستَهَانُ بِهِ، وظهِيرٌ لا يُفَرَّطُ فِيهِ: ٣٧
الإِعلانُ بالدَّعوة وبَدْءُ الهُجُوم على الباطل: ٣٨
الزَّعيمُ وخصومُهُ: ٣٨
«الأستاذ الطّيّب العُقبيّ الشّهير»: ٣٩
العُقبيُّ يَنْفِي التُّهَم والاِفتراءات الّتي يُرَوِّجُهَا عنهُ خصُومُهُ: ٤٠
وَفْدُ العُلماء في «بسكرة» نُصرةً للزَّعيم: ٤١
حالةُ الوطن .. ويأسُ الزَّعيم: ٤٣
تَضْحِيةٌ عظيمةٌ من العُقبيّ... بين الشّوقِ إلى الحجاز وَخِدمة الوطن: ٤٦
إِخْوَانٌ في الفِكْرَةِ وأعوانٌ في العَمَل: ٤٧
«انتظِرُوا!!»...إعلانٌ عن مقالةٍ خطيرةٍ: ٤٨
تَغَاضُبُ الأَخَوينِ وتَبَايُنٌ في الفِكْرَتَيْنِ: ٤٨
رُجُوعُ الزَّعِيم: ٥٤
مقال «يقولون... وأقول!!» في جريدة «البرق»: ٥٥

«حول مقال «يقولون... وأقول!!»»: ٥٦

جوابُ العُقبيّ إلى صاحب «الشّهاب»: «أحقُّ به وأَولى...»: ٥٧

مقال «يقولون... وأقول!!» يعودُ إلى «الشّهاب»: ٥٨

إِلَى الدِّينِ الخَالِص.. ٦٣

بينَ سلفيٍّ وخُصُومِه: يَقُولُون... وَأَقُول!!.............. ٧٥

مَاذَا يَنْتَقِدُونَ عَلَيَّ...؟ وبِمَ أُجِيبُ؟................. ١٣٣

مَنْ لَا مَصَائِبَ فِي تَارِيخِهِ لَا تَارِيخَ لَهُ...................... ١٤١

«الإِصْلَاح» في سَنَتِهِ الرَّابِعَة............................. ١٤٦

أَلَا فَلْيَعِشْ المُصْلِحُون! وَلْيَخْسَأْ المُبْطِلُون!............ ١٤٩

أَنَا بِخَيْرٍ وَعَافِيَةٍ.. ١٥٥

لَغْوُ الفُضُولِيِّ وَحَدِيثُ بَرَاقِشْ ١٥٧

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا ..!.................................. ١٦٢

مُتَمَنَّيَاتِي اليَوْمَ! ١٦٧

إِعْلَانٌ.. ١٧٢

الفِهرس:.. ١٧٣